

تَذْكِرَةُ الْمُهْدِيِّ

الجزءان

الأول والثاني

بقلم

سيد يير سراج الحق النعماني رحمته الله

ترجمة: محمد أحمد نعيم

اسم الكتاب: تذكرة المهدي

الطبعة الأولى: ١٤٤٨هـ الموافق لـ ٢٠٢٦م

An Arabic rendering of
Tazkiratul-Mahdi (Urdu)

Written by:

Sayyed Pir Sirajul-Haq Numaani
(may Allah be pleased with him)

Translated from Urdu by: Muhammad Ahmad Naeem

First Published in UK in 2026

© Islam International Publications Ltd.

Published by:

Islam International Publications Ltd.
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in the UK at:

Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:

Phone: +44 1252 891330

Fax: +44 1252821796

www.islamahmadiyya.net

ISBN: 978-1-84880-393-0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
أ	مقدمة الناشر
١	قاديان، دار الأمان
٤	الأمر باجتنااب الحفلات المناقضة للشرعة
٥	لا تتخلّوا عن حقوقكم
٥	الانطلاق من قاديان
٦	السفر بالقطار
٨	شرب النرجيلة
٩	استهلاك التبغ
١٠	الشفاء الإعجازي
١١	تأثير السؤر
١٢	الفيض الروحاني
١٢	التأثير الروحاني
١٥	كتاب "إعلام الناس" للسيد محمد أحسن الأمروهي سلّمه الله
١٧	الحماس في التبليغ والضيافة
١٩	"راسخ الدهلوي"
٢١	مناظرة في سهارنبور

٢٢	المناظرة الثانية ومدعي الكرامات المزورة
٢٤	قسوة أهل سهارنبور
٢٥	المناظرة الثالثة مع محام
٣٠	المناظرة الرابعة مع حكيم
٣٢	علامة المنافق
٣٤	نفاق الكنكوهي
٣٥	مولوي منافق
٣٥	أدلة صدق المسيح الموعود ﷺ
٣٦	تعبير رؤيا
٣٨	الصلاة خلف غير الأحدي
٣٨	المناظرة الخامسة حول وفاة المسيح ﷺ
٤٠	المناظرة السادسة مع طالب
٤٣	فكرة مدير محطة القطار الهندوسي
٤٤	المناظرة السابعة عن النبوءات
٤٥	سبب تأليف "نور الحق"
٤٥	حال "بُلَّه شاه"
٥٠	إرسال كتاب "نور الحق" إلى العلماء المعاصرين
٥٢	بيان حالة الكشف
٥٣	نبذة عن أحوالي

٥٦	معتقد العامة عن المسيح والمهدي
٥٨	دعوى حضرته بأنه هو المسيح الموعود وتصديقي
٥٩	وعظي
٦٣	المناظرة الثامنة مع الحافظ طفيل
٦٥	التبليغ في "هانسي"
٦٨	الإقامة في "لدهيانه"
٦٩	الالتزام بالصلاة جماعة
٧٠	تعبير الردائين الأصفرين
٧٢	نواب علي محمد خان اللدهيانوني المرحوم
٧٥	صلاة الجنازة
٧٦	جنازة جان محمد القادياني
٧٨	نجاة شابٍ مرحوم
٨٠	محادثة
٨٨	بيعة شيخ يوسف علي
٨٩	تأثير دعاء المسيح الموعود عليه السلام
٩٢	استعادة شيخ يوسف صحته
٩٣	أخلاق حضرته عليه السلام
٩٩	وفاة شيخ يوسف علي
١٠٢	محادثة ممتعة أخرى

١٠٤	الحائز على الشعبية منافق
١٠٩	عاقبة وخيمة لمعارض
١١٣	اجتماع ٣١٣ صحابيا
١١٤	حكاية ذات عبرة
١١٦	ما هو الوتر
١١٦	فتوى قصر الصلاة
١١٧	هروب المشايخ المعاصرين من المواجهة
١١٨	المولوي مشتاق أحمد الأنبيتهوي
١٢١	تَهْرُبُ المولوي رشيد أحمد الكنكوهي من المناظرة
١٢٦	دعوة اثنين من أصحاب الزوايا
١٣٢	تصديق نبوءة النبي ﷺ
١٣٥	مبايعة المولوي غلام ني
١٤٦	تسمية الجماعة بالأحمدية
١٥١	الدعاء للتخلص من الديون
١٥١	التركيز في الصلاة
١٥٥	أحداث مناظرة لدهيانه
١٥٧	مجيء المولوي نظام الدين للنقاش وعودته مبايعاً
١٦١	بداية المناظرة مع البطالوي
١٦٧	ارتداد عباس علي

١٧٠	تفصيل حالي السابقة
١٧٤	الكشف الصحيح بتصديق مثل المسيح
١٧٦	مناقب نور الدين الأعظم
١٧٩	التبليغ بواسطة جهاز التسجيل (الفونوغراف)
١٨٠	سعة الأخلاق
١٨٢	الفاحة خلف الإمام
١٨٣	تكتمل الركعة بإدراك الركوع
١٨٣	قصة مجنون
١٨٦	الوردُ بـ "دلائل الخيرات"
١٨٦	الرقية والتميمة وإعجاز المسيح
١٨٨	الرقية بسورة الفاتحة
١٩٢	من هو مجدد الوقت؟
٢٠٩	رؤيا
٢١١	رؤيا ثانية
٢١٣	معجزة
٢١٤	يهودا الإسخريوطي
٢١٦	رأي حضرته عليه السلام في غير المقلدين
٢١٧	إزالة شبهة
٢١٩	وقائع مناظرة دلهي

٢٢١	دلهي هي دمشق
٢٣١	مناظرة مع بشير السهسواني البهوبالي
٢٣٦	حال "مرزا حيرت"
٢٣٧	قصة صاحب التفسير الحقاني
٢٤٢	هروب ميان نذير حسين من المناظرة
٢٥٣	المسجد الجامع بدلهي وهجوم اليهود
٢٦٣	آية بشير السهسواني
٢٦٥	كل يوم هو في شأن
٢٧٥	تذكرة المهدي الجزء الثاني
٢٧٧	المقدمه
٣١٦	منشور يتضمن إهانات سراجية

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

مقدمة الناشر

يسعدنا أن نقدم للإخوة كتابا آخر عن سيرة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام المبعوث في هذا العصر للدفاع عن الإسلام ورسوله الكريم ﷺ وإظهاره على الدين كله.

ومن ميزات هذا الكتاب أن مؤلفه بير سراج الحق النعماني رحمته الله من أصحاب المسيح الموعود عليه السلام الأوائل، وليس ذلك فحسب بل قد عاش معه في قاديان من أوائل بعثته إلى وفاته عليه السلام حيث عاين هذه السيرة الطيبة عن قرب واكتسب من الصحبة الطاهرة كثيرا، إذ كان حضرته يستأنس به كثيرا ويحبه ولا يتحمل فراقه.

ومما يزيد القراء إيمانا ومعرفة أن المؤلف كان على المستوى الشخصي مرشدا صوفيا كبيرا قبل بيعته على يد المسيح الموعود عليه السلام، وكان هذا المنصب في عائلته عبر الأجيال إذ كان آباؤه أيضا مرشدين ولهم آلاف المريدين، فهو سليل الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله، وقام بمجاهدات شاقة كثيرة. ومعلوم كم هو صعب لمثل هذا المرشد أن يتخلى عن كل هذا الجاه والشرف والتعظيم وآلاف المريدين ليصبح هو مريدا للمسيح الموعود عليه السلام الظلّ كامل لسيدنا محمد المصطفى ﷺ والمبعوث بحسب نبوءاته ﷺ لإصلاح أمته والدفاع عن دينه وكسر الصليب وقتل الدجال.

فمن سعادة المؤلف أنه ترك كل هذه الأشياء الفانية وفارق وطنه واستقر عند قدمي هذا الإمام العظيم والمهدي الموعود والمسيح الموعود عليه السلام ورأى نزول

بركات الله وأفضاله وتأيينه الخارق له ليل نهار وانتصاره على أعدائه، في كل ميدان، فأمن به بصدق القلب وخدمه طول حياته. ومن منته علينا أنه سجل كل هذه الأحداث والتجارب الذاتية للأجيال القادمة فنشرها في جريدة بدر على دفعات ثم نشرها في صورة كتاب، ولكن من المؤسف جدا أنه لم يستطع إكمال هذه المهمة، لعدم توفر المال، إلا أن ما تيسر له تدوينه في هذا الكتاب فيه كثير من الدروس والعبر والمواعظ المهمة. جزاه الله خيرا ورفع درجاته في عليين، ووفقنا للتأسي بهذه الأسوة المباركة لإمام الزمان والخادم الصادق لحبيبا محمد ﷺ، آمين.

لقد حظي بتعريب هذا الكتاب الداعية الإسلامي الأحمدى محمد أحمد نعيم وصدر بإشراف المكتب العربي المركزي بتعاون عدد من الإخوة العرب الذين أسهموا في أعمال المراجعة والتدقيق، ونخص بالذكر السيد المهندس خالد عزام، والدكتور علي خالد البراقي، والدكتور وسام البراقي والسيد أسامة عبد العظيم المحترمين والدكتورة سلام البراقي والسيدة أمان الله البراقي. نتقدم بخالص الشكر لكل من ساهم في نشر هذا الكتاب داعين أن يجزيهم الله أحسن الجزاء ويجعله في ميزان حسناتهم، كما نسأل الله تعالى أن يوفق القراء الكرام للاستفادة من هذا الكتاب القيم والتأسي بأسوة هذا المحب المخلص لسيدنا خاتم النبيين ﷺ وصحابته الكرام، آمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

رحلة

بير سراج الحق النعماني (١٩١٤)

قاديان، دار الأمان^١

الحاجة التي طرأت علي للسفر من قاديان هي أن أخي الأكبر شاه محمد خليل الرحمن النعماني والجمالي كتب إلي من قرية "ألور" أن أخوا لنا من الأقارب،

^١ ملحوظة: قد احتجت إلى إضافة "دار الأمان"، والسبب أن قاضيا كان يقيم في بلدة قرية من بتاله اسمها "فتح غره" أرسل إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بطاقة بريدية مليئة بكلمات بذينة ومسيئة، فلما كنت وحدي أكتب الردود على الرسائل فقد سلمني حضرته تلك البطاقة أيضا لأرد عليها، وقال: ينبغي أن تكتب الرد بكلمات لينة. فحين انتهيت من كتابة الرد لاحظت في عنوان المرسل "من موضع فتح غره دار الأمان" فخطر ببالي أن فتح غره لا تتجانس مع دار الأمان، ثم متى كان لها الشرف أن تُسمى دار الأمان؟ بل يجب أن تسمى قاديان دار الأمان كما هي في الحقيقة، فكتبت: الراقم خادم المسيح الموعود بأمر من حضرته عليه السلام من قاديان دار الأمان. ثم خطر ببالي أنه لا يناسب أن أضيف من عندي هذه الكلمات، فحضرت عند حضرته فسألني ما الأمر؟ كان حضرته وحده يتمشى فقصصت عليه القصة، وقلت له هل يناسب أن أكتب "قاديان، دار الأمان" أم لا؟ فقال أكتب بالتأكيد، فهي دار الأمان من الله، لذا يجب أن تكتب ذلك على كل رسالة. (من المؤلف)

وهو البير^١ رحيم الدين قد توفي في منطقة سندھاله بمحافظة كرنا، وليس له أي وارث سوانا ليرث أملاكه المنقولة وغير المنقولة. لذا من المناسب أن تصل بسرعة إلى سرساوه ومن سرساوه إلى سندھاله، وتكفل بالموضوع، فأنا مريض في هذه الأيام لذا سوف أتأخر في الذهاب إلى هناك. ومع أنني أرسلت رسالة بالبريد إلى سيادة المفوض، وأخرى إلى رئيس المديرية، فلما كان مسكن أجدادنا منذ القدم في سندھاله لذا ينبغي ألا تفوت الفرصة، وحذار أن يظهر آخرون يدعون الإرث. فكتب في الرد عليه: "لما كان ذهابي وإيالي إلى أي مكان والقعود والقيام بحسب أمر المسيح الموعود عليه السلام وإذنه،^٢ فسوف آخذ منه الإذن إن شاء الله وأنطلق، أسأل الله لك الشفاء. ولما كانت قد مضت على ذهابي آخر مرة إلى سندھاله ١٤ أو ١٥ سنة، فإني بمنزلة الأجنبي عندهم، أما أنت فتزورهم دوما. سوف أنجز بقية الأعمال، أما العمل في سندھاله فلن يتحقق إلا بك. ولقد

^١ "بير" كلمة فارسية معناها لغويًا: كبير السن أو المقام، واصطلاحًا تطلق على الصوفي المرشد، وقد كثر ورودها في هذا الكتاب. (المترجم)

^٢ ملحوظة: يُكتب "عليه الصلاة والسلام" مع اسم سيدنا المسيح الموعود، وسبب ذلك أنه حين نشر من لدهيانه الإعلان بعنوان "ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة" وقال فيه بأنه هو المسيح الموعود، كنت يومذاك في كوت بوتلي في منطقة جيبور، فجئت إلى لدهيانه تاركًا كل شيء. كانت المعارضة شديدة، وقد جاء المولوي محمود الحسن خان الأحدي المحترم، وهو من سكان المنطقة المجاورة لدلهي، ويعمل مدرسًا في بتياله. فسألت المسيح الموعود هل نعلن في كل مكان أن عيسى النازل قد نزل، وهل نكتب مع اسمك: "عليه السلام"؟ فقال: نعم يمكن أن نعلنوا وتكتبوا مع اسمي "عليه السلام"، بل يمكن أن تكتبوا "عليه الصلاة والسلام" أيضًا، فقد استخدم الله ﷻ مع اسمي الصلاة. (من المؤلف)

قدمت عذرا في عدم الذهاب إلى هناك لأنني كنت قد دُعيت فيما مضى للمشاركة في حفل زفاف أحد الإخوة الأقارب، ومن أجل ذلك انطلقتُ من سرساوه أنا وأخي الأكبر شاه خليل الرحمن المحترم، وسيد علي حسن المتوفى، وميان شيخ عبد الرحمن المتوفى، وعدد من الأشخاص. ولما كانت قرية سندهاله على بُعد ٨ أو ٩ أميال من سرساوه وبينهما نهر جمنا، وفي الصيف وموسم الأمطار تجري فيه السفن، فتزداد المسافة السابقة إلى ١١ أو ١٢ ميلا، ويصبح السفر عبره خطيرا أيضا، لأن مياه نهر جمنا في موسم الأمطار تفيض إلى ثلاثة أو أربعة أميال وتغمر مئات القرى وتتضرر بها آلاف الفدان من المزارع، وينجر عدد لا حصر له من الأنعام والمواشي الأليفة كما يموت الكثير من الناس أيضا. باختصار وصلنا إلى سندهاله وقت العصر بعد أن كنا انطلقنا في الصباح. وقبل أن ندخل القرية، تناهت إلى سمعي أصواتُ رقص المومسات وغنائهن وكلامهنّ الفاحش. توقفت في المكان وكنت راكبا فرسا، وبقي خادمي معي، أما الآخرون فقد ذهبوا ليشاركوا في الرقص بكل سرور. استفسر أهل العرس قائلين: ألم يأت سراج الحق؟ فقال لهم أخي: بلى قد جاء إلا أنه توقف في الخارج إثر سماع أصوات الرقص والطرب. فجاءوا إلي وطلبوا مني أن أترجل وأرافقهم، فقلت لهم إذا توقف رقص المومسات، فيمكن حينها أن أذهب معكم وإلا سوف أعود إلى سرساوه على الفور. فقالوا يمكنك ألا تشاهد الرقص وألا تسمع الغناء، لكن ينبغي أن تشارك في احتفال العرس. فقلت لهم: هذا مستحيل، لأن القرآن الكريم قد نهى عن حضور اجتماع يصدر فيه الكلام المنافي لما قال الله والرسول والاستهزاء بهما، فمن حضره حتى لو جلس فيه غير مشارك فسيُعدّ منهم. فإذا صرفتم المومسات واحتفلتم بالعرس

بحسب ما قال الله ورسوله فسأشارك في الحفل. فتفاقم الأمر وقالوا لا نريد أن نقابلك. قلتُ حسنا أنا الآخر لا أريد أن أزورك. قلت ذلك وعُدت من عندهم راكبا كما أتيت، وكان معي خادمي، فوصلت في الساعة الثانية عشرة إلى قرية تابر الهندوسية وبِتَ هناك، وانطلقت من هناك صباحا فوصلت إلى سرساوه. كان سكان القرية كلهم معارفي، فضيَّقوني وأكرموني كثيرا، والآن قد مضى على ذلك الحادث ما يقارب عشرين سنة أو أكثر، ولم أذهب خلالها إلى سندهاله، مع أنهم يزوروننا، وأضيفهم وأكرمهم بحسب الشريعة عندما أكون هناك. أما أنا فلن أذهب إليهم أبدا مهما أقيمت مناسبات زواج أو وفاة، للسبب الذي ذكرته.

الأمر باجتنب الحفلات المناقضة للشريعة

ذات يوم ذكرت ذلك لسيدنا أحمد القادياني المسيح الموعود عليه السلام، فقال هذا ما يليق بالمؤمن. ثم قال، هذا هو معنى الجملة الواردة في القنوت: "ونخلع ونترك من يفجرک". ثم قال: يا صاحبزاده، يتبين من موقفك هذا والعادات التي نلاحظها يوميا أنك عديم الغضب، وتتحلى بِلين وحلم، وفي الوقت نفسه يبدو أنك حين تغضب يكون غضبك خطيرا. فقلت له: هذا صحيح يا سيدي، فأولا لا أغضب، وإذا غضبتُ فلا أهدأ. فقال حضرته هذا ما ورد في الحديث أيضا: "أعوذ بالله من غضب الحليم."

باختصار تأخرت في استئذان حضرته عليه السلام في الانطلاق من قاديان، ولم أستطع الذهاب بسبب بعض الأمور العائلية. فوصل أخي إلى سندهاله قبلي، وكنت قد كتبت إليه أنه إذا لم يعرقل أحدهم الأمر فيها ونعم، أما إذا ادعى أحدهم كذبا فينبغي الصلح بلطف ورفق. وإلا فالمحكمة موجودة ولا يليق بنا أن نبادر في الذهاب إليها.

لا تتخلوا عن حقوقكم

عمل أخي المحترم برأيي إذ قد شرح للذين ادَّعَوْا ملكيتهم للأرض، وبين لهم كل المنافع والخسائر وجمع المختارين لعدد من القرى، وكما أن حروف كلمة "طمع" خالية من التنقيط خلا هؤلاء من الحكمة ولم يفهموا واحتلَّوا الأرض والأمتعة بغير حق. فرفع أخي أخيراً قضيةً في المحكمة بحسب المثل القائل: "آخر الطب الكي". حين أطلعت مولانا نور الدين سلَّمه الله تعالى على هذه التفاصيل كلها. فقال: الله أعلم كم من الفيوض والبركات قد نلتها جالساً في صحبة المسيح الموعود عليه السلام. بارك الله فيك، ينبغي ألا يتخلى المرء عن حقه. ثم ذكرت القضية بحذافيرها للإمام الرباني أحمد القادياني عليه السلام فابتسم لسماع ذلك، وظل يتكلم معي حول الموضوع ويسأل عن أوضاع القضية. ثم قال أخيراً: على المرء ألا يتنازل عن حقه. بعد ذلك لم يتسن لي اللقاء مع حضرته واستأذنته عبر رسالة، فكتب على ظهر رسالتي شيئاً أُذِن لي به في الذهاب والمطالبة بحقي.

الانطلاق من قاديان

كدت أنطلق مع أهلي من دار الأمان بإذن من حضرته عليه السلام ويعلم من حكيم الأمة، إذ تلقيت قبلها بيوم رسالة من أخي الأكبر شاه خليل الرحمن الجمالي قال فيها: إني موجود في لدهيانه لمتابعة القضية، وقد خلق الله من الغيب إمكاناً للنجاح، لكن ذلك لن يتحقق دون مجيئك إلى هنا، لذا لا تذهب إلى سرساوه، بل يجب أن تأتي إلى لدهيانه، ومن هنا سوف نطلق معاً إلى سرساوه. فلما أردت الانطلاق من قاديان الشريفة إلى لدهيانه وركبت النساء في عربة

الحصان عجلتُ إلى حضرته عليه السلام وطرقت الباب فسأل: من؟ قلت: سراج الحق. فقال: صاحبزاده! ادخل، فدخلت إليه فقال: أتيت لتودعني الآن؟ قلت نعم يا سيدي، فقال حاول أن تعود عاجلاً إذ لا ضمان للحياة ونعيش أيام البلبايا، فارجع عند تسني الفرصة، ولا تتقاعس في العودة إلى هنا. فقلت له يا سيدي أرجو أن تذكرني في الدعاء أنت أيضاً، أن يعيدني الله إلى دار الأمان بخير وعافية. ثم حضرتُ إلى حضرة حكيم الأمة وأخبرته عن الأوضاع، فأذن لي بكل سرور ودعا لي، وأوصاني مرارا بالعودة.

السفر بالقطار

وصلت إلى لدهيانه مع الأهل انطلاقاً من دار الأمان، فقابلت هناك أخي المحترم. حين ركبت القطار من أمرتسر ركب معي مرزا عنايت الله بيك الهانسوي، وهندوسيان أحدهما صائغ والثاني ربما كان من عائلة كهتري^١ وبقية الركاب كانوا من السيخ. أراد الصائغ أن يشعل النار ليشغل النرجيلة، وساعده الكهتري على إشعال النار، لاعتيادهما شرب النرجيلة، بينما نهأهما السيخ عنها لكرههم لها، فلم

^١ تقسم الديانة الهندوسية أتباعها على أربع طبقات: ١- البراهمة: وهم الذين خلقهم الإله "براهما" -بحسب زعمهم- من فمه: منهم المعلم والكاهن والقاضي، وإليهم يلجأ الجميع في حالات الزواج والوفاة، ولا يجوز تقديم القرابين إلا في حضرته. ٢- الكاشتر (أو "كهتري"): وهم الذين خلقهم الإله من ذراعيه: يتعلمون ويقدمون القرابين ويحملون السلاح للدفاع. ٣- الويش: وهم الذين خلقهم الإله من فخذه: يزرعون ويتاجرون ويجمعون المال، وينفقون على المعاهد الدينية. ٤- الشودر: وهم الذين خلقهم الإله من رجليه، وهم يشكلون طبقة المنبوذين، وعملهم مقصور على خدمة الطوائف الثلاث السابقة الشريفة ويمتثلون المهن الحقيرة والقدرة. (المترجم)

يقبل الصائغ قوله بل أشعل النار وشغل بها النرجيلة. فبدأ السيخ يخاصموهما، فقلت للسيخ بلطف لماذا تعارضون؟ قالوا نحن لا نشرب النرجيلة، ولن نسمح لهذين الهندوسيين بشرها، لأن مرشدنا قد نهى عن شرها. فقلت لهم إن مرشدكم قد نهى عن الخمر أيضا، فيجب إذن الامتنال لكلا الأمرين. أليس غريبا أن يطيع المرء مرشده في أمر، ولا يطيعه في أمر آخر، بل يمارسه بكل سرور ودون تردد؟! ثم إن مرشدكم قد نهى عن الزنا وصحبة المومسات أيضا، وأنتم لا تمتنعون عن هذا العمل الفاحش، فهل من الطاعة للمرشد ألا تجتنبوا الأشياء الأكثر قذارة، والتي هي من الكبائر وتنزعجوا من استخدام شخص آخر ليس من دينكم شيئا هو أدنى شناعة! فهل يصح النزاع حول ذلك؟ لقد نهاكم مرشدكم عن النرجيلة، أما هؤلاء فلا يؤمنون بمرشدكم فأنى لهم أن يطيعوه. أما أنتم أنفسكم فلا تطيعون مرشدكم، فليس من المناسب إثارة النزاع والفساد بسبب هذا الأمر البسيط، والأمر إليكم. فبسماع قولي هذا صمت اثنان أو ثلاثة من السيخ الذين كانوا كبار السن، وأعرضوا عن الهندوسيين خجلا، ثم نهوا السيخ الشباب المتحمسين أيضا عن النزاع، وقالوا لهم انظروا ما أصدق القول الذي نطق به المسلم، فإذا شربا النرجيلة فلا تتضرر، أما الدخان فهو ينبعث من القاطرة المحركة للقطار أيضا. الحق أن في كل قوم عاقلين ومتفهمين ونبلاء يقبلون القول الحسن، ويقبلون النصيحة، شريطة أن يكون الناصح عاملا بتعليم القرآن الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (النحل: ١٢٦).

ثم قلت للصائغ والكهتري إذا لم يشرب المرء النرجيلة، على عكس الأفيون، لمدة قصيرة فلا يموت، ولا يعاني بذلك كثيرا، وإنما يشتهييه بعد كل فترة وأخرى.

فإن لم تشربا النرجيلة الآن فما الحرج في ذلك، ففيه دفع الشر بالإضافة إلى اجتناب اللغو. فكان صديقي الدكتور محمد إسماعيل خان، يشرب النرجيلة كثيرا ثم أفلح عنها فجأة ولم يضره ذلك شيئا، كما لا يشرب النرجيلة مئات الألوف من السيخ، فهم أيضا لا يتضررون بذلك أيما ضرر، بل هم أكثر منكم قوة وصحة، ولقد رأيت بعض المدمنين على الأفيون كانوا يتناولون قرابة خمسين غراما يوميا ثم تخلّوا عنه فجأة ولم يضرهم شيئا، فدونكم النرجيلة. فكان مولانا المولوي محمد سرور شاه يتناول الأفيون أكثر من المعتاد، وحين جاء إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في قاديان وبايعه أفلح عن الأفيون فجأة ولم يتضرر، بل قد صار أكثر صحة وقوة. فامتنعنا عن شرب النرجيلة بعد سماع قولي هذا، وقاما بإطفاء النار ورميا النرجيلة.

شرب النرجيلة

الحديث بالحديث يذكر، فلا أرى من غير المناسب القول إني يوم كنت أكتب الردود على الرسائل من قبل حضرته عليه السلام رأيت الناس يسألونه بالإضافة إلى مسائل أخرى عن النرجيلة أيضا، لأنهم معتادون على شربها، وعن فتواه في ذلك، وإذا ما كان عليهم تركها بأمره عليه السلام. فأمرني عليه السلام قائلا: أتلقي رسائل بمختلف المواضيع، ودأبي أني حين أتلقي من أحد رسالة للدعاء أدعو له فورا، وبعد ذلك أيضا حيثما أتذكره أدعو له. فيمكن أن تكتب في الرد على مثل هذه الرسائل أني قد دعوت لهم، وسوف أستمّر في ذلك، وهم يجب أن يذكروني الدعاء بانتظام. وبعض الرسائل تتضمن الاستفسار عن بعض المسائل، فإذا أملت عليك الرد على أي مسألة عند استفسار أحد، أمكنك كتابة الرد نفسه

لكل رسالة حوت استفسارا مماثلاً دون أن تسألني كل مرة. أما إذا سأل أحد عن أمر جديد فاسألني. بعض الناس يكتبون الرسائل ليطمئنوا عليّ فيمكن أن تكتب إليهم أي بخير. وبعضهم لا يريدون الرد وإنما يرسلون الرسائل تذكيراً، فلا داعي للكتابة إليهم حتى يطلبوا الرد. وبعض الرسائل تخصني شخصياً فسوف أقرأها وأرد عليها شخصياً. ثم قال: لا فتوى جديدة عن النرجيلة، والأفضل أن يتخلوا عنها تدريجاً بحيث لا يتألم تاركها.

استهلاك التبغ

ذات يوم ذكر شخص في دار الأمان أن إمام الأئمة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد أفتى اليوم بجرمة استهلاك التبغ. ولكن لما كنت أضع التبغ في "البان" ^١ علاجاً لألم الأسنان قلقتُ قليلاً بسماع فتوى حرمة، وفكرت في نفسي أنه إذا كان المسيح الموعود عليه السلام قد أفتى بجرمة فلا بد من تركه. فذهبتُ إلى حضرته عليه السلام على الفور تاركا الأمور كلها، ففتح عليه السلام الباب بسماع صوتي وقال: ما الذي جاء بك؟ قلتُ: هل أفتيتم بجرمة التبغ؟ قال: لا، ممن سمعت ذلك؟ قلت: فلان قال لي آنفاً. فاستدعاه المسيح الموعود عليه السلام وتبين عند الاستفسار أنه سمع من امرأة. فقال عليه السلام: لقد حدث الخطأ في الفهم، إنما قلتُ البارحة أن كثيراً من الناس يسألون عن تناول التبغ، هل هو حرام أو مكروه أو جائز. فليعلم أفراد جماعتنا أن اجتناب كل لغو ضروري قدر الإمكان. نحن لا نريد أن نصنع شريعة جديدة حتى نفتي بحل شيء

^١ "البان" في الأصل اسم شجرة في الهند. يلقون في ورقها بعض البهارات مثل الهيل وغيره مع حلويات معطرة، ويضعونها في الفم، فتتنظف الفم وتعطره، كما تفرّج القلب. (المترجم)

وحرمته من عندنا دون دليل. بل من عمل المشايخ الذين هم "دابة الأرض" أن يخرعوا شريعة جديدة من عند أنفسهم، ثم يتهمونني بأني ادعيت النبوة. لو فكروا قليلا لعرفوا من يدعي النبوة أنا أم هم. إذا كان هناك شيء لم تُذكر حلتة أو حرمة في الشريعة وإذا كان شيء لم يثبت من النبي ﷺ فأني لنا أن نقحمه في الشريعة! فلا نقول عن مثل هذا الشيء إلا أنه عمل لغو. لو وُجد التبغ في زمن النبي ﷺ لحكم مسبقًا بكونه لغوا. ولم يقل المسيح الموعود ﷺ شيئًا آخر. ثم قال لي: هل تتناوله؟ قلت: أتناول قدرًا قليلًا منه في البان. سأل ﷺ: منذ متى؟ قلت: منذ خمس أو ست سنين. قال: لماذا تستهلكه؟ قلت: بسبب ألم الأسنان، ولأن الوجه يكون موجَّهاً إلى الأسفل عند الكتابة في الدفتر لذا يشتد الرشح والزكام، ولكن الألم يظل موقوفًا ما كان التبغ في الفم. فقال ﷺ: مبتسما: ألا يمكن تركه؟ قلت: تركه ممكن ولكن أصاب بالألم في الأسنان. قال ﷺ: تناول "خانق الذئب" لبضعة أيام، فهو أيضا سمٌّ، فلو اجتمع السمَّان لأمكن ترك كِلا الخبيثين معا. قلت: لا مشكلة في تركه وإنما أخشى ألم الأسنان، كما تعرف حضرتكم أنني صمتُ أحد عشر يوما في رمضان، ولم أتناول التبغ الأصفر أثناء النهار بل تناولته ليلا، وكان الألم مع ذلك شديدا. قال ﷺ: نعم كان الألم شديدا.

الشفاء الإعجازي

حين كنت أتألم بسبب الأسنان في رمضان الكريم، وصف لي حضرة حكيم الأمة مولانا نور الدين والدكتور عبد الله حديث الإسلام أدوية كثيرة فلم أتحسن، فلما اشتد الألم وتغيرت حالتي بسبب الألم حضرتُ إلى حضرته صباحا فاضطرب

لرؤية المي، ثم فتح صندوقا وأخرج منه زجاجة "كينين"، فخلط منها شيئا بالماء في يده المباركة وصنع منه حبة، ثم قال لي افتح فمك فلما فتحت فمي وضع حضرته فيه حبة كينين بسرعة، ثم قال ابلعها، فبلعتها ثم جاء بكأس من الماء بيده المباركة، وسقاني الماء، ثم قال إن كينين، يخفف نوبة كل مرض، شفاك الله. فتحسنتُ خلال دقيقتين. أصبت بالألم لاحقا مرة أخرى، فتناولت كينين، فلم أستفد شيئا، فعرفتُ أن الشفاء ذاك اليوم كان بتأثير بركة يده.

تأثير السور

ذات مرة أصابني زكام شديد لازمني قرابة أربع سنوات. وكان شرب الحليب وشم رائحته، بمثابة سمٍّ لي. ذات يوم كان حضرته جالسا على مصطبة على سطح المسجد المبارك بعد صلاة العشاء، وتحقق الأحبة الآخرون حوله كالنجوم حول القمر، فبعضهم على المصطبة، وبعضهم على اليمين واليسار، وبعضهم على السطح. فطلب حضرته الحليب، ثم شرب منه جرعة واحدة فقط وسلّمني الكأس وقال لي: اشربه، فقلت أنا مصاب بالزكام الشديد لذا لا أستطيع أن أشربه، وحين أشربه يحدث التهاب ويشد الزكام. فقال أي زكام؟ اشربه. فلم أرفض احتراما، وشربت الكأس كلّها. بعد ذلك - كيفما وقدر ما شربت من الحليب - لم أشتك الزكام قط. أما قبل ذلك فكان الزكام يلازمني خمسة عشر يوما أو عشرين يوما حتى لو شربت قليلا جدا من الحليب. ولم أكن أقدر على الكتابة أو القراءة. أما الآن فأشرب الحليب، وبفضل الله وببركة سور حضرته لم أشتك قط. ولا يزال تأثير سور حضرته قائما إلى هذا اليوم.

الفيض الروحاني

بهذا تذكرت ما حدث لي شخصياً، ويتبين منه قوة تأثير صحبة الإمام عليه السلام وفيضه الروحاني، وهو أنني أعرف أسلوباً رائعاً لتدليك الجسم. فقلت لحضرته يوماً إنني أعرف أسلوباً رائعاً لتدليك الجسم. فقال: لا بد أن تعرف ذلك لأن مريدك كانوا يدلكونك. كان حضرته متعوداً على التمشي وطلب التدليك، كما كان قليل النوم والاستلقاء، ويقضي معظم أوقاته ليلاً ونهاراً في كتابة الردود على اعتراضات المعارضين، وبيان محاسن الإسلام وأدلة صدق رسالة النبي صلى الله عليه وآله، وكون القرآن الكريم منزلاً من الله، وإيراد الأدلة على وجود الله تعالى. والوقت الذي كان يتبقى منه يقضيه في الدعاء، ولقد رأيته في حالة الدعاء، فكان يدعو باضطراب وقلق حيث كانت حالته تتغير، وكان يصاب أحياناً بإسهال ودوار، ولذلك كانت تتسنى لي أحياناً فرصة رائعة للتدليك، وكنت أدلك ظهره وأحتضنه، وكان تأثير هذا التدليك يدوم علي عدة أيام بحيث ينقطع عني جميع ما سوى الله، ويتيسر حب الله والذوق والشوق في الصلاة، وتتهيأ لي اللذة والسرور. فقلت لحضرته حين يتسنى لي تدليك قدميك المباركتين تطراً علي هذه الحالة، لذا أرجو أن تأذن لي بالتدليك كل يوم. فقال مبتسماً: حسناً حيثما تجد وقت فراغ يمكن أن تدلك.

التأثير الروحاني

هنا أود أن أسرد قصة أخرى لبركاته الروحانية وقوته القدسية، وهي أنني كنت أقيم مع الأهل في زاوية حُصّصت لي من بيت الإمام عليه السلام، وكان حضرته يقيم في الغرفة التي تقع فوق ذلك المكان في الطابق العلوي. وبعد شهرين حل

الشتاء، فجاء إلي في أحد الأيام وقت العصر فبادرني بالسلام فرددت عليه السلام ثم سألتني إذا كنت بخير، وإذا ما كنت أعاني شيئا. وأضاف قائلاً: إذا كانت عندك مشكلة فأخبرني وإلا سوف تواجه أنت المشكلة. فقلت: ما عندي أي مشكلة بفضل عنايتك واهتمامك. وكان من دأب حضرته عليه السلام أنه كلما جاء ضيف قال له: يجب ألا تتحمل أي مشكلة، أو إذا كنت بحاجة إلى شيء فأفصح دون تكلف، وإن لم تسنح لك الفرصة للبيان شفها فيجب إطلاعي على حاجتك خطياً. وإن لم تخبرني فسوف تواجه المشكلة والألم والمعاناة، أما أنا فلست من المتكلفين. ثم قال لي حضرته: نزلنا من اليوم في جوارك، إذ حلَّ الشتاء فتركنا الطابق العلوي إلى السفلي، وإن سريري بمحاذاتك حيث يفصلهما جدار فقط. فقلت: هذا لطف منك. ثم سألتني كم يوماً بقي على ولادة زوجتك؟ فقلت يا سيدي قد اكتملت تسعة أشهر وازداد يومان. فقال يولد الطفل بالحساب القمري، وإذا زاد عشرة أيام أو أكثر على تسعة أشهر فالحكمة في ذلك أن الشهر القمري أحياناً ٢٩ يوماً وأحياناً ٣٠ يوماً، فبذلك يستوي الحساب. في تلك الأيام كانت زوجتي حاملاً بابنتي الصغيرة قانئة، وكان سؤال حضرته عن ولادتها، ثم انطلق عليه السلام.

لقد شعرت طول اليوم ألماً خفيفاً في الكتف الأيسر إلى نصف الصدر، ولم أهتم به، وفي الساعة العاشرة ليلاً اشتد الوجع فوضعت كمادات دافئة على موضع الألم، فما تحسنت بل ازداد الألم بانتظام. فلما كانت الساعة الثانية عشرة ليلاً اضطربتُ جداً بسبب الألم ودمعتُ عيناى واستندتُ إلى الجدار لاصقاً ظهري به، وظل الألم يشتد باستمرار وفي تلك الحالة طرأت علي حالة الكشف فرأيت

خمسا من الملائكة جالسين أمامي على سريري. فقال أحدهم إن صاحبزاده يتألم كثيرا، فأيده الثاني، فقال الثالث ما علاج ذلك؟ فقال الرابع: إن علاجه أن نتوزع ألمه، فقال الخامس: حسنا. ثم مدّ الجميع سواعدهم إلى فوق وتمطّوا وقالوا لي أيضا بإشارة أن أقلّدهم في ذلك، فمددت أنا أيضا ساعدي إلى فوق وتمطيت، ورفعت أنا أيضا الصوت كما كانوا قد رفعوا صوتهم قائلين: "أوون". فلم يستغرق ذلك كله نصف دقيقة حتى زالت حالة الكشف وغابت الملائكة والألم معا، وبقي منه أثر خفيف ثم تحسنت. استيقظت على صوت زوجتي التي كانت تنام على سرير آخر قريبا مني، فسألني عن الحال، وعن ذلك الصوت. فسرّدت عليها القصة كلها، ثم نمّث بارتياح. بعد صلاة الفجر شرفني حضرته مرة أخرى بالزيارة وبعد السلام كالمعتاد بدأ يتسم إثر رؤية وجهي، وقال لي: كيف الحال؟ فأخبرته بأنني تألمتُ ليلا وبالحادث الذي حصل معي. فقال: هذا الكشف صحيح. فكنّنت أنا الآخر أسنْدُ ظهري إلى الجدار، وتلقّيت هذا الإلهام... (ونسيّت أنا العبد المتواضع ذلك الإلهام، لكنه مسجل ضمن إلهامات المسيح الموعود عليه السلام) ثم ذكرْتُ لحضرة مولانا نور الدين هذا الكشف والألم واستعادتني صحيّ وزياره المسيح الموعود عليه السلام وغيرها، فقال حكيم الأمة: لا شك أن في صحبة الصالحين بركة. وهذا المدلول يتبين بوضوح من حديث جبريل، المروي عن عمر رضي الله عنه حيث رأى جبريل على صورة المسافر. ويبدو أن الازدحام كان كبيرا وكان الصحابة رضي الله عنهم جالسين عند النبي صلى الله عليه وسلم وطُرأت على الجميع حالة الكشف. وكذلك لم يكن بينك وبين حضرته عليه السلام سوى جدار، فتلقّى الإلهام وتلقّيت أنت الآخر الكشف ببركة إلهام حضرته عليه السلام وكشفه، فالحمد لله على ذلك.

كتاب "إعلام الناس" للسيد محمد أحسن الأمروهي سلمه الله

باختصار قال حضرته عليه السلام أن أنادي المولوي سيد محمد أحسن الأمروهي وكان يقيم على بُعد بضع خطوات، فلما دعوته قال حضرته ضاحكا: يا حضرة المولوي المحترم، ما هي فتواك عن زرده؟^١ فضحك كثيرا وقال: سيدي، بما أن صاحبزاده المحترم يأكل الزردة فرما هو من أثار السؤال. فقال عليه السلام: نعم. فقال المولوي المحترم لقد كتبت فتاوى كثيرة للمشايخ عن هذا التبغ، وأُلفت كتبٌ أيضا، حيث بعضهم يجرمونه وبعضهم يصفونه مكروها، وبعضهم يصفونه بصفات أخرى، فهو يُتناول في العصر الراهن بكثرة لدرجة لا يكاد يجتنبه أو ينجو منه أحد حتى الدراويش من المشايخ، فيأكله البعض ويشربه البعض، ويستنشقه الآخر، فمن أنا حتى أفتي أمام حضرتك. فقال حضرته إن باحث كبير. فقال حضرة المولوي: الأمر فوق الأدب؛ في رأيي النارجيلية مُفطِر، كما أن الأفيون مخدر، وليس فيه أي سبب للتحريم، فلم تذكره الشريعة، إلا أننا نصنفه في اللغو. فقال عليه السلام: أنا الآخر أميل إلى هذا الرأي. فكان حضرته قد جعل المولوي محمد أحسن مفتيا، فكان كل سؤال يصل إلى حضرته فيه استفتاء يرسل إلى المولوي المحترم ليردّ عليه. أتذكر أن حضرته حين نشر إعلانا صغيرا فقط بأنه هو المسيح الموعود، وصلت منه نسخة إلى حضرة المولوي في بهوبال فصدّقه، وألّف كتابا تصديقا لدعوى حضرته عليه السلام باسم "إعلام الناس"، ثم طبعه وجاء به إلى حضرته عليه السلام في

^١ زرده تعني لغة اللون الأصفر، واصطلاحا تبغا جافا يلوكونه كما يلوك أهل اليمن القات. (المترجم)

لدهيانه. فطلب مني حضرته أن أقرأه عليه، فقرأت عليه بضعة أوراق منه، وقرأ منشي ظفر أحمد من سكان كبورتهله جزءا منه، وقرأ البقية على حضرته المولوي محمود حسن الدهلوي المدرس حاليا في بتياله، فقال عليه السلام بعد الاستماع إلى مضمون الكتاب: قد حصل التوارد بيني وبين المولوي المحترم؛ فهو كتب ما كتبناه فانظروا ما أسلم فراستّه، وكم هو من الراسخين في العلم بحيث فهم ما فهمني الله مع أنه لم يصدر منا أي كتاب، ولم يصدر أي إعلان مدعوم بالأدلة، ولم يقرأ أي مؤلف لنا بهذا الخصوص إنما هو تأييد روح القدس فقط. قال المولوي المحترم: يا سيدي، قد انقضى كذا من السنين من عمري، وعلى إقامتي في الهند وبهوبال بالذات التي هي مركز "البان" والناس يتناولونه بشوق لا آكل البان، إلا إذا كنت في مأدبة وقدم لي صاحب البيت البان مع الطعام. أما التبغ فلا يجدر بالذكر. فقال حضرته عليه السلام مبتسما: من الكمال أنك اتقيت، ففي الهند يؤكل البان بكثرة لدرجة أن انحصرت الضيافة في تقديم البان. وقياسا على ذلك الحال في بيتي، لكون أم محمود هندية بل ومن دهلي، ومن دهلي أيضا منتمية إلى سلالة تسمى بأصحاب القلعة، الذين لهم علاقات بالنوابات والأمراء، فهي تأكل البان، كما يأتي كثير من الضيوف الهنود ذكورا وإناثا يأكلون البان، وأضطر لجلب البان من أجلهم من أمرتسر ولاهور. أما أنا فلم يخطر ببالي قط أن آكله، ولكن كل ثلاثة أو أربعة أشهر أتعرض لحال يفسد فيه طعم الفم بسبب المرض، فتقدم لي أم محمود البان قائلة: كل البان فسوف يتحسن طعم فمك. أما الزردة والأفيون فلا حاجة لهما. ذات مرة أعطاني الطبيب قليلا جدا من الأفيون

مع أدوية أخرى ففسد طبعي بتناوله مرة واحدة فقط لدرجة أن أشرفتُ على الهلاك. بقيت المسألة معلقة دون البتّ فيها، وذلك لأن الحاجة كمال الدين جاء من لاهور وقابل هو والمولوي محمد علي حضرته عليه السلام وظلّ حضرته يتكلم معهما.

الحماس في التبليغ والضيافة

ذات يوم عندما كان حضرته يكتب قصيدة الإعجاز الأحمدى، وينسخها الناسخ غلام محمد الأمرتسري، طلبني حضرته أنا أيضا، وقال: انسخ هذه القصيدة لكي تنشر بسرعة. ثم قال انسخها جالسا هنا قريبا منا، قلت حسنا. فكان حضرته ينظم القصيدة بسرعة هائلة بحيث يزودني بدفعة منها قبل أن أكون قد نسختُ السابقة، وعند الساعة الحادية عشرة ليلا، أحضر الطعام له فقال: إنك تكتب هنا من المساء وربما لم تتناول الطعام، تعال نأكل معا، إنني متلهف لكتابة محاسن الإسلام وبيان الأدلة على كون القرآن الكريم من الله، ويستولي علي الشوق لبيان إثباتات صدق محمد صلى الله عليه وآله بحيث لا يروق لي الأكل ولا الشرب والنوم أيضا. فلا أكل ولا أنام إلا إذا اشتد بي الجوع أو النوم. ثم تناولتُ الطعام مع حضرته عليه السلام على مائدة واحدة، فلما انتهينا من الطعام قال لي: هذه أيام ثواب وجهاد كبيرين، والناس الآن يعارضون، لكنه سيأتي زمن يتذكرون فيه هذه الأيام ويتحسرون ويندمون عليها. فقلت لحضرته: من السنة المستمرة أن الناس يعارضون أهل الله لمعاصرتهم لهم، وسوف يستمرون في ذلك، وأنت أيضا تتلقى المعارضة من الكثيرين، والناس يعبدون الموتى، وبعد وفاتك سيفرشون الأزهار على

ضريحك ويوزعون الحلويات ويقدمون النذور، فقال: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه."

في تلك الأيام كنت أعاني السعال جراء الزكام، وربما كانت الساعة الثانية عشرة عندما انتابني نوبات السعال، فسألني حضرته: يا صاحبزاده، إنك تسعل اليوم، فما السبب؟ فقلت إنني حاضر عندك من المساء ولم أتناول البان، إذا سمحت لي فيمكن أن أذهب إلى البيت وأتناول البان وأحضر معي بضعة منها. فقال: لا تذهب بل تابع النسخ، فثمة حاجة إلى نسخها ونشرها من المطبعة ولا أريد أن يتأخر، سأحضر لك البان بنفسي. قال ذلك ونزل من الطابق العلوي إلى السفلي وكنت أسمع كلامه، فقال: أخبرني بسرعة أين أم محمود؟ وفي هذه الأثناء جاءت والدته حضرة محمود السيدة أم المؤمنين. فقال لها حضرته: سيادة صاحبزاده يقوم بنسخ البروفة، وإذا ذهب إلى بيته لتناول البان فسوف يتأخر العمل لذا حضري بضعة بانات مع البهارات. فحضرت لي حضرتها عشرة بانات كاملة، فجاء بها حضرته في صحن، فوضعت البان في فمي وأكلت حب الهيل وبذر الفوفل أيضا،

لكن لم يكن فيه الزردة، فبدأت أفكر، فتبسم عليه السلام وقال: فيم تفكر؟ فقلت ليس فيه الزردة، فسألني ما هي الزردة؟ فقلت له إنه التبغ، فسألني لماذا يسمون التبغ زردة؟ قلت لما كان التبغ يُشرب بالترجيلة أيضا، فالذين يكرهون الترجيلة يأكلونه، وسمّوه زردة درأً لكرهية الناس لها؛ فهذا الاسم فيه تكلف وحساسية. فقال: إن الهنود يعشقون التكلف والحساسية، ولا يهمهم الآخرة. ثم قال لي: ما الذي يحدث إذا لم تأكل الزردة؟ قلت: في السابق عندما كنت أكل

البان عادة دون الزردة، كنت أُصاب بالدوار إذا اختلط به شيء من الزردة. ثم حين بدأت أتناوله مع الزردة من أجل طرد ألم الأسنان لم أعد أتمتع بالبان دون الزردة، والبان يبدو عديم الطعم. فقال عليه السلام: نعم هذا ما يقوله الآكلون. ثم نزل حضرته بسرعة إلى مسكن النساء وقال لأُم المؤمنين: ليست في البان الزردة، والصاحبزاده يلوك البان في فمه، أحضري الزردة بسرعة. ثم جاء حضرته بسرعة حاملا الزردة في يده، وقال لي: تفضّل صاحبزاده المحترم، فقد أحضرت الزردة. إذا كنت بحاجة إلى شيء آخر فقل لي. فقلت: الضوء خافت، فنزل حضرته مرة أخرى إلى الطابق السفلي، وجاء بعشرة شموع تقريبا، وقال لي تابع الكتابة وأنا سوف أضيئها، ثم أضاء أربعة منها بيده المباركة، ووضع البقية بجاني، وانشغل في نظم القصيدة.

باختصار، أقمتُ في لدهيانه أربعة أيام، وأقمت حيث كان أخي مقيماً، وبعد أربعة أيام انطلقنا نحن الأخوان كلانا إلى سرساوة، وما ظهر من أمر متعلق بنجاح القضية فقد تحقق أيضا.

راسخ الدهلوي

تقع مدينة سهارنبور على بُعد سبعة أميال من سرساوه، فذهبتُ إلى هناك لأن فيها دارا كبيرة وحديقة أيضا لثريٍّ من معارفي قرب محطة القطار، وكان قد أخذ مني وعدا في دار الأمان بأن أزوره حتما إذا أتيت إلى سهارنبور. فذات مرة كان قد ذهب إلى دار الأمان برفقة المرحوم المولوي عبد الرحمن راسخ الدهلوي، وكنت أعرف هذا الأخير من أيام دراستي، وكان هو الآخر طالبا. كانت يدُ هذا المولوي تؤلمه فلم يكن يستطيع التحدث كثيرا، لذا كان صاحبه

الثاني يزور سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مرارا ويحسن الظن به دون أن يؤمن به وإنه إلى الآن لا يؤمن بأنه المسيح الموعود. ويوم كان حضرته عليه السلام قد خاض مناظرة مع المولوي المرحوم محمد بشير في دلهي كان هذا الرجل يحضر عند حضرته عليه السلام حتى في أيام المعارضة هذه. وقبل يوم من المناظرة في دلهي أنشد المولوي عبد الكريم السيالكوتي رحمته الله بلهجة فارسية قصيدة - في مدح النبي صلى الله عليه وسلم - مذكورة في البراهين الأحمدية، فزاد الرجل المذكور ذوقا وشوقا من وقتها. ثم في اليوم التالي التمس من المولوي أن ينشد مرة أخرى القصيدة نفسها باللهجة نفسها. كان إنشادُ حضرته رائعا وعظيما. فكان حين يتكلم الفارسية فبلهجتها مثل الفرس تماما، وكأن أحداً من الإيرانيين يتحدث أو الشيخُ سعدي أو نظامي وغيره. وإذا تحدّث باللغة الأردية فباللهجة الصحيحة وباللفظ الدقيق، وإذا تكلم باللغة العربية بدا وكأن أحداً من العرب يتحدث، وإذا قرأ الكلام المنثور أو المنظوم بالبنجائية فبلهجتها تماما، وإذا قرأ الإنجليزية فمثل الإنجليز بالضبط وكان أحد الأوروبيين الإنجليز يتحدث، وإذا قرأ القرآن الكريم خيل إلى المستمعين أن أحد العرب يقرأه. وكان إذا ألقى خطبة أو وعظا استمع إليه الناس بأذان صاغية واهتمكوا فيه بدوق وشوق، وكانت كتاباته عديمة المثل، فوصفها غني عن البيان، ويتبين ذلك للقراء تلقائيا. كانت المناظرة في دلهي أيضا عجيبة وغريبة، وسوف أكتب عنها بعد إنهاء هذا الموضوع، إن شاء الله.

كان المفتي محمد صادق المحترم قد ألقى في دار الأمان خطابا عجيبا ورائعا قد نال إعجابا كبيرا من المستمعين، وأعجب به المولوي راسخ والرجل المذكور وصارا في عالم الوجد والاستغراق، ورفعت هتافات "سبحان الله" وعلت صيحات

الإعجاب والإشادة. وكان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا يعامله بحب وشفقة كبيرين. ومرة سأل حضرته قائلا: إنك تدعي أنك "أُمِّي" وني أيضا، وأن النبي ﷺ هو خاتم النبيين. وأنا لا أستوعب ذلك فأرجو أن توضح لي ذلك قليلا. فقال عليه السلام: هذا سهل جدا، وإنما الناس جعلوه معقدا لعدم فهمهم، ثم ألقى حضرته خطابا قد نُشر في "الوصية"، وتكلم إضافة إلى ذلك كثيرا.

مناظرة في سهارنبور

فذهبنا بحسب الوعد إلى سهارنبور، فاستقبلني هذا المولوي بمنتهى البشاشة والتواضع. جاء إلى هناك مولوي من سهارنبور، وكان متحمسا لمعارضة الجماعة، ومع أن هذا الرجل الذي يُذكر بخير قد مدح المسيح الموعود عليه السلام كثيرا إلا أن عبوسة وجهه لم تزُل، فقال: ما هو إثبات صدق دعوى المرزا بأنه المسيح الموعود والإمام المهدي؟ فقلت له يا سيادة المولوي، من قواعد المناظرة أن سؤالا آخر أحيانا يعدّ جوابا للسؤال المطروح، فاتفق معي على ذلك. عندها قلت له: بناء على ذلك أسألك الدليل على صدق دعوى النبي ﷺ. فقال: نزل القرآن الكريم، وهو الذي أخبرنا أنه نبي ورسول، فقلت له يا فخامة المولوي، ألا تميز الدعوى عن الدليل؟ أفلا تعرف ما هي الدعوى وما الذي يقال له الدليل والإثبات؟ إذ تعد الدعوى دليلا، فكنت سألتك الدليل والإثبات، وأنت تجاهلت ذلك وقدمت دعوى أخرى تحتاج إلى دليل. الآن تواجه مشكلتين، فعليك أن تقدم الدليل أولا على صدق دعوى النبي ﷺ وثانيا تقدم الدليل على كون القرآن الكريم من الله ﷻ وأنه كلام الله. فبأي دليل تعدّ القرآن الكريم كلام الله ﷻ؟ وإذا كانت هذه الدعوى دليلا عندك فاعلم أن هذا نفسه يكفي إثباتا أن الكلام

الإلهي قد نزل على قداسة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام أيضا، فاندesh المولوي وبهت. فلما لم يستطع أن يرد علي بدأ يتكلم عن قواعد النحو والصرف، فقلت له: فضيلة المولوي، أنت تركت لب القضية وتخوض في مسائل النحو والصرف! فاعلم أن النحو والصرف جيد لحد ما لكن الاستدلال به لا يصح؛ وذلك لأن جميع المذاهب التي نشأت في الإسلام فإنما نشأت بواسطة النحو والصرف، وإن بناء الصرف والنحو قد وُضع على أساس السماع، وحين يعجز النحوي والصرفي يقول: "مثلا"، ولا يجد بدا من الإتيان بنظير من القرآن الكريم، وكلام العرب، أو بيت شعر من أحد الشعراء القدامى أو شطر منه، لذا من الأفضل أن أقرأ آية من القرآن الكريم أو حديثا شريفا ردًا على نحوك وصرفك. عندها انصرف المولوي من هناك عاتبا. وبعد ذلك قابلني عدة مرات ولم يتكلم معي، بل مرَّ بي ولم يلتفت نحوي.

المناظرة الثانية ومدعي الكرامات المزورة

ثم توجهتُ إلى مدينة فقابلي محمد شفيع من حارة "شاه ولايت"، فسلم علي، وقال لي: لقد تركت سرساوه وسهانبور ولا تكاد تبرح الآن قاديان. فقلت له كلا لم أترك سرساوه وسهانبور بل أتردد إليهما، وإنما اتخذتُ مكان إقامتي الدائمة في قاديان. سألني عن حال قاديان قلت الحمد لله جيد، فهناك تطور وازدهار متواصل، وعدد الذين يبائعون حضرته عليه السلام خطيا أو يدا بيد في تزايد مستمر، حيث يأتي حضرته أناس من بلاد لم نسمع أسماءها ويبائعونه. وبعض الأتقياء يعودون من هناك خائبين. ثم سألني هل يقدم حضرته أي كرامة أيضا؟ قلت نعم، الناس يرون الكرامة أيضا على منهاج النبوة، لكن الأتقياء لا

يستفيدون منها، بل تزداد قلوبهم قسوة. عندها قال لن نقبل ذلك إلا إذا أظهر كرامة نريدها نحن. فقلت له: إن طلب الكرامة والآية بحسب اقتراح المرء لا يجوز، فالذين طلبوا الآية باقتراحهم بثقوا أشقياء وعديمي الحظ. إنني أتذكر أن مولويا شيعيا من حيدر آباد دكن أرسل إلى حضرته عليه السلام رسالة كتب فيها: إذا كنت فعلا المسيح الموعود فأظهر كرامة، فقال لي حضرته بكل تواضع: يا سيادة صاحبزاده، اكتب إليه في الرد أن طلب المرء الآية بحسب ما يقترح هو شخصا لا يجوز. أي أن طلب آية وكرامة صحيح، لكن طلب آية معينة أو حدوث أمر معين لا يجوز. وهو لم يحدث في زمن أي نبي. والقرآن الكريم يكذب طالبي الآيات باقتراحهم، والذي طلب آية باقتراحه ظل مردودا. وطلب الآيات باقتراح مكروه لأن الله سبحانه مالك وليس مملوكا. فهو يقدر على إظهار آية يريدها عن قدرته أو بحق رسوله أو أي رجل آخر. فقال السهارنبوري المذكور أولا: لن نقبل إلا إذا أظهر كرامة بحسب طلبنا وحسب مشيئتنا. فقلت له إنك حافظ للقرآن الكريم، ومثقف أيضا، أرجو أن تذكر لي آية ورد فيها موضوع طلب الآيات الاقتراحية. فقال ردًا على ذلك: لقد جاءت بعض النسوة المسلمات والهندوسيات إلى حضرة شرف الدين بو علي قلندر البانيبتي رحمة الله عليه، فقلن له: يا سيدنا، لا ننجب، أرزقنا أولادا، وكان قلندر يأكل الحلوى آنذاك، فقدم لهن لقمة من الحلوى وقال ستنجبن ذكورا، ولن تنجبن إناثا، فأكلن الحلوى كلهن ما عدا واحدة كانت هندوسية فلم تأكل فضله وعادته، وألقت تلك الحلوى عند شجيرة. وبعد تسعة أشهر أنجبت كلهن أولادا ذكورا ببركة عناية قلندر ودعائه، ولم تنجب تلك التي ألقت الحلوى عند شجيرة، فندمت كثيرا. ولما انطلقن كلهن

مع أولادهن إلى زيارة قلندر رافقتهن تلك الهندوسية أيضا، وعندما مررن بتلك الشجيرة سمعن من الشجيرة بكاء طفل، فلما نظرن بإمعان إلى الشجيرة، وجدن طفلا جميلا يبكي ويمصّ إبهامه. فقالت المرأة التي كانت ألقت لقمة الحلوى هناك: يا ويلتي، كنتن قد أكلتن الحلوى من سؤر حضرة قلندر أما أنا فلما كنت هندوسية فقد أخذتُ معي تلك اللقمة وألقيتها هنا عند هذه الشجيرة، فوُلد الصبي هنا في هذه الشجيرة، فلو كنت أكلتها لحُلِقَ الصبي في بطني مثلكن، فالتقطتُ من هناك ذلك الطفل، واحتضنته ومن ثم سال الحليب في ثديها، فجاءت هي الأخرى برفقة النساء الأخريات إلى قلندر بنذر.

قلت له أنت تؤمن بهذا اللغو والكرامات المليئة بالكذب والافتراء. فقل لي هل أسلمتُ تلك الهندوسية أم لا؟ قال لم تسلم، عندها قلت: ما الفائدة من هذه الكرامة، فإنما يُظهر الله كرامة أو آية حيث يرجى نفعُ الإسلام، أو يؤمن بوجود الله من يشاهد الكرامة، أو كان يهدف تصديق صاحب الكرامة. وما الفائدة من الآية التي لا تؤدي إلى الإيمان بالله الأحد واجب الوجود ولا تُظهر صدق صاحب الكرامة، ولا يُمكن مُشاهدتها من اعتناق الإسلام الذي هو مدار النجاة. لكنني لم أسمع منه سوى لا لا. لقد لاحظتُ أن صلابة أهل سهارنبور وقساوتهم فاقت اليهود.

قسوة أهل سهارنبور

أهل سهارنبور متمسكون بالمعتقدات القديمة بحيث لم يحدث فيهم أي تغير مطلق. فهم لا يعرفون الأنبياء، ولم يطلّعوا على سنة الأنبياء ولا يدركون منهاج النبوة. فهم سفهاء وبليدون وأغبياء لدرجة أنهم لا يقيمون وزنا لغير المجانين

والسفهاء والمشايخ عبدة النفس. فإذا كان هناك أولياء فهم هؤلاء المشايخ في نظرهم، فلا يهتمهم ليل نهار سوى الأكل والشرب أو متابعة القضايا. فالذي يخطو خطوة واحدة يتمكن من أخرى أيضا. فلا يُهمُّ المشايخ هناك غيرُ تكفير الآخرين، هم معذورون في أمور الدين بحيث لم يخرجوا من البيت قط، وانحبسوا في حجرة مظلمة ولم يبرحوها حتى الموت، ومن هناك انتقلوا إلى القبر المظلم. جاء مرة إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مولوي وهو محامٍ أيضا، ودرس المنطق والفلسفة ونشأ لديه شيء من حسن الاعتقاد في حضرته، لكن حضرته حين ألَّف كتاب "نور الحق" باللغة العربية، وتحدَّى بالإتيان بمثله، وأعلن تقديم ٥٠٠٠ روبية لمن يأتي بنظيره، زال اعتقاده. لماذا؟ لأن حضرته تحدى بالإتيان بنظير لكتاب نور الحق، وكان ذلك في نظره الخطّ من شأن القرآن الكريم. فواهاً لأهل سهارنبور الذين يعدّون الميزة عيبا والحسن سيئا، وهذه هي ميزتهم وحدهم، عندها تذكرت قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

المناظرة الثالثة مع محام

المحامي: من أين أتيت؟

سراج الحق: أنا قادم من دار الأمان.

المحامي: أما زلتَ تحافظ على المعتقَد نفسه؟

سراج الحق: لا حول ولا قوة إلا بالله، كل يوم هناك فرصة لتصحيح الاعتقاد والتعظيم وهناك موعد خاص للزيارة، لا لتلاشي العقيدة، ما الذي يمكن أن يقلل من اعتقادي؟

المحامي: منذ أَلَفَ المرزا كتاب "نور الحق" يزول اعتقادي به باستمرار.

سراج الحق: متى كنت تعتقد به سابقا؟

المحامي: كنت أحسن الاعتقاد به ولكن لم يعد الأمر على حاله.

سراج الحق: لم يكن لك أي اعتقاد به في الماضي ولا الآن. وإذا كان فلا

يُعتد به، فمثله كالنقش على الماء. ثم قرأتُ عليه قوله تعالى المذكور آنفا، وقلت

له: أي شيء في كتاب نور الحق قد اختلف به اعتقادك؟

المحامي: لم نكن نملك في الإسلام شيئا، وإنما كنا نملك أولا وأخيرا القرآن

الكريم، وكنا نقدمه للمعارضين، ومنذ صدر كتاب نور الحق للمرزا، قد انفلت

من أيدينا القرآن الكريم أيضا، فلم نعد نقدمه إذ قد زال تحديّه بتحدي نور الحق.

معاذ الله.

سراج الحق: أستغفر الله، لم يكن لديكم القرآن الكريم في الماضي ولا الآن كما

صرحتم، أما نور الحق فبه قد ظهرت عزة القرآن الكريم مضاعفة، وإذا كان لدى

البعض شبهة في القرآن الكريم فقد أزالها نور الحق ببركة القرآن الكريم. فالنبع الذي

شرب منه محمد رسول الله ﷺ قد شرب منه نفسه أحمدُ المهدي والمسيح الموعود

عليه السلام. ففي الماضي كان عندنا تحدي واحد، والآن صار تحديان. قل لي: إذا كان سيد

ينجز عملا ما وتمكن غلامه من الإنجاز نفسه فهل ذلك يقلل عزته أم يزيد؟ فعمل

الابن والأب لا يكون عمليين، فقل لي هل يفرح الوالد بإنجاز ابنه أم لا؟ أنت تعرف

أن كلمة غلام تطلق على الابن. وهناك شطر من البيت لأحدهم معناه:

ما عجزَ عنه الأب أنجزه ابنه.^١

^١ ترجمة شطر بيت فارسي. (المترجم)

أما هنا فقد أنجز الابن والأب كلاهما، فأني خسارة حصلت؟ إنك تدعي التصوف أيضا، قل لي أليس من معتقد المسلمين عموما والمتصوفين منهم خصوصا أن "كل كرامة لولي معجزة لنبي". فالمعجزات والخوارق التي تظهر على يد النبي المقبول ﷺ تظهر من أولياء الله من أمته.

المحامي: كلا يا صاحبي، إنما مثله كمثل من ينزع عمامة أحد في السوق أمام الناس ثم يقول إنما قام به لأنه صديقه.

سراج الحق: كلا يا صاحبي، وإنما مثله كمثل من بنى قصرا وتقدم ابنه بعد وفاته وطوره. تدبر أن الملك المغولي شاه جهان بنى مسجدا جامعاً في دلهي واكمل بناؤه، وبقي في فناءه حجرات بناها من بعده ابنه أو حفيده، فهل يمكن أن تقول إنه دمر المسجد وخربه ونكس رأس شاه جهان وأساء إلى سمعته، وساء منظر المسجد فلم يعد قابلاً للزيارة؟ قبل بضعة أيام قد أرسل نواب رامبور "كلب علي خان" مائة ألف روبية لترميم هذا المسجد، فهل يمكن أن تقول إنه لم يتم الترميم، بل قد فكك الفرش، وأن الأحجار الجميلة والرائعة الخلابية التي نُصبت على الجدران قبيحة المنظر؟ لعلك تمارس المحاماة على هذا المنوال، وقد تبين طول باعك في المشيخة والتفلسف.

إذا نظر المرء إلى أمر بعين التعصب فسيجد الإبداع فيه أيضا عيباً كبيراً.^١
المحامي: حسناً، قل لي: لو نظم حسان بن ثابت قصيدة وتحدى بها، فهل كانت تسيء إلى نبوة النبي ﷺ أم لا.

^١ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

سراج الحق: ما الذي كان سيؤدي إلى الإساءة بل كانت ستحسن إليها. انظر ما أعظم الإنجازات التي سجلها صحابة الرسول ﷺ في المعارك والحروب، وقد قتلوا الكفار، بينما لم يقتل النبي ﷺ بنفسه أحدا من الكفار. فقل لي هل ذلك أدّى إلى النقص في نبوة النبي ﷺ أو الخط من شأنه؟ فإن لم يكن ذلك قد أدى إلى الإساءة فهنا أيضا لم تحدث أي إساءة. إن الأنبياء أيضا يُظهرون المعجزات، والأولياء من أتباعهم أيضا يُظهرون الكرامات، كما أن الأخلاق الفاضلة تظهر من الأنبياء ومن أولياء أمتهم أيضا. فهل ذلك يؤدي إلى النقص في النبوة، أم يزيد النبي والنبوة عزّا وشأنا وعظمة وجلالا؟

المحامي: أنا لا أسألك أنت، وأرجو أن تسأل المرزا المحترم عن ذلك.

سراج الحق: أولا واجه خادمَ حضرة المرزا، ولاحقا سنطلب الجواب من حضرته أيضا. لاحقا قابلتُ حضرة المرزا مصادفة وذكرتُ ذلك عنده فقال: أنا أعرفه جيدا، ذات مرة جاء عندي ولم يمكث أكثر من ساعتين، ولم تحدث أي مكالمة معه، وكان يبدو من نقائص طبعه أنه ليس فيه انشراح وانبساط وأن قلبه ليس نورانيا. إذا كان كتابي نور الحق يحيط من شأن القرآن الكريم في رأيه، فليعلم أن جميع الأولياء الذين خلوا في الأمة المحمدية قد صدرت منهم الكرامات، فهل كلها تقلل من شأن معجزات النبي ﷺ؟ من المؤسف أن هؤلاء يخرجون من النور إلى الظلام، ويعدون شيئا حسنا سيئا. فالأصل أن الإنسان حين يمرض يفسد طعم فمه، إذ يجد شيئا حلوا وشهيا مُرّاً، وذلك المريض يخاصم كل واحد بأن الأكل لم يحضّر جيدا، بل الحقيقة أنه قد فسد وفقد ذوقه هو، مهما كان الطباخون قد بذلوا جهدهم في تحضير الطعام،

فهؤلاء مرضى ويعدون أنفسهم أصحاب، ويدهم قشر لا لب معه، فهم يرمون اللب ويرضون بالقشر.

هنا تذكرت نكتة وهي أنني يوم كنت في هانسي جاءني بضعة أشخاص للزيارة، وكان بعضهم من معارفي، وكانوا مريدي شخص. فقلت لهم كيف أنتم؟ هل أنتم بخير وعافية؟ فقالوا لقد جاء بيئنا ومرشدنا، نرجو أن تزوره أنت أيضا فهو رجل صالح جدا ومن الأولياء الواصلين بالله، وهو صورة صادقة لأولياء الله. فقلت لهم طوبى لكم. أما أنا فليس بي حاجة إلى زيارته، لأنه حين جاء إمام الزمان فلا داعي للذهاب إلى مرشد آخر. ولكني أسألكم: على أي أساس وميزة قبلتم أنه ولي الله وواصل بالله؟ فقالوا لا نعرف أكثر من أنه شيخ بسيط بحيث يتناول كل ما يقدم له من الطعام من أي نوع كان، سواء كان الطعام عديم الطعم أو كان المالح فيه كثيرا أو كان مرًا، فلا يقول شيئا بلسانه. فقلت لهم هذا الأمر لا يجعل أي إنسان من أولياء الله والواصلين بالله حتما، بل يثبت من هذا أنه مجنون أو فاقد الحواس، أو مريض. فالذي لا يجد طعما في الأكل فهو مريض جدا، يجب أن تعالجه لكي يستعيد صحته. فهذا المثال يفهمه إنسان ذو فهم بسيط، فمثله كمثل من قال إن مرشدنا ولي عظيم لأنه لا يستطيع أن يرى بعينه، أو لا يسمع بأذنيه، أو لا يقدر على المشي على القدمين أو يده غير صالحتين. فنظرا لهذا لا يصح عدُّ صاحب هذه العيوب مؤمنا عاديا دع عنك كونه وليا، بل يجب أن يوصف بأنه أعمى ومريض ويجب أن تذهبوا به إلى المستشفى للعلاج، أو يمكن أن تأتوا به إلي لأعالجه، فأنتم تعرفون أنني طبيب، فإثر سماع ذلك ضحك بعضهم وبعضهم انزعجوا.

المنافرة الرابعة مع حكيم

ثم تحولت في سهارنبور ووصلت إلى حارة "شاه ولايت"، وهي تقع في وسط المدينة وفيها بيوت الشرفاء والأمراء، معظم سكانها من أهل السنة وقليل منهم شيعة، لكن كلهم أنصاريون، كما يكثر فيها الحكماء والمشايخ. ويقيم فيها المحامون والوكلاء وأصحاب الدخل المرتفع والإقطاعيون الذين يملكون قرى عدة في البلد. وفي الحارة نفسها بيت جدي من طرف أمي أيضا، وفي الحارة مساجد كثيرة وفي أحدها ضريح حضرة الشاه محمد إسحاق، وهو مشهور بـ "شاه ولايت". وكانت جدتي من طرف أمي من سلالة، كما كان حضرة مولانا أحمد علي محدث سهارنبور الذي كان من تلامذة مولانا شاه إسحاق يقيم في الحارة نفسها. ثم انتقل إلى حارة "القاضي" فهو الآخر من أجدادي، وكان يجلس هناك عشرة أشخاص أو اثنا عشر، وكان أحدهم حكيمًا يصدق عليه المثل القائل: مرَّ حكيم من مقبرة فحجب وجهه بمنديل فسأله الناس لماذا سترت وجهك؟ قال إنني أستحيي من هؤلاء لأنني أنا الذي أرسلتهم إلى هنا. وكان هذا يدعي أيضا أنه شيخ، وكان حليق الرأس، فانزعج جدا لرؤيتي وقال من أين أتيت أيها المسيحي؟ قلت أتيت من قاديان أيها اليهودي. فسألني كيف تصفني باليهودي؟ فقلت إن اليهود كانوا يعادون المسيح الناصري عليه السلام وأنت تعادي المسيح الموعود أحمد القادياني عليه السلام، وإضافة إلى كونك يهوديا تترشح منك رائحة النفاق أيضا. وذلك لأنك تنزعج وتغضب من رؤية المؤمن. فقال لي كيف تكون مؤمنا؟ إنما أنت كافر وعديم الإيمان. قلت إن اليهود الأشقياء

كانوا يصفون المسيح وحوارييه أيضا كفارا وعديمي الإيمان، كما كانوا يصفون به النبي ﷺ وأصحابه أيضا، ويسموهم الصابئة. فأنت مثل أولئك المكذبين والمكفرين الأشقياء. ونحن وإيماننا الهمام أمثال المأمورين الصادقين وأتباعهم. أيها الحكيم الشيخ، شبه الحكيم خطر على الحياة كما أن شبه الشيخ خطر على الإيمان، أظهر محاسن إسلامك، ليس فيك غير النفاق والشقاق. فالإناء ينضج بما فيه، وما يوضع بالقدر تغرفه المغرفة.

فقال: كيف نكون منافقين إذ نصلي ونصوم ونؤتي الزكاة ونستعد للحج إذا استطعنا إليه سبيلا. فقلت: رغم كل هذا وذاك أنت منافق. كما قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٩-١٠) وقال في سورة أخرى ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ٢) فقل لي الآن ألم يكن هؤلاء يصلون؟ أو لم يكونوا يمارسون الشعائر الإسلامية الأخرى؟ فلماذا إذن سموا منافقين وكاذبين؟ ومثل ذلك نؤمن بالله ورسوله، ونصلي ونصوم ونستعد للذهاب للحج إذا استطعنا إليه سبيلا، فلماذا تصفنا ملحدين وكفاراً؟ فاليهود والنصارى أيضا كانوا يصومون ويصلون، ويؤمنون بالأنبياء، فلماذا عُدُّوا من الكفار. سبب ذلك أنهم لم يؤمنوا بصدق القلب بأعظم مأمور، أي سيدنا محمد المصطفى ﷺ. ومثل ذلك تماما لم تؤمن بمأمور معظّم هو مثل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهكذا يكون الفرق بيننا وبينكم ما بين السماء والأرض، فأنت مكذب ونحن مصدقون.

علامة المنافق

إضافة إلى ذلك توجد فيك علامة بينة للنفاق، وهي أنك حليق الرأس، وحلق الرأس واللحية من علامات المنافقين، فاستشاط غضبا من ذلك وقال إن حلق الرأس من سنة النبي ﷺ. فقلت هذه هي علامة واضحة للنفاق، حيث تسمى النفاق سنة النبي مثلما يتجاسر السارق. فقال: كثير من المشايخ والعلماء بل المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أيضا يحلق رأسه. فسألته: هل فعل المشايخ من السنة أم فعل النبي ﷺ؟ عندها سألت شيخاً: إذن أخبرنا أنت في أي كتاب ورد أن حلق الرأس من علامات المنافق؟ فقلت قد ورد في المشكاة والبخاري أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَمُرُّقُ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الدِّينِ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَلَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، (أي لن يعملوا به) ينبغي الانقطاع عنهم، فلما سأله الصحابة عن علاماتهم قَالَ سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ أَوْ قَالَ التَّسْيِيدُ. أي يكونون حليقي الرأس واللحية.^١

كان سيدنا المسيح الموعود ﷺ قد أراني في قاديان حديثاً من البخاري، حيث كان الحديث يجري عن الشعر، وقال حضرته عدة مرات إن حلق شعر

١ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحَسِّنُونَ الْقِيلَ وَيُسَيِّئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمُرُّونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرِّمَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طَوْبِي لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتْلَهُمْ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوَّلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: التَّحْلِيقُ. حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَحَوَهُ قَالَ: سِيمَاهُمْ التَّحْلِيقُ وَالتَّسْيِيدُ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَيُّمُوهُمْ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: التَّسْيِيدُ اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ. (سنن أبي داوود، كتاب السنة). (المترجم)

الرأس واللحية علامة المنافق. ثم قال لم يحدث لي أن حلقت رأسي قط وإنما شعر رأسي هو ما نبت بعد العقيقة. فكان شعره ناعما جدا وينسدل إلى الكتفين، كما ورد ذلك من علامات المسيح الموعود عليه السلام.

باختصار؛ عند سماع قولي هذا أحضر الحكيم والمولوي المشكاة وادعى أنه سيخرج لي منها عدة أحاديث تفيد بأن حلق شعر الرأس من السنة. قلت يكفيني حديث واحد فقط، ثم تصفح المولوي المشكاة كلها ولم يجد أي حديث عن حلق الرأس. ثم جاء شيخ آخر وقال بكل تحد إنه سيخرج ذلك الحديث، ثم تصفح كثيرا وأخيرا قدم قول سيدنا عمر رضي الله عنه أنه حين رأى صبيا قد حلق شيء من شعر رأسه، قال حضرته لأبيه إما أن يحلق رأسه كله وإما أن يتركه كله، ومن ذلك استدل ذلك المولوي أن حلق الرأس كله، وعدم الحلق كله من السنة. فقلت أيها المولوي، هذا ليس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هو قول عمر رضي الله عنه وأنا قرأت عليكم حديث النبي صلى الله عليه وسلم وطلبت منكم أيضا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن نقبل قول عمر رضي الله عنه أيضا إلا أن قوله هذا بحق صبي، والأحكام عن الصبي تختلف عن البالغ، كما أن الصبي أحيانا يتجول عاريا ويخاط له اللباس بحيث يكون سهولة في التبول والتغوط، كما أن الطفل ينام مع أمه وأخته أيضا، ولا يجوز له ذلك عندما يكبر. أما الحديث الذي قرأته عليكم فيخص البالغين والكبار، وفيه وردت النبوة أن الناس سينافقون ووردت علامة المروق من الإسلام. وكنا في ذلك إذ جاء أخي الأكبر السيد خليل الرحمن شاه من سرساوه، هو واثنان آخران صدقوا قولي. عندها قال المولوي بخجل دعني أحضر البخاري، فقلت له، يا سيادة المولوي، مهما أحضرت من كتاب لن تجد فيه

جواز حلق الرأس واللحية، لأنه من علامات المنافق، ولا يمكن أن تعدّ علامة المنافق علامة المؤمن.

حين قرأت عليهم الحديث الذي فيه وعيد على حلق الرأس واللحية اندهشوا، وانتشر الخبر في سرسوة أيضا.

نفاق الكنكوهي

كان في سرسوة بعض المريدين للمولوي رشيد أحمد الكنكوهي الذي هو الآخر حليق الرأس، وبعضهم يحسنون به الاعتقاد ول بعضهم علاقة تعظيم عادية به، فقالوا إن المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أيضا يلحق الرأس، ألم يطلع على هذا الحديث؟ فقلت لهم إنه هو الآخر منافق، فالمنافق لا ينتبه إلى نفاقه، ودوما يدّعي الإيمان فقط. فانزعجوا من ذلك، فقلت أرجو ألا تغضبوا علي، ويمكن أن تحتبروا ذلك من أن المولوي المذكور قد نشر إعلانا بأن سيدنا المرزا عليه السلام ومبايعيه كفار، وقد ورد في الإعلان نفسه أنه لا يجوز الحديث مع المرزائيين ومصافحتهم وزيارتهم وإلقاء السلام عليهم. فتعالوا معي لتعرفوا هل يصابحني هذا المولوي ويسلم علي أم لا. وهو يعرف جيدا أن سراج الحق أحدي وقادياني راسخ العقيدة في الأحمدية وعلى وجه البصيرة. فإذا صابحني وسلم علي فهو منافق حتمًا، وإن لم يصابح فستكون أنت الصادق في قولك. فهذا ما حدث؛ فعندما ذهبْتُ أنا وأخي الأكبر شاه خليل الرحمن إلى ككنوه توجهنا إلى زيارة المولوي الكنكوهي أيضا. فقام المولوي لاستقبالنا باحترام، وسلم علينا، وبعد تبادل أطراف الحديث قال لي: أيها البير، قد استقررت في قاديان. وكان في اليوم نفسه قد حلق رأسه.

مولوي منافق

المولوي السهاري نوري الذي كان قد أحضر المشكاة، وكان يعدّ ما ورد علامة للنفاق من السنة، قد افترض نفاقه. وذلك أن المولوي الحافظ أحمد الله خان الأحمد النابوري المعداد من الصالحين الصادقين حين قبل الأحمدية أخبره الحافظ المحترم عن أمور كثيرة لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام وعن دعواه وعن قاديان دار الأمان، وبذل قصارى جهده أن يكون موافقا ولا يبقى منافقا، فاستنار قليلا، وبعد مدة جاء إلى قاديان ونجحت جهود الحافظ المحترم، وكان من معارف مولانا نور الدين دام فيضه. فقابل المسيح الموعود عليه السلام وسيدنا نور الدين، وبعد هذه الزيارة حين نام المولوي ليلا وصلى الفجر معنا في المسجد المبارك جماعة، قال لي: اليوم رأيت النبي صلى الله عليه وآله في الرؤيا، حيث كان النبي صلى الله عليه وآله ينظر إلى مرارا بحب ولطف، وبعد صلاة الظهر أيضا تشرف بلقاء حضرته عليه السلام.

أدلة صدق المسيح الموعود عليه السلام

لقد قدم له حضرته عليه السلام الأدلة الكثيرة على وفاة المسيح الموسوي عليه السلام - بحسب سنة الأنبياء وعدم مجيئه وعلى فضيلة النبي صلى الله عليه وآله وكونه خاتما. وعلى دعواه بأنه المسيح الموعود - من القرآن الكريم والكتاب المقدس والأحاديث وإجماع الصحابة وأقوال علماء السلف، وحلف على أنه هو المسيح الموعود وبيّن أنه هو نفس الموعود الذي بُعث من الله على رأس القرن، وأن رأس الألفية السابعة أيضا يشهد له، وأن الشمس والقمر (بانحسافهما) في رمضان بالضبط قد شهدا له وكذلك تعطيل العشار، وأنه ظهر من أجله المذنب ذو السنين لا مرة واحدة بل عدة مرات، وأن الله تعالى أرى آلاف الناس آلاف الآيات على يده، فظل

هذا المولوي يستمع إليه بصمت، ولم ينطق. فلما ذهب حضرته من المسجد إلى البيت، جاء المولوي من هناك إلى بيتي برفقتي، وقال لي إن زيارتي للنبي ﷺ الليلة، وأنه كما كان النبي ﷺ ينظر إلي بطرف عينه، كان المسيح الموعود ﷺ ينظر إلي مثله تماما أثناء خطابه، وأن وجهه كان يماثل وجه النبي ﷺ تماما، دون أن يكون بينهما أدنى فرق، ويبدو أن حضرته صادق حتما.

تعبير رؤيا

فلما خرج المولوي المحترم من أرض قاديان ودخل أرض سهارنبور أرسل إلي رسالة كتب فيها إنه رأى في الرؤيا الليلة أن وجه المرزا يشبه صورة المجانين والسفهاء، فقرأت تلك الرسالة على حضرته، فقال حضرته في تعبيرها أن الذي يرى في الرؤيا أي صالح أو نبي أو رسول أو إمام أو ولي على صورة سيئة أو يرى فيه عيبا أو يراه مريضا، فإنه يرى حالته هو في الرؤيا، تلك هي حالته هو لا حالة ذلك الصالح، لأن ذلك الرجل في مرآة جمالم يرى صفته الداخلية كما هو في الحقيقة. فرؤيا المولوي صادقة، إذ قد رأى جنونه وصفاته الداخلية، فالأنبياء وأولياء الله هم مرايا، ومعلوم أن المرآة تعكس وجه الرائي فيها تماما كما كان وجه الناظر إلى المرآة ينعكس فيها. فهذا نوع من إتمام الحجة. ثم قال إنه نظر قبيح المنظر في المرآة فرماها على الأرض قائلا إن هذه المرآة قبيحة جدا، تعكس الصورة القبيحة. فلم ينظر إلى وجهه وعييه بل وصف المرآة بالسيئة، ثم قال: اكتب التعبير نفسه إلى المولوي. أخبره أنه كان قد رأى وجهي أولا مماثلا لوجه النبي ﷺ، فلما زال الإيمان عنه، أراه الله صورته الحقيقية. فقلت لحضرته يا سيدي عندما كان في قاديان قد رأى حضرتك على وجه النبي ﷺ فلما عاد إلى

أرض سهارنبور القاسية وزال إيمانه بالنبى ﷺ أرى صورته الحقيقية، وذلك لأن وجه حضرتك هو وجه النبى ﷺ تماما. وقلت له إن سهارنبور ذكّرني بحكاية. فقال حضرته اسرد علي تلك الحكاية، فأنت حفظت حكايات كثيرة. فقلت إن شخصا حمل والدته على ظهره إلى مكة قصد الحج، وحج وهي على ظهره. ثم عاد في الحالة نفسها، ولما وصل إلى حدود سهارنبور ألقاها على الأرض وقال لها لقد اصطحبتك من أجل الحج فواجهت مشكلة عويصة، فالآن اذهبي حيث تريدین فأنا لن أرافقك بعد الآن. فعرفت تلك المرأة العجوز أن هذا من تأثير سهارنبور وإلا فابئها صالح بارٌّ بها، لذا قالت له ملتزمة: أنا أمك لماذا تسيء إلي، أرجو إيصالي إلى البيت. فأساء إليها كثيرا وقال لها لست والدي وأنا لست ابنك. فقد تعبت كثيرا وانقصم ظهري، فلن أحملك، قال هذا وانطلق. فقالت له حدث ما حدث فأرجو أن تخرجني من حدود هذه المدينة، وسوف أدفع لك الأجرة التي تريدها على ذلك، فوافق على ذلك وانطلق حاملا إياها على ظهره، فلما خرج معها من حدود سهارنبور، قالت له العجوز: اتركني هنا واستلم مني الأجرة، والله مالكي. فبدأ يبكي إثر سماع كلام الوالدة وقال لها أنت أُمي الغالية وأنا فداء لك كيف أتركك هنا، وأخذلك في هذه الحالة في غابة، إن نفسي ومالي فداء لك.

بعد سماع هذه الحكاية تبسّم حضرته وصمت، ثم أرسلت استجابةً لتوجيه حضرته بطاقةً بريدية إلى المولوي في سهارنبور، وكتبت فيها التعبير نفسه. فلما كان المولوي يدّعي تلقي الإلهام والرؤى، فلم يرد على هذه الرسالة ردا عقلانيا، بل زاد من هرائه.

الدليل الثاني على نفاق هذا المولوي أنه حين يسافر من سهارنبور إلى مدينة يكثر فيها غير المقلدين يصبح بشدة غير مقلد ومن أهل الحديث، ويصلي مثل غير المقلدين، وحين يعود إلى سهارنبور يبدي وكأنه من الأحناف المقلدين الأقوياء، ويصلي كالأحناف.

الصلاة خلف غير الأحمدي

بعد قليل وصل إلى هناك عشرة أو اثنا عشر مثقفاً، والمولوي الحكيم محمد إسحاق أيضاً. فسألني: لماذا لا تصلي معنا جماعة؟ فقلت له في هذه الأيام تسود الفتنة وهي أنكم افتزقتم على فرق كثيرة، من الوهابيين والسنين والروافض والمقلدين وغير المقلدين، يكفر بعضهم بعضاً. ولا يتبين من هو الكافر في الحقيقة، ومن هو المسلم. وقد ورد في الحديث أنه من كفر مسلماً فقد كفر، والآن حين يكفر هؤلاء بعضهم بعضاً لم يبق أحدهم مسلماً. لذا لا تصح صلاتنا وراء كافر. فلما سمع الحضور هذا الأمر خافوا وقالوا: هذا صحيح. لكن المولوي قال إنك أيضاً من هذه الزمرة، ولم تنج من الكفر، كيف بقيت مسلماً؟ فقلت له: سيادة المولوي، نحن فقط مسلمون في العالم. وذلك لأننا لا نكفر أحداً، وهذه هي علامة إسلامنا.

المناظرة الخامسة حول وفاة المسيح عليه السلام

ثم سألني الجميع ما هو الفرق بيننا (أي عامة المسلمين) وبين الأحمديين؟ قلت: ليس هناك أي فرق، لكنكم إذا تأملتم فستجدون الفرق كبيراً، فنحن نعتنق عقائد الإسلام، ونؤمن بالإله نفسه والرسول نفسه والقرآن نفسه وأركان الإسلام من الشهادتين والصلاة والصيام والحج والزكاة هي نفسها، وكذلك

الأحكام الإسلامية الأخرى. وإنما الفرق هو أننا بمقتضى حكم القرآن والحديث وإجماع الصحابة، نؤمن بأن عيسى عليه السلام قد توفي، وأن عيسى الذي وُعد مجيئه في الأمة المحمدية هو حضرة ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام.

المولوي: كيف يمكن أن يكون المرزا عيسى عليه السلام؟! فهو قاعد في السماء حيا. أنا: هو ليس حيا، بل قد مات.

المولوي: أين ورد أنه قد مات وليس حيا؟

أنا: اقرأ الآيات الأخيرة من سورة المائدة، وإن لم تحفظ فأحضر لي القرآن الكريم أقرأها لك.

المولوي: قد ورد في التفاسير أن عيسى عليه السلام قد رُفع حيا إلى السماء.

أنا: قد ورد في التفاسير أيضا أنه قد توفي.

المولوي: سنقبل كلاما مبنيًا على الفتوى حصرا.

أنا: ليس هناك كلاما مفتي به، فالاختلاف موجود.

المولوي: إنما المراد من المفتي به رأي الجمهور والذي تم الإجماع عليه.

أنا: أيها المولوي، إن رأي الجمهور والإجماع ليس على حياة عيسى عليه السلام.

وإذا كنت تؤمن بالإجماع حصرا فإجماع الصحابة رضي الله عنهم موجود، ولم يخالف أي من الصحابة هذا الإجماع.

المولوي: أين ورد هذا الإجماع.

أنا: في صحيح البخاري، حيث ورد أن الصحابة انقسموا بُعيد وفاة النبي

ﷺ إلى ثلاث فئات، إحداها تقول بأنه ﷺ توفي، والثانية تقول إنه حي، ومنها

عمر رضي الله عنه الذي أعلن أن من قال إن النبي ﷺ قد مات فسوف أقتله، والفئة

الثالثة كانت تقول إن النبي ﷺ مات مؤقتا وسوف يحيا من جديد ويعاقب المنافقين. فلما حضر سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ جاء إلى جثمان حضرته ﷺ وقبّل وجهه، وقال لن يجمع الله عليك موتتين، وقرأ الآية على الناس: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ أي لم يكن محمد ﷺ إلها حتى يخلد، وإنما كان رسولا وقد خلا كما خلت من قبله الرسل كلهم. فأجمع الجميع على ذلك، وأدخل عمر ﷺ سيفه في غمده، وحُسمت القضية. فلو كان عيسى عليه السلام حيّا لا اعتراض أحدهم. فكان أول إجماع حصل على موت عيسى عليه السلام، فإذا كنت توقن بالإجماع فاقبل هذا الإجماع.

فليس ثمة إجماع أقوى من إجماع أصحاب النبي ﷺ، فترك هذا الإجماع وجمهور الصحابة واختراع نوع آخر من الإجماع لا يصح. فتدبروا لله.

المناظرة السادسة مع طالب

بعد خطابي هذا استشاط المولوي غضبا، وأراد المحاجّة، ولم يقدر على ردّ، فتوجهت إلى محطة القطار، ولما كان بيع التذاكر سيبدأ متأخرا وكان وقت صلاة الظهر قد حان، توجهت إلى مسجد صغير قريبا من المحطة يصلي فيه المسافرون والقادمون، ودخلت فيه لأصلي، ووجدت هناك بضعة طلاب يتكلمون عن الخلافات الدينية، ويقولون فيما بينهم انظروا كم من الأديان قد انتشرت في العالم، والآن ظهر دين جديد يسمى "القاديانية" وهو أشد ضلالا من الجميع. متى كان يستسيغ سراج الحق أن يسكت بعد سماع الإساءة إلى قاديان؟ فقد ورد في الحديث "الساكت عن الحق شيطان أخرس". فقلت لهم هل القاديانية دين؟

طالب: نعم هو دين تأسس في البنجاب.

أنا: هل القاديانية اسم رجل أو دين؟

طالب: هذا لا نعرف.

أنا: ما دمت لا تعرف، فكيف تقول إنه دين ضال، ألم تقرأ في الأحاديث أن الكفار كانوا يسمون النبي ﷺ صابئاً والعياذ بالله، ومثل ذلك هناك أمور كثيرة قديمة إذا ذكرت الآن فستبدو جديدة، فاعتبروا المسلك القادياني كذلك.

طالب: هكذا سمعنا من أساتذتنا المشايخ.

أنا: لقد ضللتم وأساتذتكم المشايخ أيضاً ضلُّوا.

طالب: كيف تعدُّنا وأساتذتنا من الضالين. فقد أخبرونا أن عيسى عليه السلام حيٌّ في السماء الرابعة بينما يقول القاديانيون إنه توفي.

أنا: هل سألتهم الأساتذة أين ورد أن عيسى عليه السلام حي؟

طالب: ما دام المشايخ يقولون ذلك فمن المؤكد أنه قد ورد في مكان. وإن لم يكن كذلك فأخبرنا أنت أين ورد أن عيسى عليه السلام قد توفي.

أنا: فقد جاء في القرآن الكريم: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ وَتُفِّيكَ﴾ (آل عمران: ٥٦) وورد في سورة أخرى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (المائدة: ١١٨). قل لي هل ورد "تحْييك" بدلا من متوفيك و"أحييتني" بدلا من توفيتني؟

طالب: لقد كتب المفسرون أن متوفيك وتوفيتني تعني الحياة.

أنا: إذا بيّن المفسرون لأي آية معنى وبين النبي ﷺ وأصحابه معنى آخر لتلك الآية فأيهما أجدر بالقبول؟

طالب: إنما سيعد المعنى الصحيح ما رُوي وثبت من النبي ﷺ.

أنا: قد ورد في كتاب التفسير من صحيح البخاري الذي يُعدّ أصحّ الكتب بعد كتاب الله، أن النبي ﷺ فسّر "توفيتني" بمعنى أمتني وفي الباب نفسه ورد معنى ابن عباس لمتوفيك أنه مميتك. فقل لي الآن ما هو الصحيح؟

طالب: ماذا نفعل نحن؟ فهنا فئة كبيرة من العلماء، ألم يقرؤوا صحيح البخاري؟

أنا: فالعلماء في هذا الطرف أيضا، أما علماؤكم فلم يقرؤوا صحيح البخاري، فلو قرؤوا لما وقعوا في هذه الأغاليط والضلال.

طالب: ليس هناك أي مولوي قادياني.

أنا: (فلما كان هؤلاء الطلاب هنودا لذا كان لا بد أن أذكر له الهندي من العلماء) فقلت لهم: هناك عالم وفاضل ومحدّث هو المولوي محمد أحسن الأمروهي المحترم فهو قادياني، وإضافة إليه هناك علماء وفضلاء كثير.

طالب: أستغفر الله والعياذ بالله! ليس مولانا الممدوح قاديانياً أبداً، بل هو معارض شديد، وأنا من سكان أمروهة بالذات.

أنا: ما الذي يدعو إلى التوبة في هذا، فالمولوي المحترم بفضل الله تعالى ما زال حياً يرزق، وله كتاب "إعلام الناس" في ثلاثة أجزاء، وهو منشور، وهو في تأييد المذهب القادياني، وفي الرد على معارضيه. ويمكن أن تستفسره.

طالب: ربما ألّف هذه الكتب شخص آخر ونسبها إلى مولانا. بينما كنا نتكلم في هذه المسائل إذ جاء القطار، فذهبت إلى شراء التذكرة وأنا أتعجب من هذا الكلام البذيء للطلاب، أن من المحتمل أن يكون مولانا محمد أحسن الأمروهي حياً وينشر شخص آخر كتاباً باسمه، دون أن يعرف

بذلك حضرة المولوي. وأخيرا أتيتُ سرساوه، وبعد بضعة أيام تسنى لي الذهاب إلى سهارنبور.

فكرة مدير محطة القطار الهندوسي

فلما نزلتُ في محطة سرساوه قابلتُ مدير المحطة الهندوسي، ولما كان وصول القطار التالي سيأخذ وقتا، فقد جاءني عدد من المسلمين والهندوس. سألتني مدير المحطة إذا كانت عندي جريدة من قاديان. قلت نعم عندي جريدة "بدر" فهي تأتي إلى الحكيم مرزا عباد الله بيك من قاديان، فقال لي المدير بالتماس كبير: أرجو أن ترسلها إليّ فسوف أقرأها بتدبر، وإذا وصلت أيضا من حضرته أي كتيب أو إعلان أو كتاب عن موضوع فأطلعني عليه حتما. وقال: كنت عادة أطلع على كتب حضرة المرزا وإعلاناته ما دمت في قاديان، ومنذ أتيت إلى محطة سرساوه لم يتسن لي رؤية أي كتاب لحضرته، لقد كتب حضرة المرزا كتابا عن الصلاة. ووجدت فيه جملة مليئة بفلسفة رائعة يستحيل صدورها من لسان أحد أو قلمه ما لم يكن من المصطفين والمرسلين، وتلك الجملة هي: "الصلاة في الحقيقة هي عبادة لإنشاء العلاقة مع الله تعالى، وبها يتقرب المرء إلى الله، فهي ليست فريضة أو خدمة يضطر المرء لأدائها كارهًا ومضطّرًا، بل يجب أن يصلي بذوق وشوق وطلبٍ كما يبحث عند الجوع والظمأ عن الطعام والماء، تاركًا كل شيء."

لقد بين ذلك المدير الهندوسي هذا الموضوع بكلماته. وقال: بقراءة هذه الجملة نشأت لدي لذة. إذن قد نشأت لذة لدى ذلك الهندوسي بقراءة هذه الجملة المليئة بالصدق، أما راقم السطور هذا، فقد حصلت له المتعة من جديد.

المناظرة السابعة عن النبوءات

ثم ركبْتُ القطار ووصلت إلى سهارنبور، وكانت هناك فيلاً لذلك الأمير قريبا من المحطة فذهبت إليه، فكان يتكلم مع مولوي سهارنبوري عن نبوءات سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وكانا يتبادلان الحديث أن عدة نبوءات لحضرة المرزا لم تتحقق.

الأمير موجَّها الخطاب إلي: ماذا تقول عن نبوءات حضرة المرزا التي لم تتحقق.

أنا: أي نبوءة لم تتحقق؟

الأمير: هي كثيرة.

أنا: اذكر لي واحدة، فلزم الصمت، وأيقن أن المولوي المحترم سيثبت ذلك. ثم قلت له إن كتابيه نور الحق وكرامات الصادقين قد نشر في البلاد بتحدٍ أن يقدم أحد نظيرهما، فعجز المسلمون والنصارى كلُّهم عن الإتيان بنظيرهما، ومع أحدهما جائزة خمسة آلاف ومع الثاني جائزة ألف روية أيضا، ثم كتب أيضا أن الذي لن يتصدى للإتيان بالنظير فهو نطفة حرام، ثم سجل ألف لعنة. وإضافة إلى بلاد أخرى لعل مائة ألف مولوي يقيم في الهند وحدها، فلو كتب كل واحد منهم سطرًا واحدًا لألفوا عشرة كتب مثل نور الحق، باللغة العربية الفصيحة والبليغة. فنور الحق كتاب صغير لو كُتب بحجم خط متوسط فلن يفوق كتاب "كرىما" حجما. فمَن منهم أبطل هذه النبوءة؟ فقد ثبتت هذه الآية العلمية والنبوءة العلمية إلى يوم القيامة. أما الادعاء باللسان بأن النبوءات لم تتحقق فهي سنة النصارى الذين يقولون إنه لم تصدر أي معجزة من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فليس قولكم هذا أكبر وقعًا من قول النصارى. قلت ذلك وانصرفت إلى المدينة.

سبب تأليف نور الحق

إن سبب تأليف كتاب نور الحق الذي ألفه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أني يوم كنت في سرساوه جاء لزيارتنا القسُّ عماد الدين الأمرتسري، وأحضر لي كتابيه "توزين الأقوال" و"التعليم المحمدي" وكتابا آخر من تأليفه، فحزنت جدا بقراءة هذه الكتب ضد الإسلام، فأرسلت كتاب توزين الأقوال في ظرف إلى حضرته عليه السلام. وبعده بأسبوعين تقريبا أتيت إلى حضرته، فقال لي حضرته بعد التسليم والمصافحة، إن كتاب عماد الدين الذي أرسلته موجود عندي، كنت أجلات الرد عليه إلى حين مجيئك. ثم أخذ الكتاب وذهب إلى الخارج، وبدأ يتمشى في مكان بنيت عليه الآن المدرسة الأحمدية. وقبل ذلك كان هناك رصيف فقط قد بناه سيدنا الحكيم نور الدين الخليفة الأول. كان حضرته عليه السلام يذكر القس عماد الدين متمشياً، حتى طلع علينا جناب منشي رستم علي المرحوم - مفتش المحكمة - في عربة حصان. فسرُّ حضرته كثيراً بحضوره وذكر له كتاب عماد الدين.

حال "بله شاه"

فقال له المنشي المرحوم والمغفور له أنا أيضا أحضرت معي ذلك الكتاب. فأنا منزعج جدا بقراءة هذا الكتاب، فقد كتب القس عماد الدين فيه أموراً لا علاقة لها بالإسلام، إنما الكتاب مليء بالبهتان والافتراء. فقلت لحضرته: يا سيدي، في هذا الكتاب قد كتب عماد الدين، أنه لم يخل في المسلمين أي ولي، وإنما سمعنا أنه كان في مدينة قصور "بله شاه"، وبالاستماع إلى قصائده وقراءتها نعرف أنه لم يكن يعدّ الإسلام شيئاً يعتد به، وكان يسيء إليه، ويجب الخمر والإباحية، وقد أساء في أبياته إلى الإسلام كثيراً.

فقال حضرته عليه السلام: أمثال هؤلاء هم الذين شَوَّهوا سمعة الإسلام، هم في الحقيقة عار على الإسلام والإيمان، وإن وجود هؤلاء مسيء إلى صلحاء الإسلام، فليعتبر المسلمون من أمثال هؤلاء. فلو لم يكونوا لما أُصِّقت التهم بالإسلام، مع أن الإسلام في الحقيقة دين منور يستحيل أن يوصم بأي نوع من الوصم. فهؤلاء كانوا ضررا على الإسلام بدلا من نفعه. فالذين في نفوسهم زيغ وعوج يقدمون هذه الأمور، ويتركون الصلحاء ويختارون أمثال هؤلاء البدائين. وإلا فالإسلام قد أوصل الألوف المؤلفة من الناس بل وملايين الناس إلى درجة لم يحظ بها حتى المسيح.

ثم قلت له إن القس عماد الدين عدوُّ شرس لـ "وحدة الوجود"، فضحك حضرته بسماع ذلك وقال: كان لا بد أن يعادي، وقال باللغة البنجابية ما تعريبه كما شرحها وفسرها قائلا، إن معتقداهم المخترعة المتوهمة من الألوهية والابنية والكفارة تتبخر، ولا يبقى لهم أي شيء. إذ لما عُدَّ كل شيء إلها فلم يبق الثالث ولا الثنية ولا الألوهية، فقد تلاشى كل شيء دفعة واحدة. فهؤلاء يفيدون ضد أمثال هؤلاء، كما كان الخوارج مقابل الشيعة. ﴿الْحَبِيثَاتُ لِلْحَبِيثِينَ﴾.

أخيرا قرأ المرحوم المنشئي موضوع الكتاب من بعض الصفحات. فقال حضرته: سأكتب الرد الكافي عليه بعد قراءته كلّه بنفسي من أوله لآخره. ثم قال: إن ما قاله القس عماد الدين إنه لم يكن في المسلمين أي ولي، فما أدراه مَنْ هو الولي، وعلى من تُطلق الولاية، فليفتح القس عماد الدين عينيه ليرى كيف يكون الأولياء. أما في العصر الحاضر فسيد الأولياء موجود.

ذات يوم ناداني أميرُ الضعفاء حضرةُ مير ناصر نواب وقال، يا "بيران بير"¹. فقلت له: إن هذه الجملة ليست صحيحة، إذ معناها: المرشد الذي له مرشدون كثيرون. غير أن جملة "بير بيران"¹ صحيحة إذ معناها: مرشد المرشدين ولكن كلا التعبيرين لا ينطبق علي، لأن لي مرشدًا واحدًا وهو مرشد المرشدين. فلست "بير بيران"، وإنما مصداق هذا التعبير هو سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. ثم ذهبتُ إلى حضرته عليه السلام لأنني كنت يومها أكتب الردود لرسائل حضرته، وكان سجلُ المبايعين أيضًا عندي، والذين كانوا يبايعون عبر الرسائل كنت أسجل أسماءهم في هذا السجل، والذين كانوا يأتون شخصيًا لبايعوا على يد حضرته كنت أدخل معهم، وإن لم أدخل معهم كان حضرته يناديني ويطلب مني تسجيل أسمائهم وعناوينهم وبياناتهم في السجل. وأحيانًا كان عليه السلام يطلب من المبايع بعد البيعة أن يسجل اسمه عندي. فكنت أحضرُ عند حضرته بلا تكلف، فذهبتُ إليه فقال لي فيما أتيت يا سيادة الصاحبزاده؟ قلت: من أجل الردود على الرسائل، فإذا كانت عندك بعض الرسائل أرجو أن تسلمنيها. فقال: نعم هناك بعض الرسائل وبعضها رسائل البيعة. ثم قال لي: ما الذي كنت تناقشه حول "بيران بير" و "بير بيران"؟ ففهمتُ أن حضرته ربما أُطلع على ذلك في الكشف، فبينتُ له ما جرى في الحوار، وقلت له إن حضرتك "بيران بير"، فقال: إن تعبير "بير بيران" هو الصحيح. ثم قال: كنتُ ذات يوم مستلقيًا في فناء البيت، فأنكشف عليَّ عالمُ الملكوت، ورأيت ملائكة كثيرين في ثياب فاخرة غالبية يغنون في وجد، ويمرّون بي في كل مرة ويمدّون إليّ أيديهم في كل مرة مردّدين

¹ هذه الألقاب فارسية. (المترجم)

بيت قصيدة ينتهي شطرها بكلمة "بير بيران". كانوا يشيرون إليّ ماذّين أيديهم إلى وجهي تمامًا وقائلين: "بير بيران".

الآن سيعلم هذا القس أن الإسلام دين مبارك جدا، الذي أنجب مئات الألوف بل عشرات الملايين من الأولياء. فقد صاروا ببركة محمد ﷺ خاتم الأنبياء وأتباعه أولياء كمّلا لا حصر لهم. وكثير منهم كانوا يفوقون المسيح. يقول رسول الله ﷺ: "علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل". فهذه الجملة ترجمة للآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣٢)، فالكاف في الحديث للتشبيه، وهو يرد أحيانا للتفوق والزيادة وأحيانا للتساوي، ويُستخدم للعدد أيضا. والمسيح أيضا معدود ضمن أنبياء بني إسرائيل. فكما أن النبي ﷺ مثل موسى وهو يفوق موسى عليه السلام كذلك فإن علماء النبي ﷺ وخلفاءه أكبر درجة من علماء موسى عليه السلام وخلفائه.

ثم بدأ حضرته كتابة الرد على هذا الكتاب. فلما كتب صفحتين خرج وقال: يا صاحبزاده، لقد سمّينا هذا الكتاب باسمك "نور الحق". وكان بالكاد قد كتب خمس أو أربع صفحات إذ أصيب حضرته بألم شديد إثر نوبة صداع ودوار منعتة من حضور المسجد لثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع جاء حضرته لصلاة الفجر وصلى الصلاة جماعة قاعدا وبصعوبة. وكنت واقفا بجانبه في الصف الأول، وكان حضرته يتعرق. من ذلك فهمت أن اليوم حتماً يوم نزول الوحي، وتنوّر وجهه بحيث كان يجدر بأن يصوّر، وكان مصابا بضعف شديد أيضا، إذ لم يقدر حضرته حتى على الجلوس فاستلقى. وكان الفصل شتاء وكان حضرة مولانا وأولانا المولوي نور الدين المحترم وجناب مولانا المولوي سيد محمد أحسن

الأمر وهي المحترم والمنشي رستم علي المحترم، والمولوي عبد الكريم المحترم، وغيرهم من الإخوة عنده، فقال حضرته: أنا مصاب بألم شديد، أرجو أن تدلك ظهري قليلا، فبدأت أدلك ظهره استجابة للأوامر، فبعد عشر دقائق نهض حضرته فجأة وجلس وزال عنه الألم كله، وقال: الآن تلقيت إلهامًا بحق كتاب نور الحق هذا. "إن كنتم في ريب مما أيدنا عبدنا فأتوا بكتاب من مثله." وسرَّ بهذا الإلهام سرورا لا يوصف، وظل يتكلم عن ذلك طويلا. ثم قال: لقد فتح الله بيننا وبين معارضينا، فلنر من ينقض دعوانا بالتقدم لمنافسته من المسلمين والمسيحيين. فلما أوشك تأليف هذا الكتاب على الانتهاء، قال حضرته: أود أن أكتب ألف لعنة للذين لا يقدرّون على الإتيان بمثله، لتشجيعهم على التصدي. فقلت يا سيدي، أرجو أن تكتب ألف لعنة عددا، حتى لو أخذت كتابتها عددا من الصفحات. فقال هذا الاقتراح صحيح. وإضافة إلى اللعنات كتب أيضا أن الذي لا يتقدم للمبارزة حتى بعد هذا الكتاب، ولا يوقن بإلهامنا، ويكذب جالسا في بيته، أو يختلق الأقاويل فليس ابن حلال. وإلى جانب ذلك كتب الوعد بتقديم ٥٠٠٠ روبية جائزة.

الآن، يقول صاحب هذه الرحلة، إن الذي كذب دعوى حضرته ولم يأت بنظير لكتاب نور الحق، ولم يخف وعيد ألف لعنة، فليس من أبناء الحلال. فكأن ذلك المكذب سلّم باستحقاق ذلك الخبث، واعترف بأن عناده جلب له هذا الخطاب القبيح.

لقد تكلمت مع كثير من الناس والمشايخ عن هذا، لكن واهما للعناد والتعصب، إذ لم يُقرّ أحدهم أنه سيأتي بنظير هذا الكتاب. فقد أخذوا ألف لعنة، ولم يفكروا

في عدم كونهم أبناء الحلال، فلم يخافوا ورود هذا الخطاب. وإنما ظلوا يدعون بألسنتهم إننا نقدر على أن نأتي بمثله إذا أردنا. أفلم يقرؤوا في القرآن الكريم أن هذا ما كان كفار العرب يقولون، ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ (الأنفال: ٣٢).

إرسال كتاب "نور الحق" إلى العلماء المعاصرين

فلما تجهز هذا الكتاب بعد الطباعة قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لهذا العبد المتواضع: أعد قائمة بأسماء كبار العلماء في الهند، وأرسل هذا الكتاب بالبريد المسجل إلى جميع علماء العرب والشام وتركيا ومسقط وإيران وبغداد وكربلاء. فنفذت الأمر وأرسلت نسجاً من الكتاب بعد إراءة القائمة للمسيح الموعود عليه السلام وأرسل الجميع الوصل الموقع، وبعض العلماء سلموا بعظمته وعدم قدرتهم على تأليف كتاب مثله، ومنهم المولوي عبد الله الخراساني، فكتب: أستطيع أن أكتب أعجب النصوص باللغة العربية لكنني لا أستطيع أن أنافس هذا الكتاب الذي هو فعلاً نور الحق، لأنه قد صدر من النبع والنور نفسه الذي صدر منه القرآن الكريم. وكذاب من يعيّه. ويُشكّ في كونه ابن حلال من أعرض عن النور الحقيقي. وصادقٌ وورعٌ من صدر من فمه وقلمه هذا الكلام منقطع النظير، وأعمى من لا يرى رغم وجود النور، كنت معارضا جداً وكنت أعمى لو لم يقع نظري على هذا الكلام عديم المثال. فكنت قد صرت من أهل جهنم. الآن سأزور حضرته قريباً إن شاء الله.

ومنهم جناب مولانا المولوي محمد يحيى المحترم. عندما كنت أرسل الكتب قال لي حضرة مولانا نور الدين المحترم الاسم على المسمى، (حين أكتب اسمه العظيم أفكر في ألقابه وأخيراً يفتيني قلبي أن هذا الاسم المقدس غني عن أي ألقاب، لأن

اسمه المبارك لا يحتاج إلى أي لقب، بل من سعادة الألقاب أن تقتزن باسمه. ذات يوم أرسل وقح فتوى الكفر باسمه، فقال حضرة نور الدين المحترم: الكفر لا ينطبق على نور الدين) أرسل كتابا إلى المولوي محمد يحيى المحترم، فلما غلفت الكتاب كتبْتُ عليه بدلا من اسمه "يا يحيى خذ الكتاب بقوة". فلما رأى حضرته ذلك المغلف سألتني هل تعرفه؟ قلت أنا لا أعرفه لكن حضرة مولانا نور الدين المحترم قال لي أن أرسل إليه كتابا. فقال حضرته: حسنا، أرسل. ثم سألتني من كتب هذه الآية؟ فقلت له أنا كتبْتُها، فقال أحسنت. فلو أعددتُ هذا المغلف بنفسِي لكتبْتُ هذه الآية حتما، فلما توارد قلبك قلبي، فإن ما كتبته كأنني كتبته، ومما يحدث أن فيض البير والمرشد يقع على المريد، وتأثير الأستاذ يقع على التلميذ. الآن قد بدأت تفهم مشيئتي، أرسل الكتاب، ثم دعا عند إرساله. وحين وصل الكتاب إلى المولوي محمد يحيى سرَّ سرورا برؤيته، واستلم الكتاب بانشرح الصدر، وأخذ حق أخذه.

باختصار كلما أصيب حضرته بألم كنت أفهم أن الوحي يوشك أن ينزل على قداسته مهبط الأنوار الرحمانية ومصدر الفيوض الربانية عليه السلام. فكان حضرته يمرض قبل عدة أيام من نزول الوحي والإلهام، وبعد نزول الوحي كان يتحسن فوراً ويتقوى، فذلك الألم كان ألما في نظرنا، وكان ضعفه ضعفا في نظرنا. فلم يكن في الحقيقة هناك أي ألم ولا ضعف، بل كانا أفضل من آلاف الراحة والقدرات. فما قيمة البشر أمام عظمة الله وجبروته وهيبته وجلاله وما حقيقته. إذا كان الإنسان لا يقدر على مواجهة حرقة الشمس والنار، فأنى له أن يتحمل التجلي الإلهي! ولا يشعر بهذه الحقيقة إلا الذين نالوا الضوء الحقيقي من ذلك النور، والذين نوروا عيونهم بالجمال الإلهي.

ذات مرة قال حضرته عليه السلام أنه في مثل هذه الحالة تتقوى كثيرا جميع قوانا وحواسنا من الذاكرة والبصر والشم وغيرها، ويكون مثلها كمثل مكان مظلم لا يرى الإنسان فيه شيئا، وينشأ فيه فجأة ضوء؛ فلا يتقوى نظره فقط بل تزيد كل قوة فيه.

بيان حالة الكشف

ذات يوم أصيب حضرته عليه السلام بالدوار، فطلب ميان قطب الدين المرحوم من سكان "كوتله فقير"، وكنت جالسا عنده أمسّد رأسه، فقال له حضرته ذلك ساقّي بالزيت، فأنا أعاني ألما شديدا في الرأس. فبدأنا نلك كلانا ساقّيه، وبعد قليل جاء أيضا شيخ نور أحمد المحترم من سكان جالندهر. كان يرى رؤى كثيرة وكانت تتحقق عادة، فانضم إلينا في تدليك ساقى حضرته. فقال قطب الدين المحترم: يا سيدي، كنت آتي من جهلم بالقطار، وفي إحدى المحطات رأيت حضرتك تمشي، فنزلت من القطار وصافحتك، فقلت لي بعد المصافحة: اركب القطار بسرعة، فهل ذهبت إلى هناك؟ فقال: هذا نوع من الكشف، وأحيانا ترد على أحد حالة الكشف دون أن يشعر بذلك. ثم قال: كان هنا في قاديان شخص قال لي: ذهبت اليوم إلى المقبرة ورأيت بعض الناس جالسين على قبورهم. فالإنسان لا يسكن في القبر لكن للروح كيفية مجهولة الكُنه، ولا يدركها إلا صاحب الكشف الخبير. لقد تعثر الآريون والمسيحيون وأتباع الأديان الأخرى في فهم الروح، كثيرون يقولون إنهم رأوا فلانا من الصلحاء في مكان ما، ويقول غيرهم إنهم رأوه في مكان آخر، ورؤية الصالح في مكانين مختلفين تكون قد حصلت في وقت واحد. فهذه هي الحالة الكشفية لصاحب

الرؤيا، حيث ظهر ذلك الصالح للجميع في وقت واحد. لقد رأى النبي ﷺ موسى ﷺ في القبر، ثم رآه في السماء السادسة أيضا. عندها قلت لحضرته: يا سيدي، إن روح المتوفى تأتي إلى الحي في الرؤيا، أي نرى المتوفى في الرؤيا أنه جاءنا وتحدث معنا، فقال حضرته ﷺ: كلا لا تأتي روح المتوفى بل روح الحي صاحب الرؤيا تذهب إلى روح المتوفى، ويمكن أن يفهم مثال ذلك أن الراكب في سفينة حين يرى الناس واقفين على الساحل يخيل إليه أنهم يتقدمون إليه مع أنهم يقفون في مكان دون أن يتحركوا مطلقا. ومثل ذلك المشهد يراه الركاب في القطار أيضا. بعد ذلك قال ميان قطب الدين لحضرته: يا سيدي، عندما تشعر بألم هل ينزل عليك الإلهام؟ فابتسم حضرته ولم يردّ عليه بلا أو نعم. ثم طرح السؤال نفسه نور أحمد المحترم المذكور آنفا الذي كان قد خرج من هناك وعاد وكان السؤال قد طرح على حضرته في غيابه، فقال حضرته: "نعم هذا يحدث."

نبذة عن أحوالي

لهذا العبد المتواضع صاحب هذه الرحلة، تجربة كبيرة في الكشف، إلا أن مثل تجربتي في الكشف أمام المسيح الموعود ﷺ كمثال اليراعة أمام الشمس. فلو لم تكن عندي تجربة في الأمور الكشفية لما تمكنت من معرفة هذا الإمام المأمور المقدس المرسل من الله، حيث كان يلازمي كوني سليل المرشدين بحيث كان يستحيل علي الإيمان بغيري وإنما كان يهمني أن يسلم لي الناس. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نحن من سلالة الإمام عظيم الشأن حضرة أبي حنيفة نعمان بن ثابت عليه السلام. وإلى الآن ظهر فينا بفضل الله أصحاب الفضل والعلم والإرشاد على التوالي، وهذا أيضا كان حجابا. وثالثا؛ كان قد بايع على ידי الآلاف من

المشايخ والسادات والمغول والأفغان وأولاد المرشدين والمشايخ، وكان عدد الجهلة وأصحاب الطبقة الدنيا من مبایعی قلیلا جدا، بل كان غالبیتهم مثقفین وأصحاب العقارات وكبار المسؤولين والتجار. ورابعاً؛ كنت ألتقى الكشوف أيضاً، فكل هذه الأمور كانت عائقاً كبيراً أمام بيعتي، لكنني أشكر الله ﷻ مراراً وتكراراً الذي بفضله المحض وفقني لمعرفة هذا المأمور الأعظم والمرسل المعظم، وليس ذلك فحسب بل قد وفقني لاتباعه، وليس ذلك فحسب بل قد أكرمني برفقته لأكثر من ٢٥ سنة متتالية، وليس ذلك فحسب بل قد منّ علي بصحبته ليل نهار وجعلني تلميذاً له. الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

فحين عايشْتُ حضرة الإمام الموعود والخليفة المعهود، عليه الصلاة والسلام مني ومن الله الودود، زالت عني الحالة الأولى، وتحيرتُ كثيراً في الذي حدث، ذات يوم كنت أقرأ بالمصادفة كتاب تذكرة الأولياء، وكان حضرته عليه السلام يمدح هذا الكتاب، وكان أثناء خطابٍ يقتبس حكاية أو قصة لأحد الصالحاء، وكان يقول هذا ما ورد في تذكرة الأولياء. فقرأت فيه حكاية تفيد أن صالحاً جاء مصادفةً لزيارة صالح آخر، فأكرم الصالح المحلي الصالح المسافر كثيراً وأحسن ضيافته، وقال له أرجو أن تقيم عندي بضعة أيام، فاستجاب لطلبه، وبعد الإقامة عنده بضعة أيام سُلبت منه كل الحالات من الكشف والقوى الباطنية، فاستغرب وقال للصالح: بدلاً من أن أتقدم نتيجة صحبتك ألاحظ التردّي بل قد سُلب مني كل شيء. فقال له الولي عظيم القدر: إن حالتك هذه ليست بعيدة عن السنة، إذ كان الشيطان قد تدخّل، ونظراً إلى ملاحظة حالتك الناقصة أشفقتُ عليك، ومن أجل ذلك أردت أن تقيم عندي. فلا تقلق،

سوف تحرز خلال أيام حالةً أفضل بكثير من حالتك السابقة إن شاء الله، وسوف يستبدل تدخل الشيطان بنور الرحمن.

ففرحت كثيرا بقراءة هذه القصة وشكرت الله، ثم فعلا حين تيسرت لي تلك الحالة ازددتُ سَكينة وإيمانا. فكل ما فزت به ببركة صحبة حضرة عليه السلام سأكتبه في محله إن شاء الله.

إنني أشكر الله تعالى مرة أخرى وأحمده على أن وفَّقني لمعرفة المأمور والمرسل الذي بُعث في زمني وفي بلدي وقرب إقامتي، ثم هيا لي صحبته أيضا بفضل منه، لا نتيجة لأي عمل لي.

إن وقائع المناظرة التي حصلت في دلهي بين حضرة عليه السلام والمولوي محمد بشير البهوبالي، والمناظرة التي حصلت في لدهيانه بين حضرة وبين المولوي أبي سعيد محمد حسين البطالوي لجديرة بالاستماع أيضاً، وهي أنه حين صدر كتاب حضرة "فتح الإسلام" والجزء الثاني له "توضيح المرام"، والجزء الثالث "إزالة الأوهام" جاء حضرة إلى دلهي، وتفصيل ذلك أن حضرة نشر قبل فتح الإسلام في لدهيانه إعلاناً قال فيه إن المسيح الناصري عليه السلام قد توفي، وأن روحه موجودة في السماء الثانية مع ابن خالته سيدنا يحيى عليه السلام، وأن المسيح الذي وُعد بمجيئه في الأمة هو حضرة. ففور صدور هذا الإعلان ظهرت في لدهيانه أولاً ضجة كبيرة ثم توسعت إلى البنجاب والهند بأسرها، وظهرت المعارضة والضجيج والعناد، وفي اليوم الذي نشر فيه هذا الإعلان أرسله حضرة إليَّ في قرية كوت بوتلي في منطقة جيبور، لأني كنت هناك يوم ذاك وكنت سأقيم هناك قرابة سبعة أشهر، لأن كلا من سكان تلك المدينة من الذكور والإناث كانوا

من مريديّ، وفي تلك الأيام كانت تعقد الاحتفالات بمولد النبي ﷺ ويقام الوعظ بكثرة حيث كانت تعقد الاحتفالات في يوم واحد في أربعة أو خمسة أماكن، وفي تلك الفترة ظلت أذكر أن الإمام المهدي سيولد.

معتقد العامة عن المسيح والمهدي

كما هو مشهور سيكون اسمه محمد، واسم أمه آمنة واسم أبيه عبد الله، وأنه سيقا تل النصرى، وسيحدث في زمنه الخسوف والكسوف في رمضان، وأن النصرى يكونون حكاما في الأرض كلها، وسوف يرتفع القرآن الكريم ويتلاشى الخير والبركة والحب والألفة، وسيعصي الأولاد الوالدين كما أن الوالدين سيقصرون في تربية الأولاد، وستعصي الزوجات أزواجهن وهم سيكرهونهن، ويقل العلم ويكثر الجهل وتختفي المواساة، ستكثر المساجد ويقل المصلون، وحتى في أولئك القليلين لن يكون الإسلام والإيمان، يتلاشى الإيمان والعرفان نهائيا من الدنيا، وأن الناس سوف يتبعون الدنيا ويغفلون عن الدين، وسيبقى الإسلام اسما ويفسد العلماء، إذ سوف يتعلمون ويعلمون من أجل الدنيا، ويتفشى الإلحاد، ويكون الناس على شاكلة اليهود، سيفشو الزنا وعمل الحرام والرياء، والناس سينفقون المال للرياء وكسب الصيت. يتورط الناس في الإسراف ظلما، والرياء، وسوف يُخرجون الصدقات والتبرعات من أجل السمعة والاسم، لن يخافوا الله ولن يعملوا بالشرعية، سُبُتكر أنواع آلات الموسيقى، ستكون النساء سافرات ودون حجاب، سيفسد الصوفية والزهاد وأصحاب الزوايا والناس كلهم، وفي زمن الإمام المهدي وعهد الخلافة سينزل عيسى عليه السلام من السماء الرابعة، واضعا يديه على كتفي ملكين لابسا ثوبين أصفرين، وسينزل على سطح المسجد

أو على المنارة البيضاء بدمشق، وسوف يراه الناس كلهم نازلاً من السماء، وعند نزوله على المنارة أو السطح سوف يطلب السلم، وسوف يُحضره الناس ويُزّلون عيسى عليه السلام في صحن المسجد، ثم يظهر الدجال الأعور راكباً الحمار، وسيكون معه سبعون ألف يهودي، سيكون طول حماره سبعين ذراعاً، وسيُدّعي الألوهية، وعلى المسلمين أن يحفظوا إيمانهم في هذه الأوضاع، ويقرؤوا الآيات الابتدائية أو الأخيرة من سورة الكهف، ثم سوف يقاتل الإمام المهدي وعيسى عليه السلام مع الدجال ورفاقه وستندلع الحرب مع النصاري، ويهزمهم النصاري ثلاث مرات. باختصار ظللت أحدث الناس عن هذه الأمور.

ذات يوم كنت مدعوّاً لتناول الطعام عند أحدهم، فحين جلست إلى مائدة الطعام وكان معي بضعة أشخاص آخرين أيضاً، فجاء ساعي البريد فجأة وسلمني خمس رسائل أو سبعا، وفيها أيضاً إعلان حضرته عليه السلام، فكانت عادة حضرته أنه كلما نشر إعلاناً أرسل نسخة إلي أيضاً حتماً حيث ما كنت، فلما فتحت الصحيفة العظمى قرأت فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي على رسوله الكريم
أخي المكرم صاحبزاده سراج الحق المحترم سلمه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرسل إليك إعلاناً فاقراه بإمعان، واقراه على الآخرين أيضاً. ألفتُ كتاباً عن هذا الإعلان هو قيد الطباعة في أمرتسر، وسوف أرسله لك، إن شاء الله تعالى.

العبد المتواضع، مرزا غلام أحمد

من بيت شاهزاده غلام حيدر خانفي لدهيانه

دعوى حضرته بأنه هو المسيح الموعود وتصديقي

ثم قرأتُ إعلاناً وكان عنوانه البارز "ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيٍّ عن بينة" وملخصه أن عيسى عليه السلام قد توفي، وبعثتُ أنا متصفاً بصفاته ومتصبغاً بصبغته روحانياً، فأنا المسيح الذي وُعدتُ به هذه الأمة. فبقراءة هذا الإعلان زال جوعي فرحاً، وكادت الفرحة تقتلني. فمن ناحية تعجبت ومن أخرى فرحت. وفي هذه الحالة لم أستطع أن آكل بل ظللت أكرر قراءة الإعلان. كان نور محمد وآله بنده الهانسوي شريكين في الطعام. فتعجبا هما الآخران حين لاحظا حالتي، واستغربا وسألاني عن حالي، كما سألا صاحب البيت أيضاً عن محتوى هذا الإعلان الذي جعله يترك الطعام وأدخل عليه الفرحة والعجب. فقرأتُ عليهم رسالته الكريمة عليه السلام وذاك الإعلان. فقالا: منذ عدة أشهر تبين أن المسيح عليه السلام حي في السماء وأنه سينزل منها في الزمن الأخير، حيث يكون الإمام المهدي موجوداً قبله. فقلت كان كلامي السابق خطأً وهذا الذي ورد في هذا الإعلان هو الصحيح، فقبل هذا كنت أخبرتكم كقصة فقط دون بحث، أما هذا فحق، وليس عندي الآن أي دليل آخر ويكفيني دليل واحد أن حضرته صادق في دعواه. فأنا منذ مدة أزوره ومنذ عام ١٢٩٨ هجرية أتشرف بلقائه، فالصادق لا يكذب أبداً، فليس هذا الوجه الذي لاحظتُ آيات صدقه من عدة سنين وجه كاذب، ولم أسمع له كلاماً منافياً للحقائق، فلا يمكن أن يُحمل قوله الآن فجأة على الكذب، وآلاف الشكر لله تعالى على أنه أَرانا هذا اليوم، وخلقنا في هذا الزمن الشريف.

وعظي

باختصار لم أستطع أن آكل لشدة الفرح، فقد سرت الفرحة والسرور في كل ذرة من كياني. في المساء كان لي وعظٌّ، وربما كان عدد الحضور فيه ٥٠٠، منهم سيد محمد أكبر علي، وسيف الرحمن صاحب الزاوية، وسيد بهادر غازي رحمة الله عليه، وسيد منور علي وشيخ محمد بخش، ومحمد رمضان خان رئيس لجنة التحكيم، ومحمد نجف خان رئيس لجنة التحكيم، ومحمد كاليخان رئيس لجنة التحكيم، ومحمد هوشدار خان رئيس لجنة التحكيم، ومحمد حميد خان رئيس لجنة التحكيم، ومحمد عنايت خان الزعيم الأعظم، بهوره خان الزعيم الأعظم، رئيس الكتبية نواب محمد عيسى خان، محمد غلاب خان رئيس مخفر الشرطة، محمد مشرف بيك، وأعظم بيك، وعبد الصمد خان الموظف الحكومي، المولوي غلام محيي الدين صاحب الزاوية، سيد عبد الرحمن، ملا غلام أحمد خان، خدا بخش، ملا عبد الوهاب، شيخ محمد موسى، بير كمال الدين، وبير جمال الدين، وملا مستعان، ومرزا محمد أمين بيك، ومرزا حسن علي بيك، وعبد الواحد خان وغيرهم من كل قوم. فحمدت الله وأثنت عليه فور جلوسي، وقلت: الآن أقص على الحضور أمراً عجبياً، وأبين لهم نعمة الله وإحسانه وفضله، الذي أنزله علي وعليكم، حيث حقق الأمل من مئات السنين، فالآلاف والملايين من الأولياء والأبدال والأغواث والأقطاب والعباد والزهاد والأئمة والعلماء والفضلاء وعدد لا حصر له من المسلمين والمؤمنين قد خلوا في انتظار هذه النعمة العظيمة والفضل والإحسان العظيمين. وكل واحد منهم أوصى خلقه أن يقدر هذه النعمة إذا وجدها، فما هي تلك النعمة؟ هي أنه قد ورد في القرآن الكريم

والأحاديث أنه في الزمن الأخير سيولد الإمام المهدي، ويُبعث عيسى عليه السلام. وكما أحدثكم منذ أشهر وربما سمعتم ذلك من غيري أيضاً، فأبشركم أن ذلك الإمام المهدي لآخر الزمان وعيسى قد جاء، وسعيد من يؤمن به وشقي وعديم الحظ من يكفر به، أو يعرض عنه. وذلك الإمام المهدي هو مرزا غلام أحمد المحترم زعيم قاديان عليه الصلاة والسلام. ثم قرأتُ عليهم إعلان حضرته، فتعجب البعض وسكت البعض وكثيرون كذبوه صراحة. وفي اليوم التالي أرسلت إلى حضرته رسالةً ملخصها:

بسم الله الرحمن الرحيم
نحمده ونصلي على رسوله الكريم
من العبد المتواضع محمد سراج الحق النعماني والجمالي، سرج الله وجهه الرحمن
بخدمة مسيح الزمان المبارك ومهدي العصر حبيب الرحمن حضرة القديس
مرزا غلام أحمد زعيم قاديان دام فضلكم
الصلاة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

استلمت رسالتكم المباركة مع الإعلان الكريم وتشرفت بقراءتهما، أشكر الله تعالى على أن حضرتك، في زمننا هذا الزاخر بالفتن، قد بُعثت بمنصب المهدي ودرجة المسيح. فالآلاف المؤلفة والملايين من العلماء والفضلاء والأولياء والأغواث والأبدال والأقطاب، قد خلّوا متمنّين وطامعين، أن يكون المسيح والمهدي في زمنهم، لكن أمنيّتهم هذه وأملهم وطموحهم لم يتحقق، وماتوا وهذه الأمنية دفينة في قلوبهم، حتى ظل النبي صلّى الله عليه وآله هو الآخر ينتظر، ثم وصّى صحابته أن من وجد ذلك الشخص المبارك الإمام المهدي الموعود والمسيح الموعود فليقرئه مني السلام. فيا سيدي الكريم، إن سلامي واصل إليك دوماً عبر الرسائل

واللقاءات، لكنني الآن بشكل خاص أبلغك السلام مني ومن النبي الأكرم ﷺ عملاً بتوجيهه. لقد نظر الله ﷻ إلينا نحن الضعفاء والمقصرين والمذنبين برحمة بحسب وعده ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ وبعثك لهدايتنا، وتداركنا نحن الذين كنا نوشك على الانهيار، فالحمد لله ثم الحمد لله، سأحضر للزيارة عن قريب. والسلام.

بعد إرسال هذه الرسالة المتواضعة بالبريد استلمت من حضرته كتيبين هما: فتح الإسلام وتوضيح المرام، وبقراءتهما تفتحت عيناى، وأصبحت قادراً على أن أرد على كل معارض رداً مقنعاً، ونشأ النور في قوة الدماغ وإدراك الذهن والقلب، فانصرفت إلى هذا الوعظ حصراً بكل حماس ونشاط علناً. كان للمولوي غلام محيي الدين صاحب الزاوية المقيم في كوت بوتلي دوماً، تأثيرٌ في سكان كوت بوتلي، فقد قابلني يوماً على انفراد فقرأ الكتيبين والإعلان وقال لي: سيادة الصاحبزاده، كوت بوتلي هذه كلها مريدة لك، فهم في الظاهر لا يقولون لك شيئاً ويخفون المعارضة في قلوبهم. فهذان الكتيبان صحيحان ومدعومان بالأدلة والبراهين. حذار أن ينفصَّ عنك المريدون، لذا يمكن أن تخفي هذا الأمر في نفسك ولا تصرح به. فقلت: لا لن يتأتى مني أن أنافق، أي ألا أخبر الآخرين عن الفضل الذي أكرمنا ﷻ به. إذا كانوا سيخالفون فليخالفوا فإني لا أعبأ بهم، ولا أخاف ذلك ولا أحزن. يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، فأنى لي أن أكفر بنعمة ربي. الجدير بالذكر أن هذا المولوي من ناحية قال لي ذلك ومن ناحية أخرى قال للناس إن سراج الحق اعتنق عقيدة جديدة، لذا لا يجوز اتِّباعه والانضمام إلى مريديه. والأفضل أن تتخلوا عنه، وهذا هو

شأن المشايخ، حيث يقولون أمامك شيئاً وفي غيابك شيئاً آخر. ولهذا طرأت الحاجة إلى هذا المصلح العظيم، فكل صادق ومرسل ومأمور يُعرف من تلقاء نفسه بحاجة العصر إليه. فحاجة العصر شهادة قوية على صدق المأمور والمرسل. لقد كتب حضرته عليه السلام في هذين الكتيبين أن بعض الأشقياء سيُقطعون، ويصبحون حصب جهنم. فكتبت في جواب ذلك إلى قداسته عليه السلام: ادعوا الله ألا أكون منهم، وأن يجعلني الله ثابتاً ومستقيماً، لكي يبقى إيماني بك سليماً عند رجوعي إلى ربي، وأبقى حائزاً على صحبتك في الدنيا والآخرة، حتى لا أكون من الذين يُقطعون. فأحب أن أعيش في حفظ الله وملاذه. أراك بصدق القلب وصحة الإرادة صادقاً في دعواك كما أؤمن بصدق النبي ﷺ. فكتب حضرته عليه السلام ردّاً على ذلك: أشكر الله على أنك لم تواجه أي ابتلاء، وأنا أدعو لك من صميم القلب أن يثبتك الله.

فلما زرته أنا العبد المتواضع في لدهيانه وفي شتى المناسبات الأخرى قال لي مراراً إن الله ﷻ تقبل دعائك، وحفظك. ثم قال الأقدم فالأقدم.

ذات يوم فتحت المشكاة وقرأت باب نزول عيسى عليه السلام فقرأت فيه عدة أحاديث عن نزول عيسى بن مريم. فخطر ببالي أن هذه الأحاديث قد لا تكون صحيحة، ثم حين قرأت في أحد الأحاديث أن عيسى سيكون حكماً عدلاً فقبل قلبي بانشرح أن عيسى الناصري لا يمكن أن يكون حكماً عدلاً بأي شكل. ورأيت بحسب عقلي أن ذلك المسيح كان يحيي الموتى أما هذه الأحاديث فتفيد أن الأحياء سيموتون بنفسه والموتى سيحيون. ثم هناك اختلاف في الملامح، ثم أفتي قلبي أن أتوجه إلى أعتاب هذا المسيح فسوف

وتنحلُّ بقية العقد ببركة هذا الحكم العدل حصرا. ثم انطلقت من كوت بوتلي وأتيت إلى دلهي قصد زيارة حضرته.

سألني الناس أين تتوجه؟ قلت: إلى لدهيانه. أذهب لزيارة عيسى الموعود عليه السلام وهذا ما كنت أقوله لكل من يقابلني. فكل من كان يسمع ذلك من لساني ينظر إلى وجهي بحيرة، ويقول أين لدهيانه من عيسى عليه السلام؟ إذ كانت دمشق أو مكة المعظمة قد رسخت في أنظار الناس. وإضافة إلى ذلك كانوا يستغربون من سماع اسم مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام. فهناك مثل فارسي معناه، السؤال في واد والجواب في واد آخر تماما. فنظرهم مشدود إلى السماء ونحن ننظر إلى أرض الهند، وهم يضحون من أجل الدين ونحن فداء للنقد، هم غارقون في عبادة الموتى ونحن نطلب الحي، هم مولعون بأمور سماعية، ونحن نحب الحقيقة ونراها بأم أعيننا، فقد حدث بيننا بُعد المشرقين. ثم جاء الحافظ طفيل أحمد برني، وابن أخي شاه محمد خليل الرحمن النعماني الجمالي صاحب الزاوية أيضا إلى دلهي في اليوم نفسه. وتكلمت مع الحافظ المحترم أيضا حول هذه الأمور فعارضني بشدة.

المناظرة الثامنة مع الحافظ طفيل

الحافظ: كيف يمكن أن يكون مرزا المحترم عيسى عليه السلام؟

سراج الحق: يمكن بالضبط كما كان عيسى عليه السلام نفسه.

الحافظ: كان عيسى ابن مريم، أما هذا فابن مرتضى.

سراج الحق: هذه هي الميزة وفيها يكمن السر أن الله تعالى جعل ابن غلام

مرتضى المسيح ابن مريم، فقدراته تعالى غير محدودة، وهو مالك الملك ويستطيع

أن يجعل من يشاء ما يريد. ومن خطئك أنك ترى معنى ابن مريم وليد مريم، فابن مريم اسم المسيح عليه السلام، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران ٤٦) وملخص هذه الترجمة أن يا مريم، إنا نبشرك بابن مريم. فكان ينبغي أن يقال نبشرك بابن اسمه عيسى. أي ترزق مريم ابنا هو "ابن مريم".

الحافظ: أنا لا أفهم هذا.

سراج الحق: حين يفقد أحد صوابه فهو لا يفهم أمرا حقا، فلو كنت في زمن سيدنا المسيح عليه السلام أو في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لما فهمتهما أيضا. يا حافظ، أنت صوفي فكان الصوفية أحق أن يفهموه أولا.

الحافظ: المسيح والمهدي شخصان.

سراج الحق: فضيلة الحافظ، هما ليسا شخصين اثنين بل اسمان لشخص واحد، فأنت الحافظ وطفيل أحمد أيضا فكيف لك اسمان. وقد ورد في الحديث الشريف: لا مهدي إلا عيسى. فكما تترجم "لا إله إلا الله" يمكن أن تفهم بنفس التركيب ترجمة "لا مهدي إلا عيسى"، فيمكن أن تفهم أن هناك عيسىين، الأول من كان قد خلا قبل ستة قرون من نبينا صلى الله عليه وسلم وكان بعد أربعة عشر قرنا من موسى عليه السلام وملاحمه بحسب بيان النبي صلى الله عليه وسلم أنه أحمر اللون وسبط الشعر. وعيسى الثاني الذي كان سيأتي في القرن الرابع عشر بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قمحي اللون وسبط الشعر، فهو مثيل عيسى الأول ومثيل النبي صلى الله عليه وسلم أيضا، وكأنه مظهر نبين، ويتصف بصفات رسولين، ولذا هو المهدي والمسيح أيضا. فلما ذكر له أن ملاحهما مختلفة، وأنه ورد بحقه في البخاري

"إمامكم منكم" أيضا، فهل هذان الاسمان لشخص أو اثنين؟ ثم بين وفاة أحدهما أيضا.

الحافظ: قد ورد في الحديث أنه سيكون معتدل القامة، ومرزا خلاف ذلك طويل القامة.

شخص آخر: سيادة الحافظ، هل رأيت مرزا المحترم؟
الحافظ: كلا بل سمعت عنه.

الرجل نفسه: لا اعتماد لقول مسموع، بل يجب الاعتماد والثقة بما يقول المرشد، ثم خاطبني قائلا: هل رأيت مرزا؟
سراج الحق: لقد رأيته وأكثر من ذلك لي علاقات خاصة بحضرته منذ عام ١٢٩٨ هجرية.

الرجل نفسه: فقولك أصدق من الحافظ.

التبليغ في "هانسي"

ثم انطلقت من دلهي وأتيت إلى هانسي، وأقمت في الخانقاه التابعة لجدي الملقب بـ "أربعة أقطاب"، ثم بلغت سكان المدينة كلها أن سيدنا عيسى عليه السلام الإمام المهدي الموعود قد جاء. فلما كانت أنظار الجميع مشدودة إلى السماء أو مكة المعظمة، لذا قد استغرب الناس من هذا النداء، فجاء المئات للزيارة والاستماع إلى هذا الخبر. ففهمتهم أن لا أحد قد صعد إلى السماء ولن يأتي أحد منها، فقد وُلد جميع الأنبياء والرسل والأولياء في هذه الأرض. يقول الله ﷻ في القرآن الكريم لسيدنا خاتم الأنبياء وأفضل الرسل محمد المصطفى ﷺ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٨) من هنا يتبين أن كل رسول يأتي على عكس تمنيات الناس، فقد جاء النبي ﷺ على عكس طموحات الناس وآمالهم، فكم من الآمال كان اليهود والنصارى قد عقدوها، وكم كانوا يكتنون في قلوبهم أمنيات بحسب فهمهم وعقلهم تاركين الشريعة. فكم كانوا يتكبرون رغم عقلهم الناقص وفهمهم الناقص وعلمهم الموهوم ثم جاء خير المرسلين ﷺ وخيب جميع آمالهم.

من ناحية يندهش منه ملوك العصر، ومن ناحية قد بهت منه كل عالم وحكيم.^١

فقد خيب آمال جميع العلماء والدرأيش والنساک والأخبار والرهبان والقسيسين والأمراء والزعماء دفعة واحدة.

وهذا بالضبط كان حال هذا الزمن، وما زال، حيث كان العالم غافلا عن الشريعة والتقوى والطهارة والمعرفة والعلوم الحقة. إذ كان كل من الصوفية والعلماء والأغنياء والفقراء، قد جعلوا لهم شريعة خاصة، ونسوا النور الذي كان قد جاء به من الله ﷻ سيد الأنبياء سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد المصطفى ﷺ وفقدوه. حيث كانوا يجعلون الحق باطلاً والباطل حقاً، ولم يكن هناك حد لعبادة الطقوس والتقاليد وعبادة الموتى. ثم مما يثير التعجب أن كل فرقة كانت تزعم أن الإمام الموعود سيبعث منها حصراً. وليس ذلك فحسب بل قد كتب بعضهم كُتب الفقه على شاكلة اليهود أنه سيعمل بحسبها، فقد جاء ذلك الإمام الموعود والخليفة الموعود عليه السلام في عين الموعود وانبهرت عيون الجميع، وسُلبت

^١ ترجمة بيت فارسي من نظم المسيح الموعود عليه السلام. (المترجم)

علومهم، وكسرت أفلامهم، وجف حبر دواتهم، وبقيت أصابعهم في الفم والشفاه جافة. صدق من قال: "قد جفَّ القلم بما هو كائن"، أي قد حدث ما كان سيحدث، وقد فعل الله ﷻ ما كان فاعله، وبعث في الموعد من كان سيبعثه، وأرسله بما يفوق فهم وعقل وإدراك الجميع ولم يقدر العالم كله على مقاومته.

كنت أتكلم حول هذا إذ جاء صوفي يتباهى بعلمه، وقال ما حاجتنا إلى أي إمام ومسيح؟ حسبنا القرآن الكريم والرسول. قلت له قد رد الله ﷻ بنفسه على قولك هذا وكلمة كفرك هذه في القرآن الكريم، وهو أنه حين قال علماء اليهود والنصارى والصوفية عندهم إن لدينا كتباً سماوية ونحن مطلعون على أحكام الله وشريعته، وإننا أناس قديسون مطهرون. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي أن قلوبنا محفوظة في أغلفة، أي كما يكون الشيء الموضوع في الغلاف محفوظاً من الغبار، كذلك قلوبنا نقية ومجلوة، ولسنا بحاجة إلى أي رسول. فقال الله ﷻ ردّاً على قولهم هذا: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٨٩) أي أن قلوبهم مغلفة في أغلفة لعنة الله، وأمثال هؤلاء الذين يقولون إنه لا حاجة لرسول لا يؤمنون بتاتا، وهم يكونون تحت لعنة الله، وقلوبهم مسودة وممسوخة، وهم بعيدون من الله وقریبون من الشيطان، ويتفانون في الشيطان. ثم قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، مثل ذلك كان المسلمون ينتظرون الإمام المهدي ويدعون لبعثته ليل نهار، وكان ورداً دائماً للشيعة خاصة، لكنه لما جاء إمام الزمان لم يؤمنوا به بل كفروا به.

ثم قلت للناس: لا تستعجلوا في الإنكار. فكما لا تملكون حاليا الوسائل والأدلة للإقرار والإيمان، ليس عندكم أي قرينة أو إثبات للإنكار أيضا. فعلى الأقل يجب أن تسكتوا وتكفوا اللسان، وتحروا الحقائق بحسب الأسوة الحسنة للأنبياء والأولياء. يجب عليكم البحث والتحقيق، وإذا استعجلتم في الإنكار دون التحقيق فسوف يصعب عليكم الإقرار بعد تبيان الحق لاحقا. لقد قال الله ﷻ لليهود: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة: ٤٢)، أي آمنوا بما أنزل عليكم وهو مصدق رسلكم وكتبكم، (وإن لم تستطيعوا الإيمان حاليا فعلى الأقل) لا تتسرعوا في الكفر به، لأن قبول الحق والإيمان بعد الإنكار يكون صعبا جدا.

الإقامة في لدهيانه

انطلقت من هانسي بعد يومين أو ثلاثة ووصلت إلى لدهيانه مباشرة، وأقمت عند المرحوم نواب علي محمد خان الجهجري المحترم، وبعد ذلك أرسلت نور محمد الهانسوي الذي كان معي إلى قداسته عليه السلام قصد أن يزوره ويطلععه على مجيئي، ويأخذ منه الموعد للزيارة لكي أسعد وأتشرف بزيارة هذا المجتبي مثل المصطفى ﷺ. فذهب نور محمد إلى بيت حضرته وبعد العودة منه سريعا أخبرني: إن حضرته موجود ومعه بضعة رجال آخرين يتكلمون عن وفاة المسيح، فجلست عنده دقيقتين فقط، ولم أستطع أن أقول له شيئا لهيبته. فلما ذهبت إلى قداسة حبيب الله الصمد المهدي المعهود والمسيح الموعود عليه السلام برفقة نور محمد الهانسوي، ونواب أشرف علي خان، وعبد القادر شاه- المعروف بـ بهول شاه- وشخص أو شخصين آخرين، رأيي حضرته عليه السلام (فداه أمني وأبي ونفسي

ومالي) قادما من بعيد وتبسم وتوقف ثم تقدم إلى خطوتين أو ثلاثا وصافحني وقال: أين الأمتعة؟ فقلت هي في بيت نواب علي محمد خان الجهجري المرحوم. فسألني لم لم تحضرها معك؟ فقلت يا سيدي عليك الصلاة والسلام سأحضرها. فسأل متى أتيت؟ فقلت اليوم أتيت، فسألني هل ستمكث؟ قلت مثلا فارسيا معناه أنّ المرء يأتي بإرادته لكن يودّع بعد الإذن. فسوف أبقى ما لم تسمح لي حضرتك بالذهاب بسرور. فسُرّ بسماع ذلك كثيرا، ثم جلس وهو يمسك بيدي. كان هناك إخوة آخرون وهم أيضا جلسوا. كان معه قاضي الخواجه علي المحترم وشاهزاده عبد الحميد المحترم وإخوة آخرون أيضا. باختصار ظل يتكلم معنا طويلا وسأل عن أوضاع السفر، ثم قال: الحمد لله لم تتعرض لأي ابتلاء، وظللت ثابتا، فمن محض فضل الله عليك أنك آمنت بمن بعثه الله بعد السماع عنه فورا، ثم قال: أنا أحبك واتخذتك خليلا من صميم الفؤاد. كان عباس علي اللدهياني أيضا موجودا هناك، وكان غضوبا جدا، فكان يكن حسن الاعتقاد بحضرته في تلك الأيام، أما أنا فكنت أنفر منه وكلما نظرت إليه كرهته. مكثت عند حضرته عليه السلام ثلاثة أشهر، كان حضرته مريضا جدا في تلك الأيام، وفي حال المرض والضعف أيضا كان يلتزم بالصلاة جماعة التزاما كبيرا.

الالتزام بالصلاة جماعة

لقد حضرْتُ إلى قداسته عليه السلام في ١٨٨٢م وكانت لحيتي قد نبتت، وبعد ذلك لازمت حضرته حتى أشهر قبل وفاته، وجدت حضرته ملتزما بأداء الصلاة جماعة دوما، فكان يطلب قبل الصلاة رفع الأذان حتما سواء كان في المسجد أو في البيت أو في الغابة. مع أن البيت الذي كان يقيم فيه في لدهيانه كان

محاذياً لمسجد قريب منه، وكان يُرفع فيه الأذان بالتزام، لكن حضرته مع ذلك كان يطلب من أحدهم رفع الأذان. فقال له أحدهم يا سيدي، في هذا المسجد يرفع الأذان ويصل صوته إلى هنا أيضاً، فذلك الأذان كاف، فقال حضرته كلا يجب أن ترفعوا الأذان، فحيثما كانت الصلاة يجب رفع الأذان.

قال شخص: لماذا توضع الإصبعان على الأذنين عند رفع الأذان؟ فقال عليه السلام: الحكمة في ذلك أن وضع اليدين على الأذنين يقوّي الصوت. كان الناس في البداية في زمن النبي ﷺ يؤذنون دون وضع اليدين على الأذنين، فشعر النبي ﷺ ذات يوم ضعفاً في صوت بلال رضي الله عنه فقال له: يا بلال: ارفع الأذان بوضع اليدين على الأذنين، ففعل بلال ذلك ودبت القوة إلى صوته وزال الضعف. ثم صار ذلك سنة بحسب أمره ﷺ.

ثم قال عليه السلام: لقد رأينا كثيراً من المغنين والقصاصين يضعون أيديهم على أذنيهم عند رفع الصوت أثناء الغناء ليزول الضعف فيه أو تنشأ القوة. قال ذلك ونظر إلي وتبسم، وربما ذلك لأني كنت أستمع إلى أناشيد صوفية في تلك الأيام.

تعبير الردائين الأصفرين

في تلك الأيام كان يؤمُّ الصلاة جناب شاهزاده عبد الحميد المحترم، وكان عليه السلام خفيفاً، ضعيفاً شديد الضعف ومعروفاً، ومصرفاً كأنه الثوب المصبغ بالكركم، ويعاني الدوار وكثرة التبول، فكان يحمل إبريق الماء إلى الحمام، وعند الخروج منه يغسل حيناً يديه بالماء المتبقي من الاستنجاء، أو يضيف إليه أحياناً ماء أكثر، وكان يمس يده اليسرى بالتراب ثم يغسلها. وفي تلك الأيام كان

يصلي جالسا لشدة ضعفه، واضعاً رأسه وساعديه على الوسادة أثناء السجدة، ملتزماً -رغم ضعفه ومرضه- صلاة الجماعة، وعندما كان ينتقل من مكان الرجال إلى مكان النساء في البيت كان يرافقه شخص حتى لا يسقط بسبب الدوار. كان عادةً ما يتصبب عرقاً لضعفه، ولكن الله أعلم من أين كانت تأتيه القوة عند إلقاء الخطاب أو التأليف؛ فكان دماغه يتوقد وعيناه تشعان نورا، وكل ذلك كان تأييدا من روح القدس، فكانت هناك ذاتٌ عليّة توظّف هذا الإنسان الضعيف النحيف. وما ورد في الحديث الدمشقي في صحيح مسلم أن المسيح الموعود سينزل بين مهرودين وعندما يحني رأسه ستسقط من وجهه القطرات كاللآلئ، أي سيكون مريضا وسيكون ضعيفا وأن قطرات العرق ستسقط من وجهه لبالغ ضعفه. وعندما سيرفع رأسه إلى فوق سيتجلى النور من وجهه وسيموت الكفار من نَفْسِهِ، والمراد من رفع رأسه التوجه إلى الله والدعاء. أما المراد من موت الكفار من نفسه، فكلماته الطيبات أي أدلته البينة وبراهينه الساطعة، وهذا ما حدث.

لقد قال حضرته مرارا، الله الله هل سيأتي يوم أصلي فيه قياما؟ ثم أرانا الله ذلك اليوم أيضا حيث كان حضرته عليه السلام يصلي قياما، وكان يلقي الوعظ وخطبة العيد قائما، فقد ورد في حديث متفق عليه "تَضْرِبُ لِمَتُّهُ بَيِّنٌ مَنَكِبِيهِ، رَجُلُ الشَّعْرِ، يَفْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً" وهذه إشارة إلى صحته. فقد أرانا الله كلا الحالين. ذات يوم قال عباس علي لحضرته إنك تتكلم كثيرا، وتستخدم ضد المعارضين كلماتٍ تفضحهم. فقال حضرته عليه السلام الحق يقال، فإذا كان ذلك يفضح أحدا فماذا نفعل؟ ينزل علينا نوعان من وحي الله، الخفي والجلي، أما الوحي الجلي

فهو بكلمات واضحة، أما الثاني أي الوحي الخفي فينزل على الدوام، وبه تجوالنا وتحركنا وجلوسنا ووقوفنا وكلامنا. فنحن ننطق دوماً بإنطاقه، ونسير بتسييره ونجلس بإجلاسه. باختصار كل حركة وسكون لنا بأمر منه فقط.

بعد صلاة المغرب استأذنته في الذهاب إلى مبتي، فقال ﷺ بمنتهى الإصرار ماذا ستفعل هناك، فيا صاحبزاده أنت ضيفنا، وأتيت للقائنا. فقلت يا سيدي أرجو أن تأذن لي الآن، فسوف أزورك كل يوم بانتظام. حضرتُ إلى أعتاب حضرتك وهذا هو هدي من مجيئي إلى هنا، أما قصدي من المبيت في مكان آخر أنه سيأتي للزيارة الناس من كل نوع وصنف، وهناك سوف أنشر دعوتك وأهداف بعثتك. فأذن لي وانصرفْتُ من هناك، وأتيت إلى دار المرحوم نواب علي محمد خان.

نواب علي محمد خان اللدهيانوي المرحوم

كان نواب المحترم طويل الباع في الحكمة والتصوف والعلوم الشرعية وكانت له معرفة في التصوف خاصة حيث رأيت مئات الصوفية والزهاد ولم أجد عندهم ما لديه من إدراكٍ وتمكنٍ وعلوم. كان نواب المحترم يعظم أهل الله كثيراً، وكان عاشق النبي ﷺ وفيّاً له يصلي عليه كل حين وآن. ومع خبرته في التصوف وسعة علومه كان يكن عشقاً سامياً لسيدنا المسيح الموعود ﷺ. فكان عادة ما يقول إن ما رأيته في سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني ﷺ لم أره في أحد آخر غيره، وإذا كان هناك رجل بعد النبي ﷺ فهو هذا، وفي كتابته نور وهدى، ومن كلامه ووجهه يترشح النور. ذات يوم ذكرت له كشفاً لي يأتي ذكره لاحقاً فسرَّ كثيراً بسماعه، وبينه للناس وكان في ذلك الكشف تصديق لحضرته ﷺ.

كان حضرته هو الآخر يزور نواب المحترم بين فينة وأخرى. وكان حضرته في لدهيانه عند وفاة نواب، وقرب وفاته أرسل نواب رجلا إلى حضرته ليطلب منه الدعاء لسلامة إيمانه والنجاة في الآخرة، وبعده كلما اقترب أجله ظل يرسل إلى حضرته بالقصد نفسه شخصا كل نصف ساعة ثم بعد كل عشر دقائق، وكان يقول أنا مسرور وسعيد جدا أن حضرته موجود في لدهيانه عند رحلتي الأخيرة، ويتسنى لي طلب الدعاء منه. ثم أغمي عليه وكلما أفاق قال فليذهب أحد إلى حضرته ويطلب منه الدعاء لعاقبتني الحسنى. ثم عندما بدأ يُحتَضَرُ أوصى أن يصلي عليه الجنازة حضرته لكي تتحقق نجاته، ومن هذا المنطلق ظل عليه السلام يدعو له كثيرا وكان يقول لرسوله كل مرة، نعم نعم قد دعوت له، وما زلت أدعو، وبلغ حضرته الوصية بأداء الجنازة أيضا. ثم توفي نواب. فلما توفي نواب كان أقرباؤه وأولاده وإخوته مرتعين من المشايخ، ومتأثرين بهم. كان المولوي محمد والمولوي عبد الله والمولوي عبد العزيز كلهم الثلاثة يهوديي الخصال، بل أكثر منهم! وكانوا من ألدِّ المكفرين لحضرته عليه السلام ويبدون من العداوة أشرسها لدرجة حين صدر البراهين الأحمدية كان جميع المشايخ إما ساكتين وإما موافقين، لكن هؤلاء الأشقياء إضافة إلى الشقي المولوي غلام دستغير القصورى كانوا إلى جانب التكفير يسبُّون حضرته ويشتمونه أيضا. وكان من دأب هؤلاء المشايخ أن أي مولوي ناسك إذا جاء إلى لدهيانه وزارهم فجيد وإن لم يزهم كفَّروه. فكان هؤلاء المشايخ الثلاثة مصداق قوله تعالى: ﴿اٰطْلِقُوْا اِلٰى ظِلِّ ذِي ثَلٰثِ شَعَبٍ * لَا ظَلِيْلٍ وَلَا يُغْنِيْ مِنْ اللّٰهِ﴾ (المرسلات: ٣١-٣٢).

كانوا في ذلك الزمن قد أقاموا قيامةً في معارضة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. فهم أيضاً علموا بوصية نواب المحترم عن الجنازة، فهؤلاء المشايخ وأتباعهم أرسلوا رسالة إلى أقارب نواب المحترم أنه لو جاء المرزا (الإمام الموعود عليه السلام) للجنازة فلن تأتي ولا أي مسلم آخر للجنازة، وسوف تصدر فتوى كفرهم. وفي المستقبل من مات منكم فلن يُصلى عليه الجنازة، فخاف أولئك المساكين، ولم يفكروا هل يقدر هؤلاء المشايخ يهوديو الصفات على ذلك، وهل سيعيشون للأبد؟ أفلم يجدوا أي عبدٍ لله ليصلي عليهم الجنازة، ثم ألا يوجد مريدو حضرته عليه السلام في لدهيانه؟ فأهلكهم ضعف إيمانهم. كان المرحوم أيضاً ينفر منهم، فكان لو ذكر له أحد هؤلاء المشايخ قطب وجهه، وكان يراهم أسوأ مخلوق، فلو بقي المرحوم دون الجنازة لكان خيراً له من أن يصلي عليه شر الناس المشايخ. لأن مسيح الزمان عليه السلام كان قد دعا له، وقد طلب منه الدعاء، فالجنازة أيضاً دعاء. إن الإيمان شيء غال جداً لا يزيله شيء. كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يقول لو مات أحد مؤمناً وبعد الوفاة ألقاه أحد على البول والبراز (المزيلة) فلن يضره شيئاً. وكذلك لو مات أحد عديم الإيمان وضمخوه بالعطور والورود فلن ينفعه ذلك شيئاً. ثم قرأ الحديث "القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار". ومن هنا تذكرت حادثاً، تفصيله أن مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي كتب بإيجاز في كتابه "أخبار الأخيار" وكتب مريد حضرة الخواجه نظام الدين ولي الأولياء محبوب إلهي رحمة الله عليه في "سير الأولياء" بعد الاستماع من لسانه المبارك أن حضرة قطب الأقطاب، القطب جمال الدين أحمد الهانسوي (الجدُّ الأجد لراقم هذه السطور) انشغل في تحصيل العلوم، وبدأ يدرس الحديث، وحين قرأ الحديث "

القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار" بكى كثيرا حتى ابتلَّ خداه، وكان يقرأ هذا الحديث ويبكي ويستعيد بالله ما دام حيًّا. فلما توفي ودفن ثم حفر الأساس لبناء قبة له فاحت قرب القبر رائحة طيبة قوية لم يطقها الناس.

صلاة الجنازة

باختصار لقد صلى حضرته عليه السلام جنازة نواب في بيته ودعا كثيرا لمغفرته والرحمة له، صلاة الجنازة التي أمَّها حضرته عليه السلام كانت رائعة وبحسب السنة، وقد صادف لهذا العبد المتواضع مئات المرات أن يصلي جنازة الغائب والحاضر خلف حضرته. ذات مرة حين توفي المرحوم ميان جان محمد القادياني شيع حضرته عليه السلام الجنازة، كان المرحوم عذب الصوت، ومن محبيه المخلصين وراسخي الاعتقاد به، وبسبب الإيمان بحضرته واجه اضطهادا لا يطاق، فقد تلقى الضربات وسُدت عليه سبل المعاش، وأوذي بأنواع الأذى التي يتعذر بيانها. لكنه بفضل الله ظل ثابتا، بل قد أدى حق ثبات القدم، فكان عمره كعمر حضرته عليه السلام وكان يجني كثيرا، ويقص علي أعجب الأمور من حياة حضرته عليه السلام. ذات مرة قال لي: إني رأيت في الرؤيا في الزمن الذي لم يكن قد صدر فيه البراهين بعد، ولم يكن له أي ذكر، أن حصلت ولادة في بيتنا (أي ولدت أمي عيسى عليه السلام) وهناك احتفالات بهذا الخصوص، فلما استيقظتُ لم أفهم لها أي تعبير. ثم حين ألف حضرته البراهين الأحمديّة وادعى أنه المجدد تبين لي تعبير هذه الرؤيا أن المراد من ولادة عيسى عليه السلام المجدد وإمام الوقت، الذي يملك قلب عيسى وصفات المسيح، وهو مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، وإن بيتنا وبيت مرزا غلام مرتضى ليسا اثنين. وكنت أقول لوالدة قداسته عليه السلام منذ

الطفولة أمي، فهكذا تحققت هذه الرؤيا، فكان المرحوم بعد سرد هذه الرؤيا يفرح كثيرا، ولم يكن لسروره أي حد، فلاحظت أنه أحيانا كان يصاب بحالة من الوجد بعد قصّ هذه الرؤيا.

جنازة جان محمد القادياني

كان قداسة الإمام الموعود عليه السلام هو الآخر يحب المرحوم ميان جان محمد كثيرا، فمهما كان حضرته جمّ المشاغل كان يترك كل أعماله عندما يأتيه المرحوم ويستقبله. باختصار حين نُحِل جثمان المرحوم إلى المقبرة، صلى حضرته عليه السلام جنازته إماما، فأطال الصلاة حتى بدأت تتألم أقدام المقتدين لطول القيام، وتعبت سواعدهم نتيجة ضمّها طويلا. لا أستطيع أن أتكلّم عن الآخرين، ولكن ساءني القيام الطويل بما لم يسبق له النضير في الماضي، إذ كنا اعتدنا أن تنتهي الصلاة خلال دقيقتين، فلما أفقت أدركت أن هذه هي الصلاة في الحقيقة، وبدأت أداوم عليها ونشأت لدي لذة وسرور، وتمنيت أن أطيل الصلاة أكثر. فهذه في الحقيقة علامات صدق الصادقين، وهي آية الكرامة أيضا. ولذلك قال الله تعالى: ﴿كُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾. فلو لم تكن معية الصادقين مهمة لما استخدم الله صيغة الأمر. يتمتع الصادق - لانهجابه إلى الصدق والسداد - بتأثير وجذب روحاني، لذا ينجذب المرء إليه كما ينجذب الحديد إلى المغناطيس. باختصار قد استغرقت الصلاة وقتا يستغرقه مشي المرء ميلا ذهابا، وإذا قلت وإيابا لما غاليت، فبعد الفراغ من صلاة الجنازة انطلق حضرته عليه السلام عائدا إلى البيت. قال له أحدهم: سيدي (عليك الصلاة والسلام) لقد أطلت الصلاة حتى تعبنا، فما حال حضرتك؟ أي ربما تعبت أنت أيضا؟

فقال حضرته عليه السلام: ما لنا وللتعب، إنما كنت أدعو الله تعالى وأسأله المغفرة للمرحوم، فهل يتعب السائل؟ فالذي يتعب من السؤال يبقى محروما، نحن السائلون وهو معطي ورزاق، فمن أين التعب؟ فالذي يتوقع منه السائل شيئا يتمسك به، أما الله تعالى فجميع آمالنا معقودة به تعالى. فهو المعطي والوهاب والرحمن والرحيم، ومالك يوم الدين والعزیز أيضا.

رجل آخر: ماذا دعوت؟ ما هي الأدعية التي رددتها حضرتك؟ فدعاء الجنائز المسنون قصير.

حضرته عليه السلام: الأدعية الواردة في الأحاديث إنما هي لتعليم أسلوب الدعاء وطريقته، فليس الحصر فيها، وذلك لا يعني أن تدعوا هذه الأدعية فقط، ولا تدعوا للحاجات الطارئة الأخرى. فقد بدأ القرآن الكريم والحديث سلسلة الدعاء، ثم ترك على الداعي أن يدعو لحاجاته وأهدافه.

لقد دعوت لهذا المرحوم كثيرا، وقد رسخ في قلبي أنه كان يحبنا، ويعيش معنا، ويشاركنا في كل عمل، والآن هو موضوع أماننا. فمن الواجب علينا أن نشاركه في الحال وذلك بالدعاء الكثير من الله له، لذا قد دعوت له جهد المستطيع.

سراج الحق (راقم هذه الرحلة) أراد هنا أن يقول شيئا، فبادر حكيم الأمة نور الدين: تمنيت الآن وأثناء الجنائز أيضا لو كنت أنا صاحب الجنائز.

فقال عليه السلام ضاحكا: سيادة المولوي، أنت سابق بالخيرات وإنما الأعمال بالنيات، فالإنسان ينال الأجر بحسب النية الصحيحة. أما أنت فاسم على المسمى "نور الدين".

ثم ذكر عليه السلام خدمة المرحوم ووفاءه. وكنت حين هممت أن أتكلم أريد أن أقول ما قاله مولانا المولوي نور الدين المحترم دام فيضه، ثم لزمت الصمت إذ كان قد سبقني إليه، وقلت في نفسي إن كلامي الآن غير مناسب ومناف للأدب.

الحديث بالحديث يُذكر، ذات مرة حين توفي نجل مولانا المولوي نور الدين (خليفة المسيح) عليه السلام حضر جنازته الكثيرون من الإخوة، فصلى عليه الجنازة حضرته عليه السلام إماماً، وأطال الصلاة، وبعد التسليم وجّه الخطاب إلى المقتدين وقال: الآن لم نصل الجنازة على هذا الولد فقط، بل قد صليت الجنازة عليكم جميعاً الذين حضرتهم هنا والذين تذكركمهم. قال أحدهم إذن لم تبق حاجة لأن نصلي الجنازة؟ فقال عليه السلام: إن لم تسنح لكم الفرصة كهذه فهذه الجنازة تكفيكم. ففرح الأحبة الحاضرون كلهم كثيراً. وحين توجه إلى الجميع وقال إني قد صليت جنازتكم جميعاً، قالها بكلمات فياضة بالهيبة واليقين، حيث كان يرشح من كلماته ووجهه كأننا جميعاً كنا جنازة أمامه، ومن المؤكد أنه قد عُفِر لنا، ودخلنا الجنة، ودعاؤه بالمغفرة قد تُقبل بحقنا، ولم يبق أي مجال للشك والشبهة في ذلك.

الله أكبر، كم كان حضرته لطيفاً بنا نحن المذنبين، حيث كان يتحرى كل حين وآن فرصاً لطلب العفو والمغفرة لنا، وكان يفكر كل حين وآن في أن تسنح له الفرصة فيدعو ويستغفر.

نجاة شاب

لقد صلى عليه السلام الجنازة على شخص آخر، ولم أكن هناك، وبين أقارب المرحوم هذا الحادث، أن شاباً يقدر عمره ٢٠ سنة مرض فجاء أقاربه من قريتهم

إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام، فأقاموا عند حضرته في قاديان، وبعد معاناة المرض لبضعة أيام توفي الشاب، كانت معه والدته العجوز، فصلى حضرته عليه الجنائز بحسب العادة الشرعية. أصيب بعض المقتدين بدوار بسبب طول الصلاة والأدعية الطويلة وبعضهم اضطربوا، وهذا الاضطراب والتعب كان في الحالة البدائية، وإلا حين تصبغوا لاحقاً بصبغة التعليم الحق والصحة، نشأت في كل واحد منهم حالة الذوق والشوق، حيث كان يرى الطول أيضاً عجلة وكان يريد أن تطوّل الصلاة أكثر لتسبح الفرصة للدعاء أكثر، كان كل واحد يتقدم كل يوم إلى الإمام، ويقطع مدارج السلوك بين حين وآخر. وهذه هي غاية: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وبعد التسليم قال حضرته عليه السلام:

"الرجل الذي صلينا عليه الجنائز الآن، لقد دعوت له كثيراً ولم أتوقف عن الدعاء ما لم أدخله الجنة ولم أشاهده يمشي ويتجول فيها." لقد غُفر له ودُفن. في تلك الليلة رأت والدته العجوز في الرؤيا أنه يتمشى في الجنة بكل ارتياح وقال لقد غفر الله لي بفضل دعاء حضرته، ورحمني وجعل مثواي الجنة. ومع أن والدته كانت قد تلقت صدمة عنيفة بوفاته لكنها بعد هذه الرؤيا المبشرة أبشرت وفرحت، ونسيت كل ألم وحزن، واستبدل همها وغمها براحة.

ليت أحد الشيعة أخذ منه الدرس، أن الإمام الحسين عليه السلام عاش الحياة كلها رغدا وسعادة وتنعماً، وبمواجهة الألم ليوم واحد دخل الجنة يقينا. فمن نسي الآن حالة راحته وسروره الأولى، فأقام مأتماً، وظلّ يبكي بتذكّر ألم يوم واحد فقط - وهو أيضاً لا يعدّ ألماً عند إنسان رباني، لأنه قد ورد في الحديث أن الشهيد في سبيل الله يتألم كما يتألم من قرصته النملة -، فلن يكون غيبي مثله في

العالم وسوف يعدّ عدوّ حضرته ويُظن أنه راض بحزن دائم، ولا يريد الراحة. فمثل هذا الحزن والهم يدلّ على العداوة.

محادثة

حدثت لي واقعة مماثلة وهي أن المرحوم شيخ يوسف علي النعماني رحمته الله - من سكان بلدة توشام في محافظة حصار، والذي كان موظفا في ولاية جيند- حين بايعني كان عمره ١٧ أو ١٨ عاما، وكان يكنّ لي احتراما واعتقادا كبيرين. ثم حين بايعتُ قداسته عليه السلام واطلع على ذلك، جاءني وقال يا سيدي وشيخي ومرشدي، لقد جئت شيئا إداً وتصرفاً ناكراً، إذ قد ألصقت عارا بسلسلة المرشدين لأبائك بمبايعتك المرزا. لماذا تركت عائلتك التي بدأت من حضرة الإمام الأعظم رحمته الله وتستمر إلى الآن نسلا بعد نسل، وبطنا بعد بطن، وأنجبت أئمة وأغواثا وأقطابا وأولياء وأبدالا على التوالي؟

سراج: ما الذي تركته؟ فهل رفضت عظمة هؤلاء الصلحاء، وهل أسأت إليهم أو شككت في ولايتهم؟ فهذه هداية وتعليم إلهي، ينبغي أن يأخذه الإنسان حيثما وجده. فقد قال رسول الله ﷺ: الحكمة ضالة المؤمن. أي الهدى والطريق القويم والإيمان والعرفان وغيره من ضالة المؤمن. فهل يليق بالمؤمن ألا ينال ضالته إذا وجدها؟ فما دام الإنسان لا يتخلى عن شيء مادي، فأني للمؤمن أن يترك الهداية والإيمان والعرفان.

يوسف: لا بأس، أخبرني أي شيء كان ينقصُ عائلتك؟

سراج: لم يكن عائلتي ينقصها أي شيء، وإنما كان النقص فيّ، وكنت محتاجا إلى هذا، فأخبرني إنك الآن موظف مقابل مائة روبية راتباً، فإذا

وجدتَ عملاً راتبه ٥٠٠ روية فهل تقبل ذلك العمل، أم سوف تبقى راضياً بمائة روية؟

يوسف: بدون أي شك سأقبل ٥٠٠ ولن أرضى بـ ١٠٠.
سراج: فهذا هو المثال في أمري، فإنما أحب أن أتقدم وأنا مولع بالمعرفة، وسوف أناها حيثما أجدها، فإذا كان أهل الدنيا يعشقون الدنيا، فلماذا لا نتمنى الدين ونشتاق إليه؟ فلم يتخل أحد عن الرقي والتقدم، بل كان الأنبياء والرسل أيضاً يريدون الرقي، وقد علم الله ﷻ رسول الله ﷺ أيضاً ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ثم أمره ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، فهو لم يدخل أي كتاب، فهذا العلم كان علم النبوة والرسالة فحسب، إضافة إلى ذلك قد أمر الله ﷻ أتباعه أن يصلوا عليه ويسلموا تسليماً. كما أمر النبي ﷺ أمتَه أن تصلي عليه، وعلمهم كيف يصلُّون عليه، وفي الصلوات الخمس المكتوبة والجنائز والعيدين فرض الصلاة عليه، وب نفسه صلى على نفسه، وطلب من الآخرين أيضاً أن يصلوا عليه، أفليس هذا تعليم الترقى؟

كان جدي الأجد حضرة قطب الأقطاب القطب جمال الدين أحمد الهانسوي رحمه الله من سلالة إمام الأئمة أبي حنيفة النعمان الإمام الأعظم، لماذا بايع حضرة شيخ الإسلام فريد الدين غنج شكر رحمه الله مع أن فريد الدين غنج شكر كان حنفياً ومقلداً للإمام الأعظم؟ فاعتبر مثالنا مثله، ففي الصوفية الكرام ستجد كثيراً من هذه الأمثلة، أنهم بايعوا عدداً من الشيوخ.

يوسف: لماذا بايعتَ مرزا؟ ففي العالم كثير من الصوفية والزهاد وكان يمكن أن تباع أحدهم.

سراج: أيا كنت بايعت ل بقي سؤالك قائما، أني لماذا بايعت فلانا ولم أبايع علانا، فاترك هذا الأمر. أخبرني؛ عندما سيبعث الإمام المهدي الذي هو في بالك وذهنك فهل سيبايعه كل ولي وغوث وابن المرشد وصوفي وعالم وفاضل وملك أم لا؟ إذا بُعث هذا الإمام في هذا العصر الذي نعيشه، فأخبرني هل سيكون من الواجب علينا أن نكون من مريديه أم لا؟

يوسف: لا شك أنه يجب مبايعة ذلك الإمام. إذ بعد بعثة ذلك الإمام لا تجوز بيعه أحد آخر، إذ لو جاء الماء بطل التيمم.

سراج: جوابكم فهو جوابنا. فإن حضرة سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام هو الإمام المهدي نفسه، وهو حقا ذلك الإمام الموعود، فقل لي هل بيعتي لحضرته صحيحة أم لا؟

يوسف: هذا صحيح، إذا كان حضرته في الحقيقة ذلك الإمام المهدي فمتى سوف ينزل عيسى عليه السلام من السماء؟

سراج: ما معنى "إذا"؟ فهو حصرا في الحقيقة الإمام المهدي، وهو نفسه عيسى عليه السلام أيضا. فعيسى بن مريم عليه السلام قد توفي، فهو لم يصعد إلى السماء ولن ينزل منها. ولم يرد في الكلام المجيد ولا في الحديث أن المهدي وعيسى عليه السلام سيكونان في زمن واحد، بل لم يرد في صحيح البخاري ومسلم أي حديث عن الإمام المهدي، فعيسى والمهدي اسمان لشخص واحد. فقد ورد في ابن ماجة - وهو من الصحاح الستة - أنه لا مهدي إلا عيسى ابن مريم.

يوسف: ما أروعه من قول! إن مرزا هو الإمام المهدي وهو عيسى ومجدد! أنا لا أستسيغ ذلك.

سراج: إذا أردت فيمكن أن تفهم هذا الأمر. فاعلم أن النبي ﷺ كان نبيا ورسولا وكان مجددا ثم كان خاتم النبيين أيضا، وكذلك كان سيدنا أبو بكر الصديق صديقا أولا ثم أصبح أمير المؤمنين أيضا، وعلى هذا القياس، حضرة السيد عبد القادر الجيلاني كان قطبا ثم أصبح غوثا. فالاسم يكون بحسب العمل، فهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل. كان هذا العصر المليء بالمفاسد والزمن الأخير بحاجة للإمام، لأنه بسبب الافتراق وظهور شتى الفرق كانت هناك حاجة إلى إمام يوحدهم وينجيهم من الفرقة، وهو يجب أن يكون مهديا أي حائزا على الهدى. أي أن تكون قدمه على منهاج النبوة، وينال الهدى من الله مباشرة، لكي يسيّر الناس على الطريق بعد تخليصهم من الفرقة والاختلاف. وهذا نظرا لإصلاحه في الخلافات الدينية، ثم يكون مسيحا، أي من يكون علمه ممسوحا من الله مباشرة، أي لا يكون علمه أرضيا، بل يكون سماويا أي موهوبا ولدنيا غير مكتسب، ويكون ممسوحا من حيث أنه حين جعل المسيح العبد الضعيف لها وعدّ خالق السماوات والأرض، والحي والقيوم وعالم الغيب والمحيي والمميت، كان من الضروري أن يتصف هذا المسيح أيضا بمقابلة بالصفات المسيحية نفسها، بل كان ينبغي أن يكون أكثر منه، لأنه ما لم يأت متفوّقا على ذلك المسيح الناصري في القوة القدسية والعلم والتأثير والمعجزات والخوارق، يستحيل أن يزول سوء الفهم والأخطاء المتفشية. كان المسيح الموسوي قد بُعث من أجل إصلاح قوم معين في أمور معدودات فقط، كما كان مرشدها يحيى وموسى عليهما السلام، أما هذا المهدي والمسيح (المحمدي) فقد جاء من أجل القضاء على جميع مفاسد العالم. كما كان مقتناه

وهاديه أفضل الرسل وخاتم النبيين ﷺ قد بُعث إلى العالم كله والأسود والأحمر. كان المسيح الموسوي قد أخذ التصبغ من سيدنا يحيى، وهذا المسيح الحمدي قد تصبغ بمشرده ﷺ مباشرة وبلا واسطة أحد آخر. فوحى به يشهد على ذلك وحيه الذي ورد فيه: "مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ". وَسَمِيَ ذَلِكَ ﷺ محمداً وأحمد، وَسَمِيَ هذا غلاماً أحمد. فالنبي ﷺ حَمْد، أما هذا فهو يَحْمَد، ثم إنه غلام، أي ابن، فغلام أحمد يعني: ولدُ أحمد، أو ابنُ أحمد.

يوسف: لم سمي غلام أحمد، ولماذا لم يسمَّ ولدَ أحمد أو ابنُ أحمد؟
سراج: الميزة في تسمية غلام أحمد أن غلام أنسب من ولد، إذ يمكن أن يكون الولد عاقاً، أما غلام فيكون باراً ومطيعاً وأخذاً نقوش الوالد ويتصبغ بصبغة الأب. فحيثما بُشِّر سيدنا إبراهيم وزكريا ومريم عليهم السلام بذرية، قد ورد في كل مكان غلام فقط، فكان أولادهم مطيعين وبارين بهم.

يوسف: حسناً، قد حدث ما حدث، إلا أن مشهداً عجيباً كان قد رسمه الناس في قلوبهم من سنة، قد قضى عليه حضرة المرزا وأنت، فكم كان المشهد الجميل الرائع راسخاً في أذهان الناس أن الإمام المهدي سيأتي أولاً، ويقسم الكنوز والروبيات والأموال، وبعد له جيشاً عرمرماً وعدداً لا حصر له من الجنود. ومن طرف آخر ينزل المسيح من السماء واضعاً يديه على كتفي الملكين لا يسا ثياباً صفراء وينزل على سطح المسجد ثم يطلب السلم وينزل به إلى الأسفل. ثم يتعانق المسيح والمهدي ويتحدثان، ومن ناحية يأتي النصاري ومن ناحية أخرى يأتي الدجال، ضارين بطول الحرب مع الخدم والحشم، للقتال، وتندلع المعارك.

١ نص الوحي الكامل: كُلُّ بَرَكَةٍ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ. (المترجم)

أما الآن فلا القتال ولا الرمح ولا السنان، وإنما المسكنة والزهد والتسك، فقد خيَّب جميع آمالنا وطموحاتنا.

سراج: كل هذا وذاك كومة من الأوهام الباطلة. فالمسيح الناصري عليه السلام في السابق لم ينجز شيئاً مقابل اليهود القليلين في حكومة رومية صغيرة. بل قد أُمسك به واعتُقل وضُرب وعُلق على الصليب، وهرب متنقلاً من بلد إلى آخر. وكل ذلك كان في الشباب، أما الآن فسيأتي شيخاً هرمًا أذْرد فماذا سيفعل، وما الذي يُتوقع منه.

رفع أحدهم هتاف "يا علي مدد"، فقال له صاحبه إن عليًا لم يقدر على إنقاذ نفسه من ابن ملجم. ثم لم يقدر على إسعاف أهل كربلاء، وكيف ينصرك الآن بعد مضي ١٣ قرناً؟ فالحق أن الحرب الدينية جارية الآن أيضاً ليل نهار، وإنما تغير شكل الحرب، حيث يستخدم في هذه الحرب القلم واللسان مقابل السيف والسنان.

يوسف: أخبرني ما الذي علي فعله؟

سراج: بايعه كمثلي، ففي السابق كانت علاقتي بك علاقة الشيخ بالمريد، أما الآن سنكون مريدين لشيخ واحد. لكن لا يغيّر عن البال أنه يجب ألا تباع حضرتة تقليداً لي، بل بايعه بعد البحث والتحقيق، وتلك البيعة تكون وثيقة. ولا يبقى فيها أي نقص وعيب. فالعمل بدافع التقليد ظني، أما البحث والتحقيق فيقيني، يقول الله تعالى ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾. أقصد اليقين الذي بايع به أخوك المرحوم والمغفور له مرزا محمد أمين بيك من سكان قرية "بهاالوجي" في منطقة "كوت بوتلي" في ولاية "كهيتري" المتعلقة بولاية "مواي جيور".

فكان المرحوم حين سمع مني أن سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام هو الإمام المهدي والمسيح الموعود، وأن المسيح ابن مريم صاحب الإنجيل قد توفي، فلما كان يحسن الاعتقاد بي فقد أصبح من المصدقين، وحضر شخصيا إلى قاديان، وباع على يدي حضرته عليه السلام وأقام في قاديان دار الأمان شهرا كاملا. كان حضرته عليه السلام أيضا يحبه كثيرا، وكان دمثا مرحا، حيث كانت كل كلمة منه تنم عن ظرافة، كنت فارغا في تلك الأيام، وكان مرزا خدا بخش مؤلف كتاب "عسل مصفى" أيضا هناك، فكان حضرته عليه السلام يتكلم لساعات طويلة مع المرحوم مرزا أمين بيك ويتسم لكلامه الظريف. لقد أثرت فيه صحبة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لشهر ونشأ لديه انشراح الصدر حيث لم يكن يقف أمام ذلك الأمي أي شيخ، وكان يتحدث عن صدق المسيح الموعود عليه السلام كل حين وآن. وكأنه كان يعيش على بيان صدق المسيح الموعود عليه السلام. ذات يوم أنشدت في المجلس قصيدة في مدح النبي ﷺ:

"لو كانت الأيام سعيدة لما كان هذا الفراق، فليت الموت قد جاءني إن لم يأتيني حضرته عليه السلام."

فحطّي تعيس، ولو كان بختي سعيدا لوفقت للتسول في أزقة المدينة. فماذا أفعل يا سيدي؟ إذ تعترض طريقي المعاصي، وإلا لكنت اعتكفت على أعتابك.

فلو لم يقدر لـ "الجمالي" الوصال، ليته قد تشرف برؤية وجهك ولو في الرؤيا.^١

^١ ترجمة قصيدة أردية. (المترجم)

فحين أنشدت هذه القصيدة رأيت أنها لم تعجب المرحوم، مع أنه كان يستمع لها بكل شوق قبل مبايعة المسيح الموعود عليه السلام. فحين انتهت من الإنشاد قام المرحوم وقال لي في ذلك المجلس بصوت عال: الرجاء يا سيدي ومرشدي، التوقف عن إنشاد هذه القصيدة مرة أخرى، فما معنى الفراق والهجر؟! حين جاء بروز سيدنا محمد المصطفى عليه السلام والمثله أحمد المجتبي عليه السلام القادياني عليه السلام، فالدعاء للموت في الفراق عبثٌ ولغو. فهذه أيام الوصل والفرحة، لذا أرجو منك أن تنشد علينا قصائد الوصل وتحدثنا عن اللقاء.

الله أكبر، كم كان إيمان المرحوم قويا! حيث غيّرته تماما صحبة حضرته عليه السلام لشهر وجعلته إنسانا جديدا، ونعم ما قيل:

"لقد نقلتني الألفة والمحبة من مكان محدود إلى مكان غير محدود، وأحدثت فيّ انقلابا." ^١

فكان من التأثير الإعجازي لصحبة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ثبات ذلك الإنسان على الإيمان في قرية لم يكن فيها أحمدي غيره، وكانت تزدهم بالمعارضين سواء كانوا من الأقارب أو غيرهم. وأظهر ثباته حيث لم تتزلزل قدمه في أي ابتلاء بل ظل يتقدم على درب الإيمان والإخلاص، فكلما تكلم أمامه أي مولوي أو شيخ في المعارضة سواء في مجلس أو على انفراد دحضه المرحوم فورا في المجلس نفسه ردا عقلا نيا وأفحمه. فلما كان سكان قريته من المغول، وأقارب المرحوم من الأجداد، كان له تأثير في الجميع، فكلما جاء مولوي معارض إلى قريته في غيابه وتكلم ضد الجماعة، قال له المغول كلهم، نحن لا نعرف كثيرا عن

^١ ترجمة بيت أردي. (المترجم)

قاديان والمرزا المحترم، وفيما أحد أتباعه وهو المولوي مرزا محمد أمين بيك، لذا يجب أن تحدّثه أولاً، وبعده سنحكم بصدقه أو كذبه، فلسنا سفهاء بل نعرف الأمر جيداً، وفيما كثير من المحامين والمثقفين، فحين سمع اسم المرزا إما هرب من هناك، أو كفّ عن الحديث المعارض وترك الوعظ في المعارضة. فكان المشايخ لا يقصدون هذه القرية في حياته. لقد طال الحديث، فقد تقدم المرحوم في الإيمان وتصبغ بصبغة الأحمديّة لدرجة أن قال له أحدهم ذات يوم: يا مرزا أمين بيك، لقد ارتد مرشدك الأول سراج الحق عن قاديان، وتخلّى عن حضرة المسيح الموعود عليه السلام، الآن قل لي ماذا تفعل؟ فكان رد المرحوم والمغفور له لطيفاً جداً وفياضاً بالحق والصواب وهو يليق بأشد المؤمنين إخلاصاً وعباداً للرحمن، فقد قال: "إذا كان سراج الحق قد ارتد، فأنا لم أرتد" فقد صدرت من لسانه هذه الجملة اللطيفة والجميلة، فاسألوا قيمة هذه الجملة قلبي وأهل المعرفة. فيا يوسف علي، يجب أن تكون البيعة وحسن الاعتقاد والحب والإخلاص من هذا الطراز.

بيعة شيخ يوسف علي

إن مبايعة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام هي البيعة على منهج النبوة، وبعثته بعثة الأنبياء، وليست كبيعة الأولياء والمشايخ، والإعراض عنه إعراض عن الله، والذي يبايعه فإنما يبايع الله تعالى. فهذه قضية الإيمان، فصمت شيخ يوسف علي بعد الاستماع إلى كلامي، وبعد بضعة أشهر قابل حضرته عليه السلام في قاديان دار الأمان مع الهدايا، وأقام عنده أكثر من أسبوعين، وبعد التشرف بزيارة حضرته عاد إلى وطنه. ثم عاد بعد فترة وبائع حضرته بيعة موثقة جداً. فلما كان مثقفا ومتفرساً وذكياً وفطناً، فقد بايع بكل حماس، وانشغل في نشر الدعوة ليل نهار

دون أن يخاف لومة لائم، فلم يرتعب من أي مسؤول كبير، ولم يخضع لأي شيخ ومرشد، ولم يفشل في الخطاب ولا في الكتابة.

فقد واجه المعارضة والعداء أيضا، لكنه مع ذلك ظل صادق اليقين ما دام حيا، وظل مستقيما ملتزما كما ينبغي أن يكون المؤمن والصالح والصادق. له ابنة وثلاثة أبناء، أحد أقاربه خطب ابنته فلم يرض أن يزوّج ابنته في غير الأحمديين، ثم بايع أحد أقاربه فزوجه ابنته، لكن المؤسف أن ذلك الشقي ارتد بعد وفاة المرحوم، أما تلك الابنة السعيدة فما زالت أحمدية، وتبدي أسفا على ارتداد زوجها. لقد ظل المرحوم ينشر دعوة المسيح الموعود عليه السلام حيثما كان أقاربه أو في محل عمله - في سنغور، وجيند، وسفيدون، وهانسي، وتوشام، وجاوري، وجرخي، ورهتك - وانضم الكثير بدعوته إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام، فكان المرحوم يكثر الزيارات لقاديان دار الأمان.

تأثير دعاء المسيح الموعود عليه السلام

كان المرحوم يطلب الدعاء من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لإزالة العقبات في تقدم عمله بسبب معارضة المعارضين. وكان يرسل الرسائل أيضا إلى حضرته من أجل ذلك، كما كان يكتب رسالة إلى المرحوم عبد الكريم السيلالكوتي ورسالة إلي أيضا طلبا للدعاء. ثم بدأ يرسل رسالة كل ثلاثة أيام، وكان المسيح الموعود عليه السلام يرسل إليه الرد، "لقد دعوتُ لك وسأدعو، فاطمئن، وذكّرنا على الدوام. فالذي يداوم على التذكير ولا يملّ ولا يئأس ينجح، أما الذي يسأم فلا ينال مراده". ولقد أرسلت هذا الرد الجميل من حضرته إلى المرحوم يوسف علي، فذكّر المرحوم بانتظام حيث بدأ يرسل كل يوم رسالة إلى سيدنا

المسيح الموعود عليه السلام ورسالة إلى مولانا عبد الكريم السيالكوتي رحمته الله ورسالة إلي، فاستلمنا منه الرسائل كل يوم لمدة شهر تقريبا. ذات يوم قال لي مولانا عبد الكريم السيالكوتي رحمته الله: أيها البير، لقد بلغ صاحبك يوسف الحد، إذ يرسل إلي رسالة كل يوم بلا انقطاع، فقد تعبت من قراءتها. فلما مضى على هذا المنوال أربعة أشهر قال المرحوم عبد الكريم لحضرتة عليه السلام: يا سيدي، لقد أرسل يوسف علي بكثرة وقد تراكمت رسائله عندي، أرجو أن تدعو الله له الآن دعاء خاصا، أن ينال هدفه ويتحقق غايته. فقال حضرتة عليه السلام نعم إن رسائله تصل إلي أيضا يوميا، وهذا ما خطر ببالي أيضا من يومين، فاليوم سوف أدعو له دعاء خاصا. ثم قال حضرتة في اليوم التالي: يا مولوي ويا صاحبزاده قد دعونا له فاكثبا له: إني قد دعوت لك وقد أجيب دعائي. سوف تتحقق غايتك الآن عاجلا إن شاء الله، وقد تم التذكير، ولا داعي لإرسال الرسائل بهذه الكثرة، إلا رسائل تخبرني فيها بأنك بخير وعافية. وهذا ما كتبت له أنا وحضرة المرحوم المولوي عبد الكريم أيضا، ثم لم تمض على ذلك ثلاثة أيام، إذ حصل له التقدم والارتقاء أكثر مما كان يتوقع، مع أنه لم يكن هناك أمل في الرقي بل كانت عراقيل من الجهات الأربع. لكن الله تعالى قد أزال جميع العراقيل ببركة دعاء حضرتة عليه السلام، فالحمد لله. بعد الترقى جاء المرحوم إلى دار الأمان، وعندما جاء طلبني حضرتة عليه السلام كالمعتاد وقال: تعال بسرعة، فقد تعبت من الكتابة وأريد أن أُملي عليك موضوعا، فاعتنمت الفرصة لتعريف المرحوم بحضرتة ولقائه. فأتيت به إلى حضرتة عليه السلام، فحين رآه حضرتة ابتسم وشرّفه بالمصافحة. بعد المصافحة أمسك المرحوم بقدمي حضرتة عليه السلام وقبلهما، فقال

له حضرته هذا لا يجوز، تكفي المصافحة. وهو الطريق المسنون، ثم سأله: متى أتيت؟ فقال له المرحوم: حالا وصلت. فقال: ستجد وقتا كافيا وفرصة للقاء، كنت قد دعوت صاحبزاده، وسنحت لك أيضا فرصة اللقاء الطويل، وهذا نادرا ما يتوفر.

ثم ظل حضرته يتمشى ويملي علي مقالا عربيا لساعتين. وكنت أكتب كل ما كان ينطق حضرته بلسانه المبارك. أقام المرحوم مدة أسبوع في دار الأمان، ثم عاد إلى سنغورور بمقتضى العمل، وبعدها بثلاثة أشهر وصلتني منه رسالة يقول فيها: إني مريض جدا، ولم يبق أمل في الحياة. فقد تعالجت عند الأطباء هنا ولم أتحسن، والآن أريد أن آتي إلى دار الأمان وأخضع لعلاج حضرة مولانا نور الدين، وأطلب الدعاء من حضرته عليه السلام. وبعد ثلاثة أيام جاء المرحوم فجأة في منتصف الليل مع ابن أخته فيض الله خالدي والحاج حكيم الله الجيندي راكبا في محمل حكومي لولاية سنغورور. فأسكنته في دار الضيافة، وأخبرت حضرته عليه السلام صباحا أن الشيخ يوسف علي النعماني جاء وهو مريض جدا، ولا يقدر على المشي، فقال حضرته: أنزل الله عليه رحمته، أين أسكنته؟ فقلت: حاليا أسكنته في دار الضيافة على ضفة البركة. فقال مهلا، دعني أخرج لزيارته، فهو مريض ينبغي أن أعوده. ثم توجه حضرته برفقة بعض أصحابه إلى دار الضيافة، فزاره وسأله عن المرض، ثم توجه بالخطاب إلي وقال لي: احملوه إلى بيت قريب من بيتي فسوف أراه كل يوم، هذا المكان بعيد. ثم خاطب المريض: أما الطعام فيجب أن تجربنا ليُعدّ لك منه ما يعجبك، ولا تواجه أي مشكلة.

فقال المرحوم يا سيدي مُكرّم الفقير، إنما أتيت إلى قدميك ليتوفر لي هنا الدعاء والدواء كلاهما، وأتيت إلى هنا بنية أنه إذا كان الشفاء مقدرا لي فليكن أمام حضرتك، وإذا كان قد قدر لي الموت فليكن عند قدميك.

"إذا كان الإنسان مستغرقا في الاستمتاع بجمال الحبيب فلا يمكن أن ينتبه إلى من يمر من أمامه

والله لتمتعت حتى بالموت أيضا إذا كان رأسي على قدمي الحبيب عند لفظ أنفاسي.^١

لقد تم إسكان المرحوم بحسب أوامر حضرتته عليه السلام في بيت قريب من حضرته. في ذلك الزمن كان حضرته يخرج للنزهة بعد طلوع الشمس كل يوم لميل أو ميلين، وكان يعود المرحوم يوسف حتى لو كان متعبا، كما بدأ علاج حضرة المولوي نور الدين دام فيضه. فبدأ يتحسن يوما بعد يوم كما كان جناب الدكتور خليفة رشيد الدين المحترم أيضا يقدم المشورة بحسب أوامر حضرتته عليه السلام، كما قدم كل من المولوي قطب الدين المحترم والمولوي مفتي فضل الرحمن المحترم أيضا مساعدة كبيرة، فجزاهما الله خير الجزاء، وظلا يهيئان الأدوية في الموعد.

استعادة شيخ يوسف صحته

ذات ليلة في الساعة الثانية عشرة ليلا، تأزمت حالة المرحوم فجأة وبدت آثار الموت بحسب القضاء والقدر وبدأ يُحتَضَر. جاء إلى بيتي ابن أخت المرحوم شيخ فيض الله الأحمدى وبين حالته هذه فاستغربتُ جدا، وانداهشت وقلت في نفسي يا إلهي ما الذي يحدث، فقد تركته بخير في الساعة العاشرة. لكنني ذهبت

^١ ترجمة بيتين أرديين. (المترجم)

إليه، فرأيت وضعه متأزماً جداً وهو يحتضر، وآثار الموت من توقف النبض وعدم انتظامه وبرودة الجسم، وانفتاح الفم وغيره كلها ظهرت. فتوجهت إلى بيت حضرته عليه السلام، ولما كانت الساعة الثانية عشرة والنصف، والجميع نياماً وأبواب البيت مغلقة، ذهبْتُ لجزء البيت المخصص لنوم أو كتابة حضرته، فناديت به باضطراب شديد وقوة، فأول من رد علي كان حضرته فقال لي متسائلاً: صاحبزاده؟ فقلت نعم سيدي، أنا سراج الحق.

فقال: فيم أتيت في هذه الساعة؟

فقلت له إن مرض يوسف علي استفحل، وإنه يحتضر ويكاد تفارقه الحياة، إذ قد برد جسمه كله ونبضه غير منتظم، ووضعه لا يبعث على اطمئنان، وانقطع الأمل في حياته.

أَخْلَاقُ حَضْرَتِهِ عليه السلام

قال حضرته: مساء كنت قد سألت عنه وكان يتحسن. تعال إلى الداخل، ثم قال لخادمة: افتحي الباب بسرعة، تنالي الثواب، وخذي معك مصباحاً. فقلوه للخادمة "افتحي الباب بسرعة، تنالي الثواب" كان بلهجة لطيفة لا يقدر على تقديرها إنسان مثلي، مع أنه سيدها وهي تابعة له ومطبعة، فلو أراد أمرها على شاكلة الأمراء والزعماء باعتبارها خادمة أو خوفاً أو بلهجة قاسية ومريرة. لكن قوله بأسلوب لطيف وبصوت خافت وتواضع "افتحي الباب بسرعة، تنالي الثواب" جملة تخلب اللب، فلم يضغط عليها ولم يعنفها. فهذه هي الأخلاق السامية والخصال الحميدة للإمام الموعود عليه الصلاة والسلام، وهو انعكاس لأسوة الرسول الهاشمي القرشيّ أفضل الرسل سيد المرسلين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم،

فإنه قدم لنا مثالاً للتأسي بأسوة النبي ﷺ عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢٢). ونعم ما قال المسيح الموعود ﷺ: والله، لقد انمحي من قلبي كل أثرٍ للأغيار منذ أن نقشتُ صورتك في القلب.^١

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٦٠)

كانت الساعة الواحدة ليلاً تقريباً وهذا وقت النوم والراحة، وفي هذه الساعة ناديته أنا المتواضع بصوت عال، فكان ردُّه علي بلطف وبالسؤال عن الحال، وقوله للخدمة التي هي مأمورة لإنجاز أعمال مختلفة لحضرته "افتحي الباب بسرعة، لتتالي الثواب"، فله آلاف الخدام مثلي وهو ليس مرشداً فحسب، بل بعث مسيحاً موعوداً. وليس ذلك فحسب بل "هو جريُّ الله في حُلل الأنبياء"، إضافة إلى كونه زعيماً ابن زعيم، وأميراً ابن أمير ومع ذلك كلُّه قال لي بمنتهى اللطف والتواضع، سيادة الصاحبزاده؟ ثم لم يظهر على وجهه أي انزعاج. فيا أحمد القادياني مثيل محمد المدني عليك وعلى متبوعك آلاف وملايين وبلايين صلاة وسلام بل بغير حساب، وصلى الله عليك وعلى محمد، يحمذك الله من عرشه، وسبحانك الله. هذا من جهة، ومن جهة أخرى استيقظت أم المؤمنين عليها السلام،^٢ وقالت كيف جاء سيادة البير في هذا الوقت أهو بخير؟ فلما أخبرها

^١ ترجمة بيت أردي. (المترجم)

^٢ لقد كتبت "أم المؤمنين عليها السلام" بحق الزوجة المطهرة المقدسة للمسيح الموعود ﷺ لأن يوسف علي ذات يوم أرسل هدية وكتب في رسالته إلي أن أقدمها لأم المؤمنين عليها السلام، فلما كانت حضرته تناديني عادة "ابني" لذا كتبت لحضرته ﷺ مع تلك الهدية أن يسلمها لأم المؤمنين. فكتب في الرد: الهدية التي أرسلها يوسف علي المحترم قد سلمتها لأم المؤمنين.

بالوضع انصرفت تلك القديسة إلى الدعاء دون أن تتكلم بشيء، فهذا مثال آخر للقوة القدسية لحضرته وتأثير صحبته، فطبع النساء عادة حساس، فلم يكن مستبعدا من المرأة صدور كلمة قاسية في حالة الاضطراب والنوم هذه أو استياؤها عند إيصال هذا الخبر وقت النوم والاستراحة. لكن سبحان الله ما أسمى هذا الخلق والرحم إذ انصرفت إلى الدعاء فور تلقي هذا الخبر دون إبداء أي انزعاج أو تدمير. وهذا كان من نصيبها وتقواها فقط. فقد رأيت في الدنيا أولاد المرشدين والمشايخ والصوفية والمشايخ ومدّعي الوصال بالله وكوهم ربانيين، ورأيت الأمراء والأثرياء والولاة وأبناء الملوك فلم أجد فيهم هذا الخلق. أين يوجد هذا الخلق وهذا اللطف والمواساة؟ فهؤلاء الناس يزعجون لأبسط الأمور ولا يبالون بالآخرين من أجل راحتهم ويسخطون لأتفه الأمور، ويطردون الناس من عندهم. فأنا شخصا ابن بير واعتبرتُ مرشدا ومقتدًى لعدة آلاف من المريدين، ولي مئات الألوف من المعتقدين، فكل شيء يتوفر. فمن يمكن أن يعرف أكثر مني بهذه الأسرار وهذه الدعوى حيث كان في عائلتي مرشدون جيلا بعد جيل بدءا من الإمام الأعظم عليه السلام ووصولاً إليّ. فمن المؤكد أن هناك أمرا ما قد جذب مثلي إلى هذا الإنسان الرباني عظيم الشأن جليل القدر.

فلما بدأ الناس ينادونها ويكتبون بحقها أم المؤمنين اعترض عليها المعارضون. فقال حضرته عليه السلام: ألا يعرف هؤلاء المعارضون أنه إذا جاء مسيحه الخيالي وتزوج، فهل سيقولون بحق زوجته أم المؤمنين أم لا؟ فما هو جوابكم فهو جوابنا. ثم قال: لقد ناداني الله تعالى بنبي ورسول، وقال بحقي أيضا جري الله في حلل الأنبياء أيضا، فلما كنتُ نبياً ورسولاً وجري الله في حلل الأنبياء فهل ستكون زوجتي أم المؤمنين أم لا؟ كما كانت أزواج مطهرات للأنبياء الآخرين أمهات المؤمنين. (من المؤلف)

فلما دخلت إلى حضرته استجابة لطلبه، سألتني عن الأوضاع كلها، ثم قدم لي بسرعة بعض الأدوية الغالية في كأس بما فيها "العنبر الخالص" أيضا، فقال لي: ارجع إليه بسرعة واسقّه، شفاه الله، وأرجو أن تخبرني بالوضع عاجلا، وأنا سوف أدعو له. والحق أن الدواء كان في الحقيقة سببا للاطمئنان فقط، والأصل كان دعاؤه. فكان حضرته عليه السلام يقول: الدعاء سيف المؤمن، فخرجت من عنده بدواء وسقيته يوسف علي الذي كان يحتضر، ففتح العينين فوراً، وتحسنت حواسه. فأخبرته بالقصة كلها، وفرح كثيراً، وعدت إلى بيتي. وفي الصباح قبيل الفجر طلبني حضرته عليه السلام في بيته وقال لي: يا صاحبزاده، كيف حال يوسف علي؟ لم نخبرنا.

فقلت له ما الذي كان يمكن أن أخبرك به، فقد أعطيت الدواء وانشغلت في الدعاء فأكرمه الله تعالى بفضلته واستعاد صحته تماماً.

فقال حضرته: يا صاحبزاده عندما انطلقت من عندي بالدواء لم أستطع النوم وانصرفت إلى الدعاء، وظللت أرتقب من يمكن أن ينقل لي الخبر عن حاله، وأثناء الدعاء رأيت في غفوة بسيطة رؤيا وتلقيت إلهاما مبشرا، يخص يوسف علي، ثم قال: بعد الصلاة سأنتقل للنزهة وعندها سأقص تلك الرؤيا والإلهام.

بعد الصلاة انطلق حضرته للنزهة، وكان يرافقه حضرة سيد محمد أحسن الأمروهي، وجناب الدكتور خليفة رشيد الدين المحترم، وشيخ يعقوب علي عرفاني وعدد من الأصحاب الآخرين. في الطريق قصَّ حضرته تلك الرؤيا والإلهام وظل يقول بكل ثقة إن يوسف علي لن يموت في هذا المرض، وسوف ينال شفاء

كاملا. وعند العودة من النزهة، توجه حضرته برفقة جميع الأصحاب إلى يوسف علي، وقص عليه تلك الرؤيا والإلهام بلسانه المبارك. أنا لم أعد أتذكر الآن تلك الرؤيا والإلهام، لكن شيخ يعقوب علي عرفاني قد نشرهما في جريدته الحكم.

ذات يوم قلت لحضرته عليه السلام: على أي أساس تدعي بكل قوة وتحدّ أمرا مستحيلا، ولا يكون في قلبك أدنى تردد؟ فقال: كما هناك تواتر في الأحاديث في مصطلح المحدثين، يكون التواتر نفسه عند الصوفية الكرام والأنبياء العظام، الذي لا يبقى بعده أي نوع من الظن والريب وغيرهما، وهو عبارة عن الرؤيا والكشف والوحي معا، بل نزول الوحي المتكرر. فهذا هو التواتر. وبعد ذلك يزول كل حجاب من الوسط، ولا يبقى غير اليقين، ثم نتمسك به بكل صدق ونتحدى، وذلك لأن التواتر يفوق اليقين.

ثم قال: يجب أن تأخذ مني كل يوم هذا الدواء بعد صلاة الفجر وتعطيه يوسف علي المحترم. وقال أيضا: بعد انصرافك من عندي بالدواء كشف الله علي دواء آخر في الإلهام، وسوف نضيفه إلى الأدوية السابقة.

كنت أنا راقم الحروف أدخل على حضرته كلما أردت دون طلب، ومع ذلك أحرص على الحضور عنده، فأأخذ الدواء من عنده كل يوم صار وسيلة أخرى لزيارته.

بعد ذلك بدأ يوسف علي يستعيد صحته تدريجا كل يوم وكل ساعة، وكان حضرته أيضا يعود كل يوم بانتظام بعد النزهة. ذات يوم اغتسل يوسف علي غسل الصحة، وتمشى قرابة ٥٠ قدما، فأيقنتُ برؤية حالته اليوم أن الله تعالى قد منَّ عليه بالصحة ببركة دعاء حضرته، وأخبرت حضرته بذلك. ففرح حضرته

كثيراً وبدأ يحمد الله ﷻ ويثني عليه. ثم في الساعة العاشرة ليلاً بعد الفراغ من الطعام والصلاة كان شيخ محمد إسماعيل السرساوي، وشيخ محمد فيض، وابن أخت المرحوم، وسيد محمد رشيد شاه السيالكوتي وبضعة أصحاب آخرين يجلسون مع المرحوم يتبادلون معه الحديث، وكانوا يشكرون الله على أنه وهب له حياة جديدة، ويقولون له كنت ميتاً فأعاد إليك الحياة من جديد. قال له محمد إسماعيل: يوسف علي، لقد وجدت الحياة الجديدة ببركة دعاء الإمام العليّ عليه السلام، وهذه الحياة حياة إعجازية يجب أن تعيشها شاكراً تقيّاً. انظروا، سيقول المجرمون يوم القيامة ربنا لو رُجعنا إلى الحياة فسوف نطيعك، ولن نعصيك ونعمل أعمالاً صالحة، الآن قد أيقنّا ورأينا بأن أعيننا ما كنا سنراه. أما أنت فقد هياً لك الله هذه الفرصة هنا في هذه الحياة الدنيا بفضله، حيث أخرجك من فم الموت، ووهب لك حياة جديدة، إذ لم تكن لحياتك آثاراً، لذا يجب أن تقضي الحياة طاهراً ومؤمناً بمتغيا رضوان الله ﷻ. وحذارٍ أن يُسحب منك هذا الإنعام الإلهي، وتستحقّ ضعفي العذاب. ظل الناس يطلبون من الأنبياء معجزات ويشاهدونها، ولم يوفّقوا للإيمان، أما أنت فلم تطلب أي معجزة، ودون سؤال قد أراك آية إحياء الموتى العظيمة في شخصك بفضله وبركة مبعوثه. لذا يجب أن يعيش الله ﷻ وحده في قلبك، وفي كل عضو من أعضاء بدنك. يجب ألا يبقى لك أي مقصود، ولا محبوب، ولا مطلوب، ولا معبود سوى الله ﷻ. فقال المرحوم يوسف علي: نعم ولا شك في ذلك وأشكر الله على أنه في زمننا بعث مأموراً بفضله وكرمه، وقلده منصب المسيح الموعود والإمام المهدي. الذي خلا ألاف مؤلفة من الأولياء والصلحاء والأغواث والأقطاب متمنين بعثته، ولم

يفرّ أحدهم بهذا الزمن. فبعثه في بلدنا ووفّقنا لمعرفة هذا المبعوث والمأمور من الله، وفوق ذلك قد وفّقنا بفضلله ورحمته للإيمان به وجعلنا من مبايعيه وأنصاره. ثم وفّقني لزيارته المتكررة، ثم في هذا المرض الشديد أيضا جاء بي إلى قدميه، ثم كانت الحياة قد فارقتني فأعاد إلي الحياة بدعائه.

وفاة شيخ يوسف علي

الآن أحب وأتمنى من الله ﷻ أن يكرمني بفضلله بأن أكون له، ويوفّقني لأن أعيش في طاعته واستجابة له، ويزيدني حبا لهذا المأمور والمرسل. ثم رفع يديه ودعا الله ﷻ قائلا: يا إلهي، ألتمس منك أن تجعل بقية حياتي طاهرة من المعاصي، واجنبني أن أعصيك وأعصي مبعوثك الموعود ﷺ. يا علام الغيوب إن لم تكن بقية حياتي جيدة أو كنت ترى أنني سأميل فيها إلى المعصية، أو أتورط في أي سيئة أخرى، فيا إلهي ليست الحياة أحب إلي، ولا أتمنى أن أعيش حياة المعاصي والذنوب. وبعد ذلك أصيب بغفوة، فلما كان ذلك آخر دعاء له فقد أجيب في حضرة الله، ثم تنبه في حالة النوم واليقظة هذه وقال: لقد رأيت الآن أمامي جدارا من رمل وانهدم فورا من تلقاء نفسه. فبرؤية هذا المشهد أصيب قلبي بفرع، لأن الله عالم الغيب وهو عليم بصير. فلأن حياة المرحوم ليست في نظر الله وعلمه جيدة وتم تطهيره حاليا فقد أجيب هذا الدعاء، والآن نهاية حياة يوسف. قال أحد منا إن المراد من الجدار هو المرض، والمراد من هدمه شفاؤه من المرض، وأنه بفضل الله استعاد صحته، وأيدت رأيه أنا أيضا إلا أن المرحوم قد فهم أن دعاءه قد تُقبل، إذ قد أراد الله ﷻ أن يعيد إليه عبده هذا طاهرا نظيفا، وأن الله سيهب له ببركة

حضوره إلى باب حبيبنا المسيح الموعود عليه السلام حياة طيبة منزهة من الذنوب بعد تورطه فيها.

كل واحد منا طمأنه بأسلوبه، وقال له أحدنا قد تأخر الليل فدعني أنصرف، وانبذ هذه الأفكار، وتوكل على الله فهو العليم الخبير. فانصرفنا كلنا من عنده وصلينا الفجر جماعة مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وبعد الصلاة جلس حضرته كالمعتاد، إذ كانت عادته أن يجلس بعد صلاة الفجر ساعة أو ساعتين، وكان يتناول كل نوع من الحديث، وكان يعلم الحضور ويعظهم، ثم قال مخاطبا هذا العبد المتواضع: كيف حال يوسف علي المحترم؟ فحدثته بما جرى في الليل كله وأخبرته عن دعاء المرحوم ثم رؤياه أو كشفه، فابتسم إثر الاستماع إلى الدعاء واستغرب من رؤياه أو كشفه، ثم قال: عافاك الله فهو العليم بكل حال. وبعد قليل دخل حضرته إلى بيته وانصرف الحضور أيضا. وعُدت أنا أيضا إلى البيت، وكنت أنوي أن أعود مرة أخرى إلى يوسف علي، فبالكاد دخلت البيت، إذ ناداني ابن أخت المرحوم شيخ فيض الله خالدي وقال تعال بسرعة وانظر حال خالي يوسف علي. فأتيت معه ورأيت يوسف علي على غير ما يرام، حيث كانت عيناه مفتوحتين وقد فقد الوعي. أخبرت سيدنا نور الدين دام ظله فجاء وعاد بسرعة، وبعد جس النبض ومشاهدة حاله، وكأنه قد قال بآثار وجهه وبشرته إن النتيجة الأخيرة هي الموت. لكنه أرسل الدواء، فصبيت الدواء في فم المريض لكنه خرج من شديقه، عندها أدركت أن هذه هي نهاية حياته وأن الدعاء الذي قام به قد تُقِلَّ.

بعده أتيت حضرته عليه السلام وأخبرته بما حدث، فقال: لقد قلت لي وقت الصلاة إن حالته جيدة! ثم قال: على رِسْلِكَ دعني أخرج معك، ثم أمسك

بعصاه كالمعتاد ورافقني وحده، ورأى يوسف علي لعشر دقائق، وجاء الدكتور رشيد الدين المحترم، والمولوي قطب الدين المحترم، ومفتي فضل الرحمن المحترم أيضا، فقال حضرته عليه السلام: ما هو تشخيصكم؟ فأدلى كل واحد برأيه، ومع ذلك لم يتم التشخيص كاملا لهذا المرض، ثم عاد حضرته إلى بيته قائلا: صبوا الماء على قدميه، ففعلنا ذلك كله ولم يتحسن وبدأ يغرغر، ثم جاء مولانا عبد الكريم السيالكوتي أيضا وظل جالسا على الكرسي أمامه ساعتين ونصف تقريبا ينظر إليه، ثم قال لي: انظر لهذه الحالة الحساسة والباعثة على العبرة، حيث يعجز فيها الملك والإنسان المتكبر جدا، والبطل القوي والشجاع أيضا ويصير عديم الحيلة، ولا يقدر أحد على فعل شيء. ففي هذه الحال الله وحده الولي، ففي هذه الحالة يرتحف الملك العظيم الشأن أيضا. باختصار؛ بقي المرحوم في هذه الحالة من الصباح إلى العصر، وتوفي وقت العصر. إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا بفراقه لمحزونون.

قبل المغرب كُفّن وأعدت الجنازة فصلى المسيح الموعود عليه السلام جنازته بعد صلاة المغرب، وكان عدد المصلين مئات، وبيان الخشوع في هذه الجنازة متعذر، حيث كان حضرته يكبر بصوت ملؤه الحرقلة والألم المتناهي، وأطال الجنازة كثيرا حتى قرب وقت العشاء، وبعد الصلاة دفن المرحوم.

في الليلة نفسها رأيت في الرؤيا أن هناك بيتا فاخرا قد بني في مسجد عظيم الشأن، والمرحوم جالس فيه بكل شوكة وهو يرتدي لباسا فاخرا. صباحا قصصت هذه الرؤيا على حضرته فقال تأويل المسجد الجنة ومكان نزول الرحمة، فقد غفر الله له. ثم خرج حضرته للنزهة وتحدث عن المرحوم بحزن، وطمأن أقارب

المرحوم وعزّاهم. في اليوم الثالث أراد شيخ فيض الله وغيره الانطلاق، واستأذنوا حضرته فقال: على مهلكم، اليوم سنخرج للنزهة إلى الجهة التي تتوجهون إليها، ثم خرج حضرته برفقة عدد من الصحابة إلى الطريق إلى بطاله، ومشى أكثر من ميلين، وكان ذلك من الخلق العظيم لحضرته ولطفه على خدامه، حيث كان يحب الجميع، ولم يكن يميز بين الأدنى والأعلى. فكل من كان يعقد معه علاقة بسيطة بصدق وإخلاص كان حضرته يراه عزيزاً ويلاطفه بحيث كان يظن أن الحب واللفظ الذي يبديه له لا يبديه لغيره، فكان شخصاً بسيطاً وعادياً جداً لو استوقفه أحد في الطريق وقف عنده. صلى الله عليه وعلى محمد. وهذا تأثير دعائه وصحبته، وإثبات الإيمان الصادق به.

لقد قال حضرة مولانا عبد الكريم السالكوتي مرةً: أيها البير، إن الذي يخلو من جماعتنا الأحمدية، نحزن على وفاته ونفرح أيضاً، فنفرح على أنه عُصم من الابتلاء، وكانت عاقبته حسنة، وأخذَ إيمانه من هذه الدنيا سالماً، ونحزن على أن أختانا قد فارقتنا.

محادثة ممتعة أخرى

أعود الآن إلى لبّ القضية، لقد أتيت بإذن من حضرته عليه السلام إلى دار المرحوم نواب علي محمد خان، فازدحم الناس عندي فوراً، بمن فيهم أبناء النوابات والمرشدين والسادات والمشايخ وعدد من العامة أيضاً. وهناك قال لي الجميع: سيدي، قد ارتكبت خطأ جسيماً إذ ذهبت لزيارة مرزا، (فلم يكونوا يعرفون أني قد بايعتُ حضرته عليه السلام)، أما الذين كانوا يعرفون ذلك لم تكن غالبيتهم في ذلك المجلس. لكن السيد إله دين مجلّد الكتب، وحائك اللدهيانوي، والمتوفى عباس

علي اللدهيانوي، ونواب أشرف علي خان كانوا من معارفي) فقد صدرت الفتوى بكفره وكفر مريديه، فسألتهم من هم الذين أفتوا بكفره؟

الناس: المشايخ العلماء الفضلاء.

سراج: أولاً أثبتوا أن هؤلاء مؤمنون ومسلمون.

الناس: ماذا تقول؟ أليسوا مسلمين؟

سراج: من المؤكد أنهم ليسوا مسلمين.

الناس: ما السبب؟ قل لنا لماذا ليسوا مسلمين؟

سراج: إن الذي يكفر رجلاً مؤمناً ومسلماً يصبح هو نفسه كافراً.

الناس: هذا صحيح.

سراج: الآن قولوا لي هل أصبح هؤلاء المكفرون بأنفسهم كافرين أم لا؟

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى قد كفر المشايخ المقلدون غير المقلدين،

وكذلك العكس، وفتاواهم منشورة، فأأي فرقة منهم بقيت مؤمنة؟ أم قد

صارت كلتاها كافرة؟

الناس: من هنا يتبين أنه ليس فيهم أي مؤمن ومسلم.

سراج: فكيف يصبح حضرة المرزا كافراً بتكفير هؤلاء الكفار؟ فإذا جاء إلى

هنا جنجا داس، ودهوتي برشاد، وجيون مل، وسكه لال وكفروني وإياكم فهل

نصبح كفاراً لقولهم؟

الناس: كلا.

سراج: ما هو جوابكم فهو جوابنا. الأصل أن صدور فتوى الكفر بحق

شخص ما إنما هو علامة لإيمانه تماماً، وإثبات لولايته، وكلما كثرت فتاوى التكفير

تأكدت قوة إيمانه، مثلما تتسبب كثرة أعداء أحدهم في عزته ووجاهته وهيبته. فلا ينقب السارق إلا الأماكن التي يرى فيها المال والثروة، أما الجائع المعدم فلا يقترب منه حتى السارق؛ كذلك فإن فضيلة النبي ﷺ وكونه سيد المرسلين وخاتم النبيين يعني أن أعداءه كانوا أكثر من سائر الأنبياء ويكثرون إلى الآن. فقد كان جميع الأنبياء والرسل مبعوثين لأمة معينة وزمان محدد، ومن ثم كان أعداؤهم من قومهم وفي زمنهم فقط. أما النبي ﷺ سيد الكون وفخر الموجودات فكان رسولا إلى العالمين كلهم، أي للناس كافة، ولذلك عاداه العالم كله. وكان أعداء أصحاب الرسول سيدنا أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أكثر من أعداء سيدنا علي، ولذلك مرتبتهم كانت أعلى وفضيلتهم أكبر.

ذات يوم تكلم مولانا وبالفضل أولانا المولوي الحاج الحافظ نور الدين القرشي الفاروقي دام ظله، خليفة المسيح والمهدي، مع حضرته العليّة عن فضيلة الصحابة فقال حضرته العليّة: الله أعلم كم كانت علاقتهم به ﷺ قوية وأنسهم بالله كبيرا، أما نحن فنظرا للظاهر نرى أن أكثرهم خدمة للإسلام هو حصرا أكبرهم مرتبة. فالأجر بحسب العمل، فانظروا إلى إنجازات الصحابة وخدمتهم للإسلام من منهم خدم الإسلام أكثر.

الحائز على الشعبية منافق

ذات يوم قص حضرته حكاية بهذا المعنى فقال:

خرج أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه في سفر برفقة عدد من المريدين له، وفي الطريق رأوا ازدهاما كبيرا من الناس يشيعون جنازة، فسأل أحدهم قائلا: لماذا اجتمع الناس بهذه الكثرة؟ فقال الرجل: لقد توفي أحد أولياء الله، فجاء

الناس لجنازته من كل دين وملة، فسأله حضرته كيف عرفتم أنه كان ولي الله؟ فقال: كان المتوفى مُسالماً يرضى عنه الكل، فلم يكن أيُّ من أتباع أي دين وفريق ناقماً منه سواء كان هندوسياً أو مسلماً أو يهودياً أو مسيحياً أو ملحدًا، فكان الجميع راضين عنه، وكان هو الآخر راضياً عن الجميع. ولم يكن يكسر قلب أحد، وكان يريدوه من أتباع جميع الفرق. فقال أبو يزيد البسطامي: كان هذا الرجل منافقاً كبيراً. وعندما سمعوا من فم أبو يزيد البسطامي رحمة الله عليه كلمة المنافق بحق المتوفى استشاطوا غضباً، وأرادوا ضربه ورفاقه، فانصرف من عندهم. ثم سأله يريدوه لماذا وصفت الصالح المتوفى بأنه منافق؟ فقال: إن الذي يصفه الجميع بصفة عامة بأنه جيد ولا تجبُّ من يعارضه يكون منافقاً، وذلك لأن الحق لا يخرج من فم المنافق مطلقاً، ولذلك يرضى عنه الجميع لأنه يؤيد الجميع ويدعم موقف الجميع، ولو نطق بكلمة الحق لافتضح أمره، وسخط منه المعتقدون به، وانقطع عنه الدخل والمعاش الذي من أجله قام بخديعة الناس. وصدق من قال: الحق مُرٌّ. أهل الله ينطقون بالحق دوماً، ولا يهتمهم إذا رضي عنهم أحد أو سخط عليهم، أما المنافق والبعيد من الله فلا يجري على لسانه الحق مطلقاً، فهو يؤثر رضا الجميع وإعجابهم، أما الذي يقول الحق فيعاديهم الجميع. اقرأ أحوال الأنبياء عليهم السلام والأولياء الكرام، كيف صار الناس لهم أعداء لقولهم كلمة الحق، وصاروا عطاشى لدمائهم. وكيف صار الناس أعداء للسيد عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد السرهندي، والإمام الغزالي وغيرهم رحمة الله عليهم، وكيف عزموا على إهانتهم وقتلهم، وأصدروا الفتاوى بكفرهم، وأحرقوا كتبهم، وكانوا في نظر أقاربهم وأغيارهم أذلاء مهانين، لكن أولئك الناطقين بالحق

والباحثين عن الحق كانوا هم الغالبين والمظفرين والمنصورين بمقتضى: ﴿الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ألم يكن النبي ﷺ يعرف طريق "الصلح مع الكل" هذا الذي هو النفاق بتعبير آخر؟ ألم يكن أولياء الله يعرفون هذه التقلبات؟ حيث جعلوا أقاربهم وأغيارهم وأصدقاءهم وأحبّتهم وأعزّتهم وأقاربهم وأهل مدينتهم وحارتهم أعداء لهم بنطقهم كلمة الحق، وبسبب كلمة الحق هذه سُفكت دماؤهم أُنهارا. فلو فعل النبي ﷺ ذلك والعياذ بالله لخرَّ على قدميه ﷺ كل العرب الذين كانوا أفذاذا في الشجاعة والبطولة والهمة ولَفَرَشُوا سواعدهم تحت قدميه. إنما العلامة الفارقة البينة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان هي كلمة الحق هذه وحدها.

ثم قلت في هذه الجلسة: هل كان ابن منصور الحلاج وشمس التبريزي - اللذان يعرفهما كل طفل - من أولياء الله أم من أعداء الله؟

أجاب الناس قائلين: كانا بلا شك من أولياء الله.

سراج: أمّا علّق ابن منصور الحلاج على الصليب وسلّخ شمس التبريزي؟

الناس: بلى

سراج: من هم الذين صلبوا وسلخوا؟

الناس: المشايخ.

سراج: فهل أحسنوا أم أسأؤوا؟

الناس: بل ارتكبوا سوءا.

سراج: إذن هل كان المشايخ سيئين، أم كانوا أولياء الله؟

الناس: متى كان أولياء الله سيئين؟ إنما كان هؤلاء المشايخ الأشقياء الذين

عادوا أولياء الله وارتكبوا سوءا هم السيئين.

سراج الحق: على هذا القياس، إذن فالذين أصدروا فتوى الكفر هم خلفاء من؟ ومن أي حزبٍ كان المرزا المحترم؟

فما الذي كان بوسعهم سوى السكوت، فالذين قالوا: "أنا الحق" قد عُذوا من الصادقين والأولياء، والذي قال: أنا المسيح، فقد عُذ من الكفار معاذ الله. ألا لا تسيئوا عاقبتكم وتدبروا لله أدلة صدقه وافهموها وآمنوا به، ها هي أمامكم آلاف النظائر من أنبياء الله وأوليائه، فماذا حصل معهم؟ فهذا المبعوث أيضاً لم يكن بدّعا.

عندما كنت أنتقل من منزل النواب إلى مقر حضرته عليه السلام كنت أقطع المسافة بصعوبة حيث كان الناس يطلقون آلاف الشتائم علي وعلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. ولم أكن أقدر على التحمل، وكنت أُطلع المسيح الموعود عليه السلام على ذلك كله فكان يقول مبتسماً: انسَ حالياً أنك صاحبزاده واصبر فالصبر مفتاح الفرج، فإن ما نعيشه نحن وأنتم هو نموذج لحياة النبي صلّى الله عليه وآله المكية، واشكر الله على أنه في ظل الحكومة الإنجليزية لا أحد يستطيع أن يفعل شيئاً أكثر من كيل الشتائم، فلو لم يكن هناك ظل عطف الحكومة الإنجليزية فالله أعلم كيف كانوا سيعاملوننا، فالصبر الصبر فسوف يفتح الله عيونهم يوماً من الأيام.

كان المولوي سعد الله المسلم الجديد قد بلغ من المعارضة بحيث كان كل يوم أو يومين ينشر إعلاناً زاخراً بالشتائم، فكان يتهم أحياناً بالسرقة وأحياناً بالتمرد، وكان بعض المبايعين وبعض الذين كانوا يحسنون الظن يأتون إلى حضرته عليه السلام، وكان المعارضون أيضاً يأتون فينة بعد فينة، ويتخاصمون كثيراً على أبسط الأمور، وكان البعض يأتون للاختبار، والبعض الآخرون للزيارة

فقط. ذات يوم أغوى المعارضون خمسة من الأفغان وأرسلوهم قائلين لهم: في هذا البيت رجل يسبّ جميع الأنبياء، ولا يؤمن بالقرآن ولا بالرسول، فدخلوا البيت فوراً غاضبين، وكان شخص يسأل حضرته وقتذاك عن تفسير الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (البقرة: ٢٦٠) فقال حضرته في تفسيرها إن سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يسأل عن حياة الموتى الماديّين لأن الإنسان يشاهد دوماً كيفية الولادة والموت، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام أيضاً يشاهد دوماً كيف أن الأرض الميتة تحيا بالمطر كل سنة، وكيف تدب الحياة في المخلوقات الأرضية، حيث يخرج من الإنسان إنساناً ومن الحيوان حيواناً، ويخرج الصوص من البيضة التي لا حراك فيها، كما تتحول النطفة إلى أشكال متنوعة. بل كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يسأل عن الكيفية التي تؤدي إلى الحياة وترتبط بها الحياة، وأنه كيف يُحْيِي الموتى الروحانيين؟ ثم قال لنفهم هذا من مثال المشعوذ، فإن المشعوذ حين يقوم بتحريك يده ومسحها فإنه يُحْضِر النقود، والناظر إليه يرى أنه أحضر النقود حقاً، أما الذي يطلب أن يرى فهو يريد أن يرى كيف أحضرها ويستفسر عن كيفية الإحضار. ولما سمع أولئك الأفغان هذا التفسير وكانوا من قبل غاضبين جلسوا بهدوء وبدؤوا يستمعون إلى تفسير القرآن باهتمام، وظلوا جالسين طويلاً بهدوء وصمت. فلما رُفِع القرآن الكريم من هناك بعد أن فسره حضرته عليه السلام صافحوه وقَبَّلُوا يديه، وقالوا له لقد خدعنا الناس. فالذين يكفرونك هم أنفسهم كفار، وإن لم تكن أنت مسلماً فليس هناك أي مسلم. بعد الخروج من عند حضرته تشاجروا مع الناس. فقال الناس إن المرزا ساحر إذ كل من قابله صار تابعا له، فلا يقابلنّه أحد.

ذات يوم جاءت من لاهور رسالة كتب فيها صاحبها إذا سلّمت بأن المسيح حي فأني ضرر لك في ذلك؟ فقال لي حضرته بعد قراءتها: يا صاحبزاده، اكتب إليه: أي ضرر يصيبكم إذا سلمتم أنتم بأن المسيح قد مات؟ إذ يترب على الاعتقاد بحياته إنكار القرآن الكريم، ومعصية الله ورسوله والإساءة إليه، وإنكار ختم النبوة أيضاً. بينما الاعتقاد بوفاته يُرضي الله ويصدق القرآن الكريم. فلا يصح أن تستصدروا منا الإيمان بحياة المسيح، أولاً أنكروا نبوة النبي ﷺ وبعدها اطلبوا منا التسليم بحياة المسيح؛ ادنوا أنتم قليلاً من الكفر ثم اطلبوا ذلك منا. فكتبْتُ إليه هذا الرد، فجاء منه الجواب بعد مدة أني بعد وصول جوابكم بدأت أبحث هل قد مات المسيح في الحقيقة أم هناك سبيل لحياته.

عاقبة وخيمة لمعارض

كان شخص يدعى أشرف علي خان من سكان مدينة لدهيانه، يعتقد فيّ ويזורني كل يوم، وبعد كل يومين أو ثلاثة يذهب معي لزيارة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كارها مجبراً، وكان يجلس هناك من أجلي منقبض الحال كئيب الخاطر، وكلما تكلم معي عن حضرته أبدى المعارضة، لكن بصوت خافت. وأحياناً كان ينصحني قائلاً: لا تذهب إلى المرزا، ففي ذلك الخط من شأنك، والناس يطعنون فيّ قائلين إن معتقدات من تزوره ليست صحيحة. فكنت أقول له إن حضرة المرزا على حق، وهو صادق وإمام ومهدي ومسيح وولي من الأولياء، وقد بايعته.

ذات يوم قال لي: إن لك ولعائلتك مئات الآلاف من المريدين، وأنت حفيد الإمام الأعظم والأربعة أقطاب. لماذا بايعت المرزا؟ فهو ليس مريداً

لأحد، ولا يعدّ تابعا لأي سلسلة. فرددت عليه بالسؤال قائلا: أخبرني أنه إذا ظهر الإمام المهدي الذي في بالك في أي سلسلة سينتمي، وإلى مريدي من سينضم؟ وهل ستكون بيعته عند بعثته ضرورية أم لا؟ فقال: لن تكون للإمام المهدي حاجة إلى الانضمام إلى سلسلة أحد أو أن يكون مريدا لأحد؛ فهو بنفسه إمام، وسيكون من الواجب على الجميع أن يبايعوه. فقلت في جوابه: إذن ذلك الإمام المهدي هو حضرة المرزا الشيرازي حصارا. فلما كان هو الإمام المهدي فمضى كانت له حاجة إلى الانضمام إلى أي سلسلة أو إلى جماعة مريدي أحد. بل يجب على أتباع كل سلسلة أن يبايعوه، وما حقيقة أصحاب هذه السلسلات أصلا؟ فلو كان أصحاب السلسلات بأنفسهم موجودين، لحضروا إليه من البلاد البعيدة، مشيا على أيديهم، ولبايعوا هذا الإمام الموعود. ولو كان الأقطاب الأربعة والإمام الأعظم، وحضرة معين الدين الجشتي، وحضرة محيي الدين، وحضرة عبد القادر الجيلاني وغيرهم أحياء لما وسعهم إلا مبايعة هذا الإمام. فقال بعناد: فهل المرزا أكبر من كل هؤلاء درجة؟ فقلت بحق: إن درجة حضرة المرزا أكبر من كل هؤلاء في الحقيقة. (في تلك الأيام لم تكن معلومات هذا العبد المتواضع كثيرة) لذا اكتفيت بهذا فقط، أما في ضوء معلوماتي اليوم فأقول بكل قوة وبانصراف الصدر التام: "هو أفضل من كثير من الأنبياء." فالحديث الشريف يصدّق قولي هذا، كما قال النبي ﷺ: علماء أمّي كأنبياء بني إسرائيل. والجدير بالملاحظة أنّ كاف التشبيه أحيانا تفيد المماثلة، وأحيانا أخرى تأتي للتفضيل، أي لبيان ترقّي المراتب، وقد سلّمت الأمة بأسرها أن الإمام المهدي هو مثيل المصطفى ﷺ ومظهر محمد ﷺ، ومن هذا المنطلق

أيضا يجب الاطلاع على مرتبة حضرة المرزا والإيمان به. وفي الحقيقة كل إنسان يقطع أشواط الترقى كل حين وآن.

أتذكر أنني كنت أتكلم مع أحدهم حول هذا الموضوع يوم كان الحافظ روشن علي المحترم قد جاء حديثاً إلى قاديان أيام دراسته، فتدخّل الحافظ المحترم وقال: نؤمن بأن المرزا المحترم ولي، ليس أكثر. فسمعت قوله ولزمت الصمت. فقلت سيفهم ما أقوله لكن تدريجاً. الآن إذا سأله أحد عن درجة حضرة المرزا فقد يتقدم علي بقليل في المعتقد. فردّ الرجل على هذا القول إن مرزا ليس إماماً مهدياً، وليس مسيحاً أيضاً. فقلت له حين وُلد المسيح الناصري عليه السلام في الدنيا أنكره اليهود، كما أنكرت قريشُ مكة النبي ﷺ. قال اليهود إنه ليس ذلك المسيح الذي ورد عنه الخبر أنه سيأتي في زمن في المستقبل، بل إنّ اليهود ما زالوا إلى اليوم ينتظرون مجيء المسيح.

فقال ذلك الرجل: فهل نحن يهودٌ؟ فقلت يجب أن تستعرض تصرفاتك بنفسك لتتأكد من الذي تماثله أقوالك وأفعالك. فاستشاط غضباً وقال: انظروا إن المرزا .. يقول: قد تلقيت كذا من الوحي ونزل علي كذا من الإلهام وإنني أنا المهدي والمسيح. فما كان لإنسان غيور مثلي أن يطيق سماع هذه الإساءة بحق قداسته عليه السلام (فداه حياتي وروحي ونفسي وأمي وأبي) فلطمته بقوة حتى طارت عمامته عن رأسه، وقلت له أيها المردود وعدوّ المقبول الإلهي، هل تنطق أمامي بهذه الجملة الخبيثة بحق صادق ومصدق وطاهر ومطهر؟ ألا تعرف أنني خادمه ومريده، وهو سيدي ومرشدي ومقتداي وإمامي. حذار أن تقابلني بعد اليوم أو تزورني، ثم طردته.

إلا أنه رغم ذلك ظل يطوف حول مبنى سكني لثمانية أيام أو عشرة، ولم يقابلني خوفاً. ووصل الخبر تدريجاً إلى حضرة النواب المرحوم، ولما كان حضرته هو الآخر يعتقد في حضرته عليه السلام اعتقاداً حسناً فقد لامه، وبحسب تقليد المرشدين جاء به وأسقطه على قدمي، وطلب منه أن يتوب ويتعهد على أنه لن يستخدم هذه الكلمة الخبيثة، مرة أخرى.

لقد قصصت هذه القصة على حضرته عليه السلام فقال: كان يجب ألا تلطمه، أما الغيرة الإسلامية وحسن الاعتقاد فكان من مقتضاه حصراً أن يتخلى الإنسان عن زيارة هؤلاء المسيئين الوقحين. أما الآن حين تاب وعفوت عنه فحسنٌ. إلا أنه لا ضمان لتوبة أمثال هؤلاء، فسيء الباطن ذلك لم يكن ينطق شيئاً في الظاهر، لكنه كان يحترق في داخله بنار الحسد ويشتعل حقداً. فقبل أن تمضي سنة كاملة أصيب بمرض الزهري، ونشأت في ذكره ديدان سوداء يقدر طولها بنصف بوصة، لم يهتم به أحد ومات موتاً لعيناً ترتعد الأوصال بتخيله وهو في حالة بئيسة يرثى لها. فالله تعالى غيور جداً من أجل أحبته، فقد أصابه بمرض كان قد اتهم سيدنا المرزا بإصابته به بل أشد من ذلك، اللهم احفظنا.

كان سيدنا الخليفة الأول عليه السلام يقول إن الذي يتهم أحداً بأمر ظلماً وبغير حق، يصاب به بالذات. غاية القول إن الله تعالى لم يرض بأن يسلم هذا الرجل - بعد استخدامه هذه الكلمة الكريهة جداً والمسيئة بحق حبيبنا، ومسيحنا ومهدينا الموعود والمقبول وهادينا - دون أن يصاب بالخبث نفسه. لقد قال النبي صلى الله عليه وآله إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وقال الله تعالى أيضاً في القرآن الكريم: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.

أمامنا ملايين الأمثلة على ذلك من زمن آدم عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وإلى العصر الراهن أن الذين كرهوا أحباء الله ومقبوليّه، أو آذوه واستعدّوا لمعارضتهم، تصدى الله تعالى لهم بنفسه، وأهلكهم وأبادهم عاجلا.

اجتماع ٣١٣ صحابيا

حضر ٣١٣ من الأحبة جلسةً كبيرة في قاديان إضافة إلى بعض المعارضين من الذين كانوا يحسنون الظن بحضرته، ووضع لحضرته عليه السلام تحت خشبي مرتفع مفروش بسجادة، فجلس عليه حضرته وتحلق حوله الإخوة على الأرض كالنجوم حول القمر. فكان أمامه سيدنا الخليفة الثاني، أي جانب الشمال، وفي الجانب الغربي جلس حضرة مولانا المولوي برهان الدين الجهلمي رحمته الله، وقرب التخت في الجانب الجنوبي الغربي جلستُ أنا العبد المتواضع، وعلى يميني جلس حضرة مخدومنا ومولانا المولوي سيد محمد أحسن الأمروهي. ثم أخرج حضرته عليه السلام من كتابه "توضيح المرام" الموضوع الذي ورد فيه بحثُ الملائكة واعترض عليه المشايخ بجهلهم، فألقى خطابا مبسطا ومفصلا، فأصيب حضرة الفاضل الأمروهي برقّة أذابت قلوب الحضور، وطرأت على الجميع حالة غريبة فزالت بهذا الخطاب المؤثر الشكوك والشبهات التي كانت تساور قلوب البعض.

قال حضرته عليه السلام إن دعواي بأني أنا المهدي والمسيح الموعود ليست من عند نفسي، كما لم تكن دعوى جميع الأنبياء بالنبوة والرسالة من عند أنفسهم، بل كان الله تعالى قد بعثهم وبعثني أنا أيضا على منهاج النبوة بحسب سنته نفسها، فنشرتُ الدعوى بأمر من الله تعالى وليس في ذلك أي أمنية أو افتراء لي. لو تدبر المعارضون وتفكروا مستلقين على الأسرة وعلى انفراد لتبين لهم أنه كما كانت

دعوى الأنبياء عليهم السلام بأمر من الله، فإن دعواي أيضاً مثلها بأمر من الله بالضبط وفي الموعد تماماً، وأمام الناس أمثلة كثيرة للمتقدمين، لو أردنا كتابتها في مكان لعجزنا عن ذلك لكثرتها، فلو أمعنوا النظر في هذه الأمثلة لتبين لهم جلياً وبوضوح أنني بفضل الله وكرمه لست كاذباً في دعواي ولا مفترياً بل إنني صادق وعلى الحق.

حكاية ذات عبرة

قال حضرته: كان يسكن في الغابة ذئبٌ وابن آوى وأسد، كلما صاد الأسد أكل الذئب وابن آوى أيضاً، ذات يوم خطر ببال الذئب مكيدة فقال للأسد عندما تصيد يمكن أن تجعله ثلاثة أجزاء؛ واحد لك والثاني لابن آوى والثالث لي، فغضب الأسد من هذا التقسيم المتساوي وقال له اخسأ أيها المردود الشقي! من أنت حتى تقترح علي التقسيم، فأنا سيد ومليك، لي صلاحية أن أعطي من أريد بقدر ما أريد. قال ذلك ولطم الذئب لطمه دوخته فسقط ومات. ثم سأل الأسد ابن آوى قائلاً: الآن أنا وأنت فقط قل لي ماذا نفعل؟ فهل نقسم من جديد أو تبقى القسمة بحسب الدستور السابق؟ فقال له ابن آوى: يا سيدي مكرم الفقراء أنت سيدنا ومالكنا، فالكلام أمامك إساءة ووقاحة، إلا أنني أقول بحسب طلبك إننا خدمك ورعيتك وغلمانك. ما الداعي إلى التقسيم، ينبغي أن تتناول من الصيد ما تريد أولاً وأترك قليلاً منه، ويمكن أن تتناول منه في وجبة ثانية ما تريد، وما تبقى بعد أن تشبع فيمكن أن تتركه لخدمك، فتناول فضل الملوك شرف ومبارك، وهذا أيضاً يعود إلى مرضاة حضرتك، فنحن في كل حال راضون ومسرون.

فقال الأسد: يا لك من ابن آوى حكيم، من أين تعلمت هذه الحكمة والأدب المحض. فقد قدمت رأيا رائعا، فقال ابن آوى متوسلا وبكل احترام: لقد تعلمت هذه الحكمة من الذئب؛ فقد خسر حياته إثر الحديث السخيف والكلام البذيء الذي قاله خلاف مرضاة حضرتك فتعلمت منه الدرس.

قص حضرته عليه السلام هذه الحكاية ثم قال: انظروا كم من الأقوام والقبائل والمدن والقرى هلكت كالذئاب نتيجة إساءتهم إلى الأسود أي الأنبياء، وأبيدوا، وخسروا الدنيا والآخرة. ثم قرأ الآية: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (السجدة: ٢٧). الآن يجب أن يفتح معاصرونا - المتأخرون عن هؤلاء - عيونهم قليلا، وأن يفقهوا قليلا، فكان حريا بهم أن يتعلموا الدرس كابن آوى. لكنهم تهادوا في العدا والمعارضة والشر والفتن والإيذاء والسب والشتيم، ونسج المؤمرات للقتل وسفك الدم. وسبقوا المتقدمين في مجالات كثيرة. فالله تعالى عليم بنيتنا وطهارة قلوبنا، كما هو مطلع على سوء ظنهم ونياتهم السيئة وشرورهم.

ثم ألقى سيدنا خليفة المسيح سيدنا الحكيم نور الدين وعظا استجابة للأوامر، وفي كلامه أيد كلام حضرته وردا على اعتراضات وشبهات الآريين والمسيحيين التي أثاروها لسفهمهم على الإسلام والقرآن والنبي العدنان عليه السلام.

يوم كان المولوي برهان الدين الجهلمي مريضا، وكان يجلس معه كثير من تلامذته، وكان يستمع لكل شيء مستلقيا، قال: أصبحت شيخا ضعيفا وعشت زمنا طويلا، فاعلموا أن المرزا صادق، وليس ثمة شك وشبهة في صدقه، إن قدمي في قبري، فهل يمكن أن أتقدم بشهادة زور في هذه السن المتأخرة!

ما هو الوتر

ذات يوم سألتُ حضرته عليه السلام: كم ركعة لصلاة الوتر وكيف يجب أدائها؟ قال: الوتر يُطلق على الواحد، ولكن ركعة واحدة لا تجوز. لذا ألحقت بها ركعتان نافلتان، ويمكن أدائها بطريقتين. الطريقة الأولى هي كما يصليها الأحناف، والطريقة الثانية هي أن يصلي المرء ركعتين ويسلم ثم يقف دون أن يتكلم ويصلي ركعة أخرى.

قلتُ: هل يجب قراءة القنوت؟ قال: نعم، يجب قراءته. قلت: يقول بعض المشايخ أن دعاء القنوت لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: إنهم يخطئون خطأ مضاعفاً. إن دعاء القنوت أي: "اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير، ونشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق"، دعاء عجيب وزاخر بالتوحيد. لا يمكن أن يلفظ كلمات التوحيد من هذا القبيل أحد سوى سيد المرسلين، سيد الموحدين صلى الله عليه وآله. هذا تعليم خالص من الله. فدت نفسي تلك الكلمات وذلك اللسان الذي خرجت منه.

فتوى قصر الصلاة

سألتُ حضرته عليه السلام ذات مرة: على أية مسافة يجب قصر الصلاة؟ قال عليه السلام: هناك سفر، وهناك نزهة. فإذا كان الذهاب إلى ثلاثة أميال بنية السفر مثل السفر من لدهيانه إلى "بجلور" فيجب قصر الصلاة. هكذا كان عمل الصحابة رضي الله عنهم. وهناك بعض الضعفاء والمسنين جدا والحوامل فيكون ميل

واحد أيضا سفرا لهم. أما إذا ذهب الإنسان للنزهة فلا قصر له وإن مشى إلى ثمانية أميال.

كنا نتكلم مع حضرته حول هذه الأمور، ذات يوم قلت لحضرته يا سيدي، الناس يضايقوننا كثيرا، فقال يوشك أن يأتي زمن يتعبون هم أنفسهم من المضايقات، أما الآن فصبرا، فالصبر نعمة عظيمة والله مع الصابرين.

هروب المشايخ المعاصرين من المواجهة

كنا منشغلين ليل نهار في هذه المناظرات والنقاشات إذ جاء المولوي أبو سعيد محمد حسين البطالوي من "شملة" إلى لدهيانه، وفور وصوله كتب إلى حضرته: هل من مبارز؟ وأثار شغبا وضجيجا في المدينة مدعياً أنه أمسك بفريسته الهاربة في لدهيانه، فعلى المرزا الآن أن يناظره. فاستعد حضرته عليه السلام للمناظرة، وكان يتبغي أن يناظره المشايخ الثلاثة من لدهيانه "ذو ثلاث شعب"، الذين كانوا في أهل لدهيانه يعدّون كثالوث يسوع، أحدهم المولوي عبد الله والثاني المولوي عبد العزيز والثالث المولوي محمد، ولكنهم لم يواجهوا حضرته عليه السلام، مع أن حضرته عليه السلام كان قد نشر إعلانا أو اثنين باسم هؤلاء الثلاثة وغيرهم من المشايخ. والمولوي شاه دين الذي كان مريد المولوي رشيد أحمد الكنكوهي ومساعدّه، هو الآخر لم يتقدم للمناظرة، رغم إثارته ضجة كبيرة بادّعائه بأنه جاهز للمناظرة. فلما نشر حضرته إعلانا للمناظرة فرعوا كلهم، ولم يذكروها. فلما طالبهم الناس وأنا الآخر شجعتهم قالوا إن المرزا عديم العلم، ولا يليق بنا أن نناظر شخصا عديم العلم. أتذكر جيدا أن المولوي شاه دين كان قد كتب إلى مرشده المولوي رشيد أحمد يسترشدّه في المناظرة: كيف يمكن وفي أي

موضوع يمكن أن يناظر المرزا. فجاء الرد: إن مناظرة المرزا ليست عملك، لذا ماطلّ أولاً، وإن لم تستطع ولم تجد بدا من المناظرة، فلا تناظره أبداً في موضوع وفاة المسيح الناصري عليه السلام وحياته، لأنك لن تنجح في هذا الموضوع أنت ولا غيرك أبداً. إلا أنه يمكن أن تناظره في موضوع نزول المسيح، وفي هذا المجال يمكن أن نكسب القضية لحد ما. وكذلك حدث مع المولوي مشتاق أحمد، فكتب هو الآخر إلى المولوي رشيد بل قد حضر عنده في كركوه وتلقى منه الجواب نفسه الذي تلقاه المولوي شاه دين قبله. باختصار قد شككت لجان كثيرة في لدهيانه، وديوبند، وسهارنبور، وكنكوه من أجل التشاور في هذا الموضوع، وكلهم أبدوا العجز عن المناظرة، بينما أشاعوا بين العامة كذباً ورياء أنهم جاهزون للمناظرة.

المولوي مشتاق أحمد الأنبيتهوي

كان المولوي مشتاق أحمد الأنبيتهوي الموظف في لدهيانه يفتخر بعلومه وتمكنه من علم الحديث، لكنه بحسب علمي أخطّ من غيره من المشايخ، ويملك جمجمة فارغة بحيث لا إلمام له بالمسائل اليومية، وإني دوماً أسميه من هذا المنطلق "گستاخ أحمد" (أي المسيء إلى أحمد). وإني لخير مطلع على أوضاعهم في الداخل والخارج لتجاور قرى أنبيته، وسهارنبور، وكنكوه، وارتباطي مع هؤلاء المشايخ بعلاقات الأخوة والقربة. أما المولوي رشيد أحمد الكنكوهي فرد على ذلك أنه عديلي أيضاً. وإذا أردت تسجيل شهادات المولوي مشتاق لزمني دفتر كامل، إنما أكتفي بتسجيل أمر واحد فقط عن كفاءته وتمكنه من العلوم، وبها يمكن أن يقدر القراء بأنفسهم مدى معرفته ومبلغه من العلم، وهو أنه كتب بكل ثقة في كتيب له (قد

نسيت اسمه وسأذكر اسمه وعبارته لاحقاً إن شاء الله) أنه حين انتهت صلاة الجمعة في مدينة كلير وقام الإمام على المنبر لإلقاء الخطبة، دعا أحد المصلين واسمه صابر على المصلين وقال أيها المسجد: انهدم، فانهدم المسجد ومات تحته جميع المصلين البالغ عددهم ٥٠٠ شخص بمن فيهم العلماء والفضلاء والأغنياء والفقراء تحته. ومما يدعو للتفكير أنه بالإضافة إلى علوم الدين كان متمكناً من علم التاريخ أيضاً! فكل مسلم مهما كان بسيطاً يعرف أن خطبة الجمعة تُلقى قبل الصلاة، ولا يوجد في أي فرقة إسلامية اختلاف حول هذا الموضوع، حيث لا توجد فرقة تؤمن بأن صلاة الجمعة تقام قبل الخطبة. ثم إن دعاء حضرة علاء الدين علي أحمد صابر على المصلين لمجرد أنهم لم يجلسوه في الصف الأول، وقتله نتيجة لذلك كل العوام والخواص والأغنياء والفقراء. لم يذكر أي كتاب تناول تاريخ كلير قصة هدم المسجد ولا هذا الاسم الطويل لأي صالح.

لذلك كان علي المولوي مشتاقاً أحمد أن يعيش بصحبة الشيخ، لأنه سيجد عندهم تقديراً كبيراً، لأن الشيخ أيضاً مهرة في علم التاريخ. فقلوه هذا يشبه كلام الشيخ حيث كتبوا أن بابا نانك حين سافر إلى مكة انقلبت مكة (أي الكعبة) تجاه قدميه، ثم جرى النقاش في مكة بين الإمام الأعظم وإبراهيم خليل الله. فالشيخ لا يعرفون متى كان بابا نانك (الذي كان قبل ما يقارب ٤٠٠ سنة) وأن الإمام الأعظم كان قبل اثني عشر قرناً، أما سيدنا إبراهيم خليل الله فقد مضت على وفاته قرابة أربعة آلاف سنة.

تذكرت أمراً عجيباً حول هذا الموضوع، وهو أن في مدينة "الور" سيّد مشهور اسمه سيد أمير حسن، سألتُه عابراً: من أي فروع السادات، ومن نسل أيٍّ من

الأئمة الاثني عشر أنت؟ فقال أنا من السادات المدنيين، ومن ذرية الإمام الأعظم. فقلت له إن الإمام الأعظم من كيان الإيرانية وفارسي النسل، فهو ليس من المدينة. ولم يكن الإمام الأعظم رحمة الله عليه نفسه من السادات، فكيف أصبحت أنت سيدا؟ سخط مني بعد سماع هذا الكلام وانصرف ولم يقابلني بعدها قط. فالمولوي مشتاق أحمد أيضا من أمثال هؤلاء البسطاء. فهذه هي مشيخته وعلمه، ومع هذا فإن جميع المشايخ من فرقته هم من هذا القبيل، حيث لم يقل له أيُّ منهم: يا رجل ما هذا الذي كتبتَ بأن الإمام ألقى خطبة الجمعة بعد الصلاة؟

هناك مولوي من سكان رام بور التابعة لمحافظة سهارنبور واسمه عبد الكريم، ولي صلة القرابة به أيضا من بعيد، وهو قريب المولوي رشيد أحمد الكنكوهي وتلميذه ومريده وخليفته أيضا. ذات يوم سئل عن قول المولوي مشتاق أحمد الذي كتبه حول خطبة الجمعة بعد الصلاة فقال: أخطأ. فلما قلت له كان ينبغي أن تصححه، وتزيل الخطأ. فقال: كان ذلك سيؤدي إلى تشويه سمعة المشايخ من فرقتنا، فمن ذا الذي يرى هذه الأمور؟ فقد كتب ما كتب وانتهى الأمر.

قلت له هكذا قد أفسد المشايخ الناس بالكتابة من هذا القبيل عن المهدي والمسيح، ولا شك أن مثل هذه الأخطاء في الفهم قد أهلك العالم. فمن المؤكد أن مثل هؤلاء المشايخ السفهاء قد أساءوا الفهم، وكتبوا عن المسيح أمورا غريبة، وأهلكوا الناس بسببها.

باختصار كل هؤلاء المشايخ المذكورين آنفا قالوا للمولوي رشيد أحمد الكنكوهي: إنك محدث وعالم وفاضل، وأنت بيرنا ومرشدنا، وأنت المفتي؛ لذا

ناظرُ أنت المرزا. لكن المحدث الكنكوهي ظل يتهرب من المناظرة، ويحاول أن يتخلص منها، ويتفادى أن يُفتضح في علمه.

تهرب المولوي رشيد أحمد الكنكوهي من المناظرة

ذات يوم قلت لحضرته عليه السلام إن كل هؤلاء المشايخ عجزوا عن مناظرتكم، وما زالت أنظار الجميع مشدودة إلى المولوي رشيد أحمد الكنكوهي، فإذا وافقتم فهل يمكن أن أكتب إلى المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أن يستعدَّ للمناظرة. فقال حضرته: إذا كان يمكن أن يُقدم على ذلك بقولك هذا فاكتب له حتما. فاكتب له أن مرزا غلام أحمد القادياني موجود في هذه الأيام في لدهيانه، وقد أعلن الدعوى بأنه هو المسيح الموعود، ويقول إن عيسى عليه السلام قد مات، ولن يأتي الآن. أما عيسى الذي وُعد به بنزوله في الأمة فهو المرزا نفسه. والمشايخ الآخرون لا يناظرونه، أما أنت فبما أنك مرشد المشايخ وفرقة أهل السنة والجماعة، والناس الكثيرون ينظرون إليك، لذا أرجو أن تناظر المرزا المحترم حول هذا الموضوع. فلما كنت تدعي أنك محدث وصوفي أيضا، وتدعي تلقي الإلهام أيضا^١ فمن واجبك ألا تتهرب،

^١ لقد كتبت أنه يدعي الإلهام لأنه حين ذهب كلٌّ من المولوي شاه دين، والمولوي مشتاق أحمد، والمولوي عبد القادر إلى المولوي رشيد أحمد في كركوه وقرؤوا عليه إلهامات المسيح الموعود عليه السلام المذكورة في البراهين الأحمديّة، قال لهم المولوي رشيد أحمد بعد سماع بضعة إلهامات: إن تلقي الإلهام ليس شيئا عظيما، فأمثال هذه الإلهامات يتلقاها مريدٌ أيضا. عندها كان المسيح الموعود عليه السلام قد قال: إذا كان مريدوك يتلقون مثل هذه الإلهامات فيجب تقديمها لنا، لكي نقارن تلك الإلهامات أو إلهاماتك أنت لأنه إذا كان المريدون يتلقون الإلهامات فمن المؤكد أن المرشد يتلقى أفضل منها. ونخاف وعيد ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (الحاقة: ٤٥)،

وعليك أن تشترك في القضية وتناظر، وذلك لأن من هذا الجانب يصدر بيان وفاة عيسى عليه السلام بكل حماس وقوة، ويتم إثباته بالأدلة والنصوص الصريحة من القرآن والحديث، وبتقديم شهادة أئمة السلف. ثم إن إعلان الدعوى بالمسيح الموعود وميل الناس إليه، وانضمام العلماء مثلك بل من هم أكثر منك علما^١ إلى جماعته يثير ضجة في العالم. والمناظرة يجب أن تكون حول المسألة الأصلية، أي حياة عيسى عليه السلام ووفاته.

كتبْتُ هذه الرسالة فوقَّع عليها حضرته، وكتبْتُ في نهايتها الراقم: سراج الحق النعماني وجمالي السرساوي، وأرسلْتُها بعد إطلاع حضرته عليه السلام عليها. كنت أرى إرسال هذه الرسالة إلى المولوي رشيد أحمد الكنكوهي مهمًّا لأنه عديلي، ومن معارفي، ثم إن بلدي سرساوه وبلدته كنكوه كلتاهما في محافظة سهارنبور، وبينهما مسافة ١٥ ميلا، ولي علاقات أخوية أيضا به، كما أن حماقي وبعض أفراد أهل زوجتي من مريديه. فحين وصلت رسالتي هذه إلى كنكوه أثَّرت ضجة بين المولوي رشيد والمعتقدين به وتلامذته. صحيح أن التخلص من الناس

فليكن واضحا أن المولوي كان قد ادعى باللسان فقط، أما عمليا فلم يقدم أي إلهام له أو لأحد مريديه، بأن هذه هي الإلهاماتي وهذه إلهامات مريدي.

١ قال عليه السلام: يا سيادة الصاحبزاده، أنت تعرف أن إقبال العلماء إلينا والانضمام إلينا ليس خطأ، فأحدهم مولانا نور الدين المحترم الذي ليس أقل منه بل يفوقه بفضل من الله، وكذلك مولانا المولوي سيد محمد أحسن المحترم الذي ألف كتاب "إعلام الناس" تصديقا لدعواي، وأرسله مطبوعا، مع أنه لم يتم اللقاء بيننا، وهذا الكتاب غريب حيث سجل فيه ما في ضميرنا، وحصل فيه التوارد معنا. ثم ذكر أسماء بعض المولويين الآخرين أيضا، لكنني لا أذكرهم الآن. (من المؤلف)

وصرفهم كان سهلا، لكنه متى كان له أن يصرفني أنا العبد المتواضع، ويخترع العذر لذلك، إلا أن يقبل دعوة المناظرة.

لقد كتب المولوي رشيد أحمد ردًا على رسالتي هذه:

مخدومي المكرم بير سراج الحق المحترم، إنني أولا أبدي الأسف على وقوعك في فخ المرزا، أي شيء كان ينقص عائلتك وبيتك، إنني أقبل المناظرة مع المرزا، بشرط أن تكون خطابية وشفهية، ولن أقبل المناظرة الخطية بأي حال من الأحوال أبدا، والمناظرة ستكون في اجتماع عام، ولن تكون حول وفاة المسيح وحياته لأنها فرع، بل ستكون المناظرة حول الأصل أي نزول المسيح. كتبه رشيد أحمد الكنكوهي.

أطلعتُ حضرته على هذه الرسالة فقال: على كل حال نشكره على أنه إثر كتابتك أقرّ على الأقل بأنه مستعد للمناظرة، حتى لو كانت شفهية. وإلا لم يكن ليقبل حتى هذا. اكتب إليه ردًا على رسالته أنه لا يجوز خلط المبحث في المناظرة. يجب أن تكون المناظرة خطية لكي يطلع عليها جيدا غير الحاضرين أيضا من الفريقين، ففي النص المكتوب لا يحصل الخلط أيضا، ولكن في الخطاب الشفهي يمكن أن يحدث الخلط في البحث. فلا ثقة للخطاب لأنه لا يؤثر في أحد. ولا يمكن حفظه كاملا، كما ثمة احتمال في الخطاب أن يتراجع القائل عن موقفه أو رأيه بعد التصريح به، ويمكن أن يرفض الكلام. وبعد المناظرة يصعب اتخاذ القرار أو الرأي، ويبالغ أتباع كل فريق في الأمور كثيرا فيلتبس الحق بالباطل. أما المناظرة الخطية فتكمن فيها فائدة هامة، وهي أن أحدا لا يستطيع أن يزيد على النص أو ينقص منه أو يشيع أمرا خاطئا. أما ما كتبت بأن المناظرة

يجب أن تكون حول نزول المسيح الذي هو الأصل، فأسألك باحترام: أنى لنزول المسيح أن يكون هو الأصل وكيف تعدّ حياة المسيح ووفاته فرعاً؟ إذ إنّ المسألة الأصلية هي حياة المسيح ووفاته حصراً، وإذا ثبتت حياته ثبت النزول أيضاً، وإذا ثبتت وفاته فسوف يبطل نزول المسيح (بجسده المادي) تلقائياً. فحين يكون المنصب شاغراً يمكن أن يتقلّده أحد. إن أساس دعوانا هو وفاة المسيح نفسها، وإذا ثبتت حياته فالكلام في دعوانا عبث. أرجو أن تفكر في الأمر وتستعد للمناظرة، فالكثيرون من العامة والمشايخ ينظرون إليك، ويعقدون عليك الآمال. ثم وقّع حضرته على هذه الرسالة وأرسلتها باسمي إلى كنكوه.

فكتب المولوي رشيد ردّاً على هذه الرسالة: من المؤسف أن المرزا المحترم يعدّ الأصل فرعاً والفرع أصلاً، ويصر على أن تكون المناظرة خطية، أما أنا فلست جاهزاً للمناظرة الخطية أبداً، ولا حاجة لي أن أتورط في هذه المناظرة.

قرأتُ هذه الرسالة أيضاً على حضرته، فقال: يجب أن نبدي الأسف نحن لا المولوي المحترم، إذ قد اقتحمتُ داره أي خربت معتقداته، واحتللت عقاره، وأثبتت وفاة عيسى عليه السلام الذي كان يعقد عليه آمالاً كبيرة ويتمنى نزوله من السماء، وقد دفنّا في الأرض من كان قد أجلسه في السماء، وخبّينا آماله. وبحسب قول هؤلاء المشايخ فقد أحدثنا شرّاً في بناء الإسلام، وجمعنا الناس معنا من هنا وهناك بحيلة. فمعلوم أن الخاسر هو الذي يبكي ويصرخ. وهؤلاء المشايخ رغم تسميهم حماة الدين وحفظة الإسلام لا يستوعبون أنه إذا احتل أحدُهم عقارهم وبيتهم وسلب أمتعتهم، فهم يجزّونه إلى المحاكم، ويستعدون لقتله ولا يتراجعون عن موقفهم حتى يصدر الحكم من المحكمة. أما الآن فيحتجون

بقولهم: ما حاجتنا؟ فهذا يعني بتعبير آخر أنه لم يعد يُهمهم دين الإسلام والإيمان الصحيح مطلقاً؛ إذ لم يكن عندهم دليل وليس في أيديهم شيء، والحق أنهم لا يملكون شيئاً، إذ قد احترقت كومة معتقداتهم الباطلة وصارت رماداً، وإذا خاضوا في هذا النقاش فسيفتضحون في مشيختهم وتصوفهم ومنصبهم في الإرشاد والتوجيه، وتسود وجوههم وعلمهم وفضلهم. اكتب إليه: يا أيها المولوي، إنك تدعي العلم اللدني والباطني أيضاً، وإن لم يسعفك العلم المادي الظاهري فيجب أن تستعين بالعلم الباطني اللدني. وإلا متى سوف يفيدك هذا العلم؟

فكتبْتُ هذا الخطاب لحضرته وأضفت إليه بعض الكلمات المثيرات من عندي وأرسلته إلى سيادة المولوي رشيد.

فكتب المولوي رشيد أحمد الكنكوهي ردّاً على هذا: إني جاهز للنقاش الخطابي الشفهي، وإذا كان المرزا يريد النقاش الخطي فهذا شأنه أما أنا فلن أخوض في المناظرة الخطية. فقد جاءتني رسائل من الكثيرين من لاهور أيضاً فإذا أراد المرزا فليناظرني شفهيًا.

فلَمَّا لم يجد المولوي مهرباً ولم يتخلص من سراج الحق بعد أن وصلته رسالة من جماعة كبيرة من لاهور. وبالمقابل وصل من جماعة لاهور طلبٌ إلى حضرته عليه السلام أيضاً كتبوا فيه أنهم يتحملون مسؤولية تأمين مكان المناظرة والأكل والشرب أيضاً. وأرسلوا إلى المولوي المحترم أيضاً خطاباً قالوا له فيه إذا لم تناظر وماطلتَ وتهربت بأعذار واهية فسوف تُنشر رسائلك ورسائلنا في جميع الجرائد، وسوف يتوصل القراء إلى النتيجة من تلقاء أنفسهم. فمن ناحية وصلته هذه الرسالة ومن ناحية أخرى جاء المولوي محمد حسين

البطالوي إلى مدينة لدهيانه، وأثيرت ضجة فيها، وأصيب محرر جريدة نور أفشان ومؤيدوه بمشكلة. الله الله كان هذا المشهد أيضا جديرا بالمشاهدة، وكان يشكّل مشهدا للقيامة، حيث كانت تمثل أمامنا حياة النبي ﷺ في مكة والطائف إذ كانت التفاصيل مماثلة تماما. فلولا وجود الحكومة البريطانية، الله أعلم إلى أي مكان كنا نحن الفئة القليلة، هل كنا سنضطر للهجرة على شاكلة المهاجرين إلى الحبشة، أو كيف كنا سنأوي إلى جبل القاف على شاكلة فتية أصحاب الكهف، أو كان يمكن أن يُستشهد بعضنا كالصحابة الكرام، بعد مواجهتهم الاضطهاد.

من جهة كان يرسل إلي المولوي محمد حسين البطالوي رسائل شفوية من أجل المناظرة، ومن جهة أخرى كان يسعى سرّا لتسيء الحكومة الظن بحضرته ويقول لأصدقائه: يجب مواجهة المرزا باليد أيضا لا باللسان فقط.

دعوة اثنين من أصحاب الزوايا

خلال هذه النقاشات وأثناء فترة تبادل الرسائل والضجيج أرسلت رسالة إلى ميان الله بخش التونسوي السنكهري، وأخرى إلى شاه نظام الدين البريلوي نيازي وكان موضوعهما: رفاق الطريقة، وإخوة المعرفة الخواجه الله بخش المحترم التونسوي، والخواجه شاه نظام الدين حسين المحترم البريلوي الجشتي دامت عنايتكما، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد فإن حضرة مرزا غلام أحمد القادياني في هذه الأيام جاء إلى لدهيانه وأعلن أن عيسى عليه السلام الذي كان قد نزل عليه الإنجيل وكان قبل ستة قرون من النبي ﷺ قد توفي كغيره من الأنبياء. فهو ليس حيّا وليس في السماء بجسده

المادي، ولن يأتي من جديد بعد النبي ﷺ قرب القيامة. أما عيسى الذي وُعد به فكان المراد منه رجلا من أمة النبي ﷺ الذي سيأتي على شاكلة عيسى، متصفا بصفاته في زمن غلبة النصارى وضجة عبودية الثالوث. فسوف يأتي لكسر الصليب وإبطال الثالوث، وسيادة المرزا يقول إنه هو ذلك المسيح الموعود أو عيسى الموعود، وأن الله ﷻ قد بعثه في الموعد بالضبط لكسر الصليب بحسب وعده، ولحق ألوهية يسوع والثالوث، وأيده بروح القدس. وأنه لا يقدر على مواجهته أحد في العلم والروحانية والخواص والكرامة والكتابة والخطابة. وأن الذي سيتصدى له سيواجه الفشل والخيبة، وأن الله لن يؤيده وسيؤيد المرزا. فالمشايخ قد عجزوا عن مواجهته ولا يملكون غير التكفير، بينما يأتي الناس من قريب وبعيد^١ ويبايعونه إيمانا منهم بأنه هو المسيح الموعود نفسه. الآن لا ألتمس منك أنا وحدي بل كثيرون مثلي أن تواجه المرزا المحترم علميا أو روحانيا. فإذا كان المرزا المحترم كاذبا فليتبين لنا. أما إذا كان على حق، كما أؤمن أنه على حق، لأن الله ﷻ قد كشف عليّ في الكشف أنه صادق (وسوف أسجل هذا الكشف لاحقا في سياق ذكر المناظرة مع المولوي محمد حسين البطالوي) فليستين ويتجل صدقهُ. والسلام.

^١ الواقع أن الفتاوى تصدر هنا وهناك، ويصدر السب والشتم والمعارضة من طرف آخر في الجرائد والمجلات، لكنني فداء قدرة الله إذ تجري سلسلة البيعة، حيث يأتي الناس ويبايعون. وفي أيام الفتن تلك جاء ميان كريم بخش المحترم بشهادة المرحوم حضرة غلاب شاه، وهي مسجلة في كتاب إزالة الأوهام بالتفصيل، ولقد نماه المولوي المرحوم محمد حسن زعيم لدهيانه كثيرا ونصحها ألا يبين شهادة غلاب شاه هذه، لكن ذلك الرجل الرباني التقى الذي كان يخشى الله لم يمتنع عن ذلك. منه

لقد قرأت هذه الرسالة على حضرته عليه السلام فأعجب بها وكتب بتوقيعه: إني جاهز للمواجهة علميا وروحانيا وباطنيا. وإن ما كتبه صاحبزاده سراج الحق شاه المحترم هو صواب، وإني أنا المسيح الموعود والإمام المهدي. ولا شك أن المسيح الناصري عليه السلام قد توفي ولن يعود إلى هذا العالم. فالذي سيبيع على يدي إيمانا بي سواء كان صاحب زاوية أو ثرياً أو فقيراً، أو أحداً من العامة أو الخواص سيسلم. وإلا فسيقطع وسينال نصيباً من غضب الله وسخطه. فلما كنت مرشداً قد ورثت هذا المنصب وصاحب زاوية وصوفياً لذا يجب أن تواجهني في هذه القضية خطياً أو باطنياً بقوة القلب أو بالدعاء لكي يتبين الحق وينمحي الباطل. العبد المتواضع مرزا غلام أحمد القادياني من لدهيانه.

ثم قال لي: يا صاحبزاده، أرسل هذه الرسالة بالبريد المسجل، فأرسلتها إلى تونس وبريلي.

فمن تونس (أي سنكهر) لم يأت أي رد، وقد حدث من قبل أيضاً حيث كان المسيح الموعود عليه السلام قد أرسل البراهين الأحمدية إلى المدعو الله بخش في تونس استجابة لرغبة أحدهم في ذلك. فكان قد أعاد الكتاب ممزقا، وكتب على زاوية من الكتاب: لا حاجة لنا إلى أي مجدد أو كتاب، فحسبنا ملفوظات أسلافنا. وكان حضرته عليه السلام عند ملاحظة هذا التكبر قد أبدى الأسف، وقال إذا كان لا يحتاج إلى أي مجدد ومبعوث من الله فالله تعالى هو الآخر غني عن أمثال هذا. لقد كان في زمن النبي صلى الله عليه وآله المبارك أيضاً رهبان ونساك من هذا النوع فرفضوا ذلك الإنسان المقدس لاستكبارهم وباؤوا بغضب الله ووباله ونكاله، وانقرضوا بعد ذلك.

أما بريلي فجاء منها الرد التالي:

المطلع على الحقائق والمعارف حضرة المكرم الصاحبزاده شاه محمد سراج الحق
النعماني وجمالي دامت عنايته،

أما بعد التحية الصوفية والتحية المسنونة فأقول: أنا العبد الفقير لا أقدر على
أي المواجهة أو التصدى باطنيا أو روحانيا، فهذه مهمة المشايخ. فأنت الآخر
صوفي ودرويش وحفيد المرشد الهانسوي العظيم وسليل الإمام الأعظم رحمة الله
عليهم أجمعين، فأنا أحسن فيك الظن. فسوف يحدث حتما ما أراد الله تعالى.
أرجو المَعذرة.

الراقم الفقير نظام الدين حسين النيازي الجشتي من بريلي.

قدمتُ هذه الرسالة لحضرته فقرأها ثم قال: انظر كيف أبدى التونسي
التكبر، أما هذا فكم هو متواضع. فله شؤون في عبادته، ولكن دعك من هذا.
فاكتب إلى المولوي رشيد أحمد الكنكوهي حتما، وأقم عليه الحجة، واكتب
له إننا نقبل المناظرة الشفهية تنازلا، بشرط أن يكتب أحدهم خطابك أثناء
إلقاء الخطاب، وعندما ألقى أنا الخطاب يجب أن يكتبه شخص آخر فورا.
وما دام أحد الفريقين يلقي الخطاب يجب ألا يقاطعه الفريق الثاني أو أي شخص
آخر، كما ينبغي ألا يتكلم أحد ما لم ينته الخطاب ثم يُنشر الخطابان كلاهما.
والمناظرة يجب أن تكون في لاهور، لأنها مركز العلوم والفنون.

أرسلتُ رسالة حضرة الإمام الهمام عليه السلام هذه إلى المولوي المحترم، فجاء منه
الرد أن الخطاب سيكون شفهيًا فقط ولن يسمح لأحد بكتابته كاملا أو أية
فقرة منه، كما سيكون من حق من شاء من الحضور أن يتكلم ما يحلو له لقناعته

ورفع الاعتراض. أنا لن أذهب إلى لاهور، فليذهب المرزا المحترم إلى سهارنبور وسأذهب أنا أيضا إلى هناك. فقال حضرته عليه السلام ما هذا السخف وقلة الهمة بألا يعطي مكتوبه؟ ففي المكتوب فوائد جمة، إذ يستطيع الانتفاع به الحاضرون والغائبون كلهم، والرجال من قريب وبعيد أيضا، فيستطيعون اتخاذ القرار. أما الخطاب الشفهي فينحصر في الحاضرين والسامعين فقط، وهم أيضا لا ينتفعون منه انتفاعا كاملا ولا يقدرّون على اتخاذ القرار النهائي. فلماذا يخاف من تسليم مكتوبه، نحن أيضا نقدم المكتوب من طرفنا. وكأنه يريد أن يلتبس الأمر ويحدث الخلط. قال حضرته إن عقد المناظرة في سهارنبور ليس مناسبا، فأهل سهارنبور لا يملكون كفاءة تؤهلهم للبت في القضية وتمييز الحق من الباطل. أما لاهور فتعدّ دار العلوم ومقر العلماء في العصر الراهن، كما أن سكانها من كل بلد ومدينة ومن أتباع كل دين وملة. فاذهب إلى لاهور وسأذهب أنا الآخر إليها، وسوف أتحمل نفقات السفر ومصاريف السكن فيها إلى أيام المناظرة، وأجرة البيت وغير ذلك. أما سهارنبور فليست بلدة أهل العلم. وليس فيها سوى الشعب والضجيج. فكتبْتُ هذا الموضوع وأرسلته بعد توقيع حضرته عليه السلام إلى كنكوه. فكتب المولوي رشيد المحترم مرة أخرى ردا عليه: لن أذهب إلى لاهور، إنما أستطيع المجيء إلى سهارنبور فقط، ولا أوافق على مناظرة خطية كما لا أستطيع أن أسمح لأحد بكتابة خطابي الشفهي أيضا.

بعد قراءة هذه الرسالة قال حضرته عليه السلام لم تبق في هؤلاء قوة اتخاذ القرار والتمييز بين الحق والباطل. فهم يعلمون الحديث ويسمّون محدثين، ولم يُعطوا نصيبا من الفهم والفراسة. اكتب إليه يا صاحبزاده المحترم، أني سوف أذهب إلى

سهارنبور، وينبغي أن يؤمن الحرس، حيث يجب أن يكون هناك مسؤول أوروبي، فأنا لا أطمئن بالمسؤولين المحليين، فأرجو إخباري بعد إنجاز هذه الترتيبات وأرسل إلينا الورقة الحكومية الرسمية، وأنا سوف أصل إلى هناك في الموعد، وينبغي نشر إعلان هذه المناظرة لكي يأتي إلى سهارنبور من لاهور وغيرها من المدن من يحب العلم، ويرغب في الاستماع إلى المناظرة.

وإلا ففي لاهور يمكن أن نطلب من الحكومة تأمين الأمن للجميع. أما موضوع الخطي أو الشفهي فيمكن أن نؤجله إلى حين المناظرة ونتخذ القرار بحسب رأي الحضور بحيث نلتزم به كلانا وسوف يتقرر ما هو مناسب. باختصار يجب أن تناظرني في كل حال، فإن أنظار الناس ترنو إليك.

أرسلت هذا الموضوع إلى المولوي رشيد المحترم فلم يرد عليه وإنما كتب: إني لا أستطيع أن أتحمل مسؤولية تأمين الأمن ثم لزم الصمت رغم التذكيرات الكثيرة. فمن ناحية كانت هذه المراسلات مع المولوي رشيد الكنكوهي والتونسوي والبريلوي، وبالمقابل كان هناك استعداد للمناظرة مع المولوي محمد حسين البطالوي، إذ بالمصادفة جاء إلى لدهيانه المولوي غلام نبي المحترم من سكان خوشاب في البنجاب، كما جاء من لاهور المولوي رحيم بخش، وهو الذي انضم فور وصوله إلى المصدقين. كان يتكلم بكلام رائع وعذب، فبايع حضرته وأخبر أن ما جذبه إلى حضرته عليه السلام هو ما لاحظته في إحدى القرى - إضافة إلى كثرة الفسق والفجور - أن مسلما حاجًا تزوج ابنته البالغة من العمر ٢٠ سنة. فذات يوم كانت تلك البنت تبكي (وكان الحادث قد اشتهر) فسألته النساء: لماذا تبكين، أضربكِ عشيقك (أي والدك)؟ فكنت يتكلمن حول هذا

إذ وصلتُ بالمصادفة إلى هناك، فوجدت صدق الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ "لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عِلَاقِيَّةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ"، فقد لاحظت تحقق هذه النبوءة بأمر عيني. كنت أنتظر قائلاً بما أن الأمة قد صارت يهودية فمتى يأتي المسيح؟ فالحمد لله على أني وجدت إعلانك الذي كان عنوانه "ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة"، فأتيت لتصديقك ومبايعتك. والآن بعد وصولي إلى هنا عرفت أن المولوي محمد حسين البطالوي جاء إلى هنا لمناظرتك، فأني له أن يناظرك إذ أنه أرضي وأنت سماوي، وإذا ناظرك فسوف ينهزم حتما. الآن أكتب- تأييدا لما ذكر المولوي رحيم بخش- أمرين شهدتهما بأمر عيني وهما:

تصديق نبوءة النبي ﷺ

كان في قرية "حصار" التابعة لمحافظة هانسي رجل له ثلاث بنات، اثنتان منهن كبيرتان والثالثة صغيرة، وكن الثلاثة جميلات ومن الحسان. فعشق الرجل بنتيه الاثنتين وساءت نيته. فلما علمت بذلك زوجته طلبت مني أن أنصحه بأي طريقة، ليتخلى عن نيته الفاسدة ورغبته الخبيثة. فلما كان يزورني كل يومين أو ثلاثة ما وجدت مناسبا أن أتكلم معه حول هذا الموضوع مباشرة. إنما كدت له حيث قلت له بعد الاستعداد للسفر: تعال نخرج في سياحة بعض البلاد، ففي السفر يكسب الإنسان أمورا رائعة. ثم خرجنا في سفر طال سبعة أشهر تقريبا، ومع ذلك لم يتخل عن فكرته السيئة. قلت له كثيرا أن يزوج ابنتيه ولم يقبل. ذات يوم قال لي: سوف أعتنق المجوسية ودين عبدة النار، حيث يُسمح

بالزواج من البنات. فارتجف قلبي عند سماع ذلك، واهتزرتُ، فخطر ببالي مكيدة أن أحضره في مجلس المسيح الموعود عليه السلام فأبقيته مدة ثلاثة أشهر على التوالي بصحبة حضرته عليه السلام، فمن قدرة الله تعالى أنه تحلى عن إرادته الحبيثة ببركة فيوضه عليه السلام وتأثير صحبته، ثم بايع وزوج بنتيه، والآن قد توفي.

الحادث الثاني أن خليفة جليلا من السادات وأصحاب الزوايا وهو إمام في المسجد الجامع في بلدة "جيلو باتن" بولاية "كهيتري" قد اقترن بخالته وأنجبت منه ولدا. وقد رأيت ذلك الولد، وهذا الأمر مشهور في المنطقة، لكن لما كان الناس قد اتخذوا عادات اليهود، كانوا يقتدون بذلك الخبيث في الصلاة، وينضمون إلى مريديه. وحين اعترض أحد على تصرفاته وعلى تقليدهم له قالوا يجب علينا اتباع البير ولا يُهمنا أفعاله. ربما كان هذا جائزا، ولذلك أقدم هو على فعله. فقلت: الخبيثات للخبيثين. فالمريدون مثل المشايخ تماما.

باختصار، نشط المولوي غلام نبي فور وصوله إلى لدهيانه، في معارضة المسيح الموعود عليه السلام وبدأ يلقي المواعظ في شتى الأماكن في المدينة.

في الأيام نفسها جاء مولوي - من سكان البنجاب - من كنكوه إلى لدهيانه، وقابل حضرته عليه السلام، وكان معارضا له، لكنه حين رأى وجه المسيح الموعود عليه السلام النوراني البسيط، قال هذا الرجل نور وصادق فعلا، وأنى للمولوي رشيد أحمد أن يواجه حضرته، وأين الظلام من النور. ثم قال إن المولوي رشيد تشاور مع تلامذته واقترح عليهم زيارة المرزا سرا، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم أيضا قد توجه لرؤية ابن صياد سرا، فقال المسيح الموعود عليه السلام: كان المشايخ قد سلب علمهم، ولكنهم الآن فقدوا صوابهم وعقلهم أيضا، إذ جعل نفسه النبي صلى الله عليه وسلم وجعلني ابن

صياد. ما أروع ما اخترعه من عنده، فإذا كان رجل يمكن أن يكون محمدا المصطفى ﷺ ويحسب غيره حسب رأيه ابن صياد، أفليس الله القدير المقتدر الخالق الحكيم العليم ﷻ قادرا على أن يجعل أحد عباده المسيح ابن مريم، ويعدّ أحدا من اليهود؟ أفلا يعرفون أنني ادعيت أنني مأمور من الله، فأنا مثل النبي ﷺ كما قد عدّ هو بنفسه الإمام المهدي مثله ﷺ، وعدّ العلماء في الزمن الأخير أشباه اليهود. كان من حقي أن أعدّ المولوي رشيد أحمد ابن صياد، وذلك لأنه ادعى تلقي الإلهام، كما كان قد ادعى إثر سماع إلهاماتي أن مريديه يتلقون الإلهامات من هذا القبيل أو أفضل منها درجة، فلما قيل له أن يقدم مريدا له يمكن أن يذكر إلهامه مقابل إلهاماتنا، لم يستطع تقديمه. كان يجدر بنا أن نتوجه إلى رؤية المولوي رشيد سرا لسماع إلهاماته باعتباره ابن صياد، لأني أنا المأمور، وليس هو. ثم ظل حضرته عليه السلام ييدي الأسف على هذا.

في أحد الأيام جرى نقاش بين منشي ظفر أحمد المحترم من سكان كبورتهله وأحد تلامذة المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أو مريديه حول وفاة المسيح ابن مريم عليه السلام وحياته. في ذلك النقاش فشل تلميذ المولوي رشيد في إثبات حياة المسيح عليه السلام وانتهى الحديث حول ما إذا كان أي إنسان قد عاش هذا العمر الطويل أم لا؟ وهل يمكن أن يعيش أحد من البشر هذا العمر الطويل الآن أم لا؟ فأفحم في هذا المحور أيضا، وأخيرا كتب رسالة إلى المولوي رشيد أحمد يسأله عن هذا، فكتب له المولوي رشيد: نعم يمكن أن يعيش الإنسان ألفي سنة بل أطول من ذلك أيضا، فانظر إن الشيطان يعيش إلى الآن منذ زمن آدم فكم من آلاف السنين عاش؟ فقال منشي ظفر أحمد كنا نتكلم عن عمر الإنسان لا

عمر الشيطان، فهل كان المسيح والعياذ بالله شيطانا ولذلك ذكرت مثال عمر الشيطان؟ وهذا أيضا مجرد ادعاء فقط، فالمولوي رشيد لا يميز بين الادعاء والدليل، فما الدليل على أن الشيطان الذي كان في زمن آدم ما زال حيًا، وأن عمره طويل لهذه الدرجة.

فعند سماع هذا الجواب من منشي كتب مريد المولوي رشيد رسالة أخرى إليه وردَّ عليها المولوي: يبدو أن خصمك مرزائي، قل له نحن لا نريد أن نتحدث مع المرزائيين، فلا تقابلْه أنت أيضا. فهذا هو حال هؤلاء المشايخ وعلمهم وموقفهم، وإن لم يكن هؤلاء هم اليهود فهل على رؤوس اليهود قرون؟ فالشجرة تعرف بشمارها حصرا.

مبايعة المولوي غلام نبي

باختصار قد ذاع صيت المولوي غلام نبي في مدينة لدهيانه وبدأ يُذكر علمه وفضله في كل مكان، وهو الآخر لم يدخر جهدا في معارضة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حيث بدأ يقرأ في كل مجلس له آية تلو آية وحديثا تلو حديث، على حياة المسيح عليه السلام. ونحن فداء لقدرة الله تعالى؛ فكما كان سيدنا عمر رضي الله عنه خرج من بيته بنية قتل النبي صلى الله عليه وسلم لكنه قد قُتل هو نفسه أخيرا، وسمي آية من آيات الله والفاروق الأعظم. وقال حبيب الله صلى الله عليه وسلم بحقه: الشيطان يفر من حس عمر، وكان رضي الله عنه ضمن من قال الله تعالى بحقهم: "رضي الله عنهم".

بالمصادفة ألقى المولوي غلام نبي وعظًا في اجتماع يقدر عدد حضوره بالآلاف في الحارة التي كان يقيم فيها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، وأفرغ ما كان في جعبته من المعارف والعلوم، فرفع الناس هتافات الإعجاب، وصدر ضجيج

"مرحبا" و"صلّ على" من كل مكان. في هذا الاجتماع كان قد حضر جميع المشايخ من لدهيانه، وكانوا يبدون الإعجاب مرارا وتكرارا بحسن أسلوب المولوي غلام نبي، وكان قد حضر الاجتماع كل من المولوي محمد حسن، والمولوي شاه دين، والمولوي عبد العزيز، والمولوي محمد، والمولوي عبد الله، وبعض من المشايخ الآخرين الذين كانوا قد جاؤوا إلى لدهيانه إثر سماع خبر علوم المولوي غلام نبي وجدارته العلمية وكفاءته الموهوبة، لأن هذا الوعظ كان متميزا، وكانت هتافات "مرحبا" تتناهى إلى أسماعنا ونحن كنا نتضجر ونتضايق كثيرا في دخيلة أنفسنا، وكنا بضعة أشخاص نجلس هناك سرّا، ولا نقدر على فعل شيء. كان الشيخ داخل البيت ومشغولا في تأليف كتاب إزالة الأوهام. فلما انطلق المولوي غلام نبي بعد أن أفرغ كل ما في جعبته لمعارضة حضرته الشيخ وكان معه جم غفير من المشايخ، خرج حضرته الشيخ من داخل البيت في اللحظة نفسها إلى الخارج فتقابلا وبادر حضرته بمد يده إلى المولوي المحترم للمصافحة قائلا: السلام عليكم، فقال المولوي: وعليكم السلام وصافحه، الله أعلم أي قوة برقية كانت في تلك المصافحة وكم كان فيها من القوة المغناطيسية والجذب الروحاني، حيث فور مصافحة "يد الله" فقد المولوي سيطرته على نفسه ولم يتمالك نفسه ولم يُطق أن يقول شيئا وانطلق مع حضرته مباشرة. فجاء به حضرته إلى بيته، فجلس المولوي أمام حضرته بأدب، وبقي المشايخ والآخرين من الناس في الخارج في حيرة وعجب، وبدؤوا يتبادلون الحديث كالتالي:

أحدهم: ما هذا الذي حدث، ماذا نرى؟ يا له من حمق للمولوي إذ أعطى يده للمرزا ومشى معه.

الثاني: المرزا ساحر، ربما سحر المولوي، فلم يكن يليق بالمولوي المحترم أن يمشي معه هكذا.

الثالث: إن للمرزا هيبة كبيرة، فالمولوي قد ارتعب منه.

الرابع: ليس المرزا إنسانا عاديا، فالذي أعلن هذه الدعوى العظيمة ليس إنساناً من العوام.

الخامس: إن المرزا رجل ثري والمشايخ طمّاعون، ربما أغرى المرزا المولوي بمال. وقال البعض: المولوي المحترم من العلماء الأفاضل، وقد مشى مع المرزا لينصحه وبوجهه، ولسوف يعود من عنده بعد استصدار توبة المرزا.

وقال آخرون: هذا صواب، فمثل هذه الفرص لا تسنح إلا نادرا، فالآن قد تسنت الفرصة للمولوي المحترم، فلن يعود إلا بعد جعل المرزا يتوب.

العلماء الآخرون: قد وقع المولوي في فخ، سواء في فخ الطمع أو العلم أو في أي فخ آخر، فالمرزا داهية ومحتال كبير وعالم، فالمشايخ لا يقدرّون على مواجهته.

المشايخ بالإجماع: لقد ذهب المولوي المحترم لتلقين المرزا درسا، فسترون كيف يهزم المرزا، فليس المولوي أقل من المرزا في العلم وليس طماعا وهو صاحب دخل، ويعرف الله ورسوله، وهو فاضل، وسوف يخرج بعد أن يهزم المرزا.

وإضافة إلى هؤلاء كان كل واحد يقول كل ما يخلو له ويخطر بباله. وفي الطرف الآخر كانت مشيئة الله وإرادته تعمل عملها، فحين دخل المولوي المحترم إلى البيت جلس أمام حضرته صامتا باحترام.

المولوي المحترم: يا سيدي، من أين أخذت مسألة وفاة المسيح؟

حضرته عليه السلام: من القرآن الكريم، والحديث النبوي، وأقوال العلماء الربانيين. المولوي المحترم: إذا كانت عندك آية من القرآن الكريم على وفاة المسيح فأرجو أن تذكرها.

حضرته عليه السلام: هذا هو القرآن الكريم. ثم وضع الورق في موضعين منه، وناول القرآن الكريم المولوي المحترم، أولهما في سورة آل عمران حيث وردت آية ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ تَوَفَّيْكَ...﴾، والثاني في الآيات الأخيرة من سورة المائدة أي عند الآية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

حين قرأ المولوي المحترم الآيتين في الموضعين ذهل واندesh كثيرا. ثم قال هناك آية ﴿فَيُؤَقِّبُهُمْ أُجُورُهُمْ﴾ أيضا في القرآن فكيف نترجمها.

حضرته عليه السلام: الآيتان اللتان قدمتهما لك لهما معنى مغاير لمعنى الآية التي قدمتها، والأصل أنهما من بابين مختلفين، فتدبر وتفكر قليلا.

فقال المولوي المحترم بعد تدبر قليل: أرجو المعذرة أنا كنت مخطئا، وإن ما قلته هو الصواب، والقرآن معك.

عندها سأله حضرتُه: إذا كان القرآن معنا فمع من أنت؟

عندها دمعت عينا المولوي المحترم وأجهش بالبكاء فقال: هذا العبد المخطئ والمذنب أيضا مع حضرتك، ثم ظل يذرف الدموع جالسا أمام حضرتَه بأدب واحترام.

كان الألوفا الذين كانوا واقفين خارج البيت يبدون رأيهم، فرحين مصققين بأن المرزا قد أمسك به اليوم، اليوم لن يجد بدًّا من التوبة، فلن يتركه المولوي المحترم دون أن يتوب. فما أدرهم أن ما كان يحدث في الداخل تكرر لما حدث

مع سيدنا عمر عليه السلام، حيث كان يتوب المولوي بنفسه. والبعض كانوا يقولون: ينبغي السكوت، فالله أعلم ما الذي يحدث.

فلما تأخر الوقت كثيرا بدأ الناس ينادونه من الخارج بتكرار كي يخرج إليهم، فلم يردّ المولوي عليهم بشيء. فلما صاحوا كثيرا وصرخوا، أرسل المولوي إليهم رسالة، إنصرفوا فقد وجدت الحق واتبعته، فلا علاقة لي بكم، إذا أردتم أن يبقى إيمانكم سالما، فتعالوا وتوبوا واجتثوا عن رضا الله تعالى، وآمنوا بهذا الإمام. وكيف لي أن أنفصل عن هذا الإمام الصادق الذي هو موعود الله تعالى وموعود النبي صلى الله عليه وآله الذي بلغه السلام، ونص ذلك الحديث الشريف هو: "من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام". ثم توجه إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وقرأ هذا الحديث الشريف بكل قوة مرة أخرى، وقال له: الآن أقرأ عليك سلام النبي صلى الله عليه وآله بمقتضى أمره صلى الله عليه وآله، وأقرأ عليك السلام مثله صلى الله عليه وآله مني أيضا. فقال حضرته عليه السلام بلجهة غريبة وصوت عجيب "وعليكم السلام"، فلم يحتمل قلب المولوي المحترم ذلك وبدأ يتقلب كالطير الجريح. وكان آنذاك لوجه حضرته شأن عجيب يتعذر علي بيانه، وكان الحاضرون أيضا يتمتعون بسرور عجيب. ثم قال المولوي المحترم: إن أولياء الأمة وعلماءها بلغوا السلام ورحلوا من هذا العالم، واليوم تحقق ما كتب الله ووعد. فكيف يمكن لغلام نبي هذا أن يتركه؟ فهو المسيح الموعود والإمام المهدي حصرا، وهذا هو الإمام المهدي حصرا. أما المسيح ابن مريم الموسوي فمن المؤكد أنه قد مات حتما ولن يعود. فالذي كان سيأتي فقد أتى، ومن المؤكد أنه أتى؛ فإما أن تنصرفوا من هنا وإما أن تحروا على قدميه المباركتين مثلي لتنجوا بحيث يكون الله ورسوله راضيين عنكم.

فلما بلغت رسالة المولوي المحترم هذه المنتظرين في الخارج، ارتفع من ألسنة المشايخ والمُلات والخواص والعوام معا هتافات: كافر كافر كافر، وبدؤوا يصبّون عليه وابلا من الشتائم، وانفضّ الجميع وتشتتوا قائلين بحق المولوي المحترم خبيث خبيث. وانتشروا في الأزقة والشوارع، فالذين كانوا يقولون إن المرزا ساحر قد صدق قولهم، فكان المشايخ يقولون مطأطي رؤوسهم خجلا: لم يكن غلام نبي سوى طالب علم. وإذا تمت مواجهتنا فسوف نرى، ولن يجد المرزا جوابا. بالمصادفة كان أخّ أستاذ أحمدي يمر من هناك فلما سمع هذا الكلام من المشايخ قال لهم: تعالوا فالمرزا المحترم موجود، فلماذا لا تواجهونه؟ قالوا خجلين إن مواجهة المرزا تعني إعطاء الأهمية له، ومع أنهم قد تفوهوا بذلك بألسنتهم، لكنهم لم يقدرُوا على فعل أي شيء خجلا.

بعد ذلك وصلت إلى المولوي غلام نبي المحترم رسائل للمناظرة وبعضهم طلبوه قائلين: تعال نريد أن نقول لك شيئا، وذلك ليُضلوهُ. فقال المولوي ردّا عليهم:

إذا أتاني الناصح الكريم فسوف أفرش له عيني وقلبي، لكن أرجو أن يشرح لي أحد ماذا سوف ينصّحني.^١

وافق المولوي المحترم لاحقا على المناظرة، لكن طلبهم كان كلاما محضا إذ لم يحضر أحدهم للمناظرة. فقد نشر المولوي المحترم أيضا إعلانا أنه مستعد للمناظرة، فمن كان يدعي العلم فليناظرني.

^١ ترجمة بيت أردي. (المترجم)

خلال هذه الفترة وصلت رسالة من أمرتسر أو لاهور باسم المولوي المحترم، كتب فيها صاحبها: إذا قدّمت أنت أو المرزا أو غيركما أي آية على وفاة عيسى عليه السلام فسوف أقدم له خمسين روبية جائزة، بل سوف أقدم له مقابل كل آية خمسين روبية. فقدم المولوي المحترم هذه الرسالة إلى حضرته عليه السلام فقال له بعد قراءتها: اكتب إلى هذا الرجل أننا سنقدم ٣٠ آية من القرآن الكريم على وفاة عيسى عليه السلام، فعليك أن تودع ١٥٠٠ روبية بحسب إقرارك في مصرف حكومي، وأرسل إلينا الوصل.

فمتى كان الكاذب يستطيع أن يرد ويقبل التحدي! ثم نشر المولوي غلام نبي المحترم إعلان المناظرة أيضا وقال: إني جاهز، فمن كان يدّعي أنه عالم فليناظري. ثم نشر الإعلان بأن الذي بإمكانه أن يقدم الآية الصريحة من القرآن الكريم أو الحديث الصحيح دليلاً على الحياة المادية لعيسى عليه السلام فسوف أقدم له عشر روبيات مقابل كل آية وكل حديث، وسوف يودّع المبلغ في البنك سلفاً. فبعد قراءة هذا الإعلان أيضا لم يتشجع أحد كالرجال. الله أعلم هل ابتلعت الأرض المشايخ أم ذرّتهم الرياح، فلم يصدر منهم أي صوت.

فصار المولوي غلام نبي المحترم كلّهُ للمسيح الموعود عليه السلام وتبحر بحيث كلما جاء شخص عادي أو شيخ استعدّ ليحاوره وينظره، وظل ينظر إلى وجه المسيح الموعود عليه السلام ويفرح ويتهج كثيرا جدا. ولم يكن شغله الشاغل غير الاستماع إلى كلام المسيح الموعود عليه السلام.

يوما جرى الحديث حول حركة السماء والأرض فقال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن من الثابت من القرآن الكريم أن الأرض تتحرك، ثم قرأ الآية: ﴿إِذَا

زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿ (الزلزلة: ٢)، فأصيب المولوي المحترم بحالة من الوجد، وقال هذا هو فهم القرآن الكريم. أما نحن فقد قرأنا القرآن الكريم ولم ننظر فيه ولم نتدبره، فالمسيح الموعود ﷺ وحده أحق بفهم القرآن الكريم، فالذي يأتي من الله ﷻ هو وحده من يطلع على نكات القرآن ومعارفه وأسراره، فما أروع كلامَ حضرته ﷺ:

من الخطأ الظن أن الإنسان يستطيع أن يفهم القرآن بنفسه، ومن فسر برأيه فقد أتى بالنجاسة والميئة.^١

لقد قال الله ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠)، الآن بدأ المولوي المحترم يتقدم في عشق المسيح الموعود ﷺ فحين كان حضرته ﷺ يدخل بيته كان يتقلب، فيتمشى أحيانا، وأحيانا أخرى يبكي جالسا، ولم يكن يهدأ له البال بأي طريقة. وكان يقول مرارا وتكرارا كيف سأجيب الله ﷻ يوم القيامة عند السؤال عن المعارضة التي صدرت مني لحضرته في الأيام الخالية، وعما جرى على لساني من كلمات إساءة لحضرته ﷺ. ثم كان يستغفر الله كثيرا ويبكي بندم كبير واضطراب شديد، وعندما كان حضرته يخرج من البيت كان يهدأ ويطمئن ويرتاح.

وكان حضرة المولوي موظفا فجاءته رسالة من صاحب العمل طلب فيها أن يعود إلى العمل فورا وإلا سوف يخسر العمل ويسرح، فلم يبال بالعمل والوظيفة مطلقا، وقال: لقد بايعت على أني سأؤثر الدين على الدنيا، فلا أباي بالوظيفة. وعدَّ صحبة المسيح الموعود ﷺ مغنما. ثم ذات يوم ذكر ذلك عند حضرته

^١ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

عليه السلام فقال له حضرته السلام: ينبغي ألا يترك الإنسان العمل من تلقاء نفسه ففي ذلك كفران نعمة الله. أما إذا صرفه الله عن الإنسان بنفسه لحكمة ما فهذا أمر آخر، لذا ينبغي أن تداوم على العمل حتماً، وبعده يمكن أن تأتي بأخذ الرخصة. فاستعدَّ حضرته إثر سماع قول المسيح الموعود السلام للذهاب كارهاً، وجدَّد البيعة، إذ كان قد سأل شخصاً حضرته قبل يومين أو ثلاثة: يا سيدي، لقد بايعنا الآن أول مرة، وهل يمكن أن نبايع مرة ثانية أو ثالثة أيضاً؟ فقال حضرته: نعم، هو من السنة.

فلما انطلق المولوي المحترم قال حضرته السلام: انظروا إن المولوي المحترم لا يرغب في الذهاب من هنا، فهذا هو معنى إثثار الدين على الدنيا. باختصار انطلق المولوي المحترم مودّعاً، لكنه بعد قليل عاد مبتسماً فرحاناً متأبطاً حقيبهته. فاستغرب الجميع وابتسم سيدنا المسيح الموعود السلام أيضاً، فقال المولوي المحترم: كان القطار قد انطلق قبل وصولي إلى المحطة، فقال لي البعض أن أمكت في المحطة انتظاراً للقطار التالي، فقلت: أريد أن أقضى ساعات الانتظار في صحبة حضرتك. أما الجلوس في المحطة فلا فائدة منه. فما دام الله سبحانه لم يشأ ذهابي فكيف أرضى ما كرهه حضرته السلام، فأين أفوز بصحبة حضرته؟

فقال حضرته السلام: جزاك الله، هذه الفكرة رائعة، إن الله لا يضع أجر أحد، فهو مطلع جيداً على أحوال عباده. فالذي حدث لا يخلو من الحكمة، وبينما كان هذا الحديث يجري، وصلتُ باسمه رسالة أخرى كتب فيها صاحبُها: يجب أن تحضر للعمل، وإن لم تستطع فالأفضل أن ترسل طلباً لتنال الرخصة، وسوف أسعى لأخذ الموافقة على طلبك.

فقال حضرته عليه السلام تلك هي الحكمة الكامنة في عدم لحاقلك بالقطار. فأرسل الطلب للرخصة. فأرسل المولوي طلبا بحسب الإرشاد فقبل، فتستت للمولوي فرصة البقاء عند حضرة المسيح الموعود عليه السلام، واكتساب الفيض من صحبته لعدة أيام.

لقد تعلمت أنا أيضا أحاديث كثيرة من المولوي المحترم. وكلما جاء أي معارض تكلم معه المولوي المحترم أولا. ذات يوم جاء عدد كبير من الغزنويين أحدهم ربما كان ابنا أو ابن أخ للمولوي عبد الجبار الغزنوي الأمرتسري. فبدأ يتكلم عن بعض الأمور، فلما رد عليه قداسته عليه السلام اندهش. ولما أراد الانطلاق طلب حضرته لهم الشاي والبسكويت حيث دخل بنفسه البيت وأحضر الضيافة بنفسه، لكن أولئك الأشقياء رفضوا وأصر حضرته على أن يشربوا، فأبيح حرج في شرب الشاي؟ لكنهم كانوا يتضجرون ويعبسون، لذا أصروا على الإنكار، فقال لهم حضرته عليه السلام لماذا ترفضون تناول الحلال، لكنهم لم يسمعوا مطلقا وقاموا وانصرفوا.

ومما قاله هؤلاء الغزنويون: لقد ورد في الأحاديث أن ابن مريم سوف ينزل فكيف لنا التخلي عن هذه الأحاديث. فقال حضرته عليه السلام لقد ورد في القرآن بحق المسيح عليه السلام "متوفيك" و"فلما توفيتني"، وورد ذكر رفعه إلى الله بعد التوفي، ولم يذكر مجيئه ثانية، وإضافة إلى وفاته لا توجد أي آية تدل على حياة المسيح، ولم ترد كلمة الحياة حتى في الأحاديث، فكيف نترك القرآن والأحاديث؟ أما الأحاديث عن نزول المسيح مقابل آيات الله وحديث الرسول فتقتضي التأويل. وأنى لنا أن نترك القرآن الكريم بتأويل آياته القطعية والصرحة حسب الأحاديث؟

فقال الغزنويون إنما الحديث يبين مطالب القرآن، لذا يجب تأويل آيات القرآن مقابل الحديث، لأن الحديث مصرّح ومفصّل، بينما القرآن مجمل ومختصر. فضحكنا على قولهم هذا نحن وحضرته عليه السلام أيضا. فقال: أنتم تجيزون تأويل آيات القرآن الكريم الذي هو قاطع ويقيني، ولا تجيزون مقابل القرآن تأويل الحديث الذي هو ظني ووصل إلينا عبر أفواه كثيرة، ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (النجم: ٢٩).

فلما انصرفوا أبدى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بعد ذهابهم الأسف الشديد على إساءتهم إلى القرآن الكريم. وقال: انظروا إلى هؤلاء ما الذي أصابهم، إذ يجدون التأويل في القرآن الكريم سهلا جدا، أما الأحاديث التي هي آحاد وأغلب ما في الباب هو بمنزلة الظن، فيقدمونها على القرآن الكريم، الذي هو كلام الله وقطعي ويقيني، والذي شأنه "لا ريب فيه". فقد تصبغوا بصبغة اليهود، فلم تبق أي مكانة في قلوبهم للقرآن الكريم، ولا هم يفهمون الأحاديث فهما صحيحا أيضا، فقد ارتفع من صدورهم كلام الله، وتركهم الفهم والفراسة والعقل كله.

خلال هذه الفترة جاء كثير من الإخوة الأحمديين وذهبوا. وذات يوم جاء المولوي عبد الكريم المحترم والمنشي غلام قادر من سيالكوت، والمنشي ظفر أحمد المحترم وغيره من كبورتهله، ومرزا خدا بخش المحترم مؤلف كتاب "عسل مصفى" من لاهور، وكان قد انتشر في كل مكان خبر مناظرة المولوي محمد حسين البطالوي مع حضرته عليه السلام، وكان مشهورا أن نواب محمد علي خان المحترم من مالير كوتله سيأتي، لكنه لم يأت لسبب ما.

تسمية الجماعة بالأحمدية

ذات يوم جرى الحديث فيما بيننا أننا في السابق كنا نسمي الفرقة المحمدية، والآن يسموننا مرزائيين، لذا يجب أن يكون لنا اسم رسمي، والأفضل أننا في السابق كنا محمديين بسبب الاسم الكريم لسيدنا محمد المصطفى ﷺ والآن ينبغي أن نسمي أحمديين بسبب الاسم المبارك أحمد ﷺ لكونه بروزاً وظهوراً لمحمد المصطفى ﷺ. وكان هذا الحديث يجري إذ خرج إلينا حضرته ﷺ، واستعدنا لصلاة العصر، وبعد الصلاة قلت ذلك لحضرته ﷺ بحسب المشورة، فقال حضرته: نعم يجب أن يكون لنا اسم مميز، فسواء تسمينا مسلمين أو مسلمين خالصين سينزعج الناس. ثم قال انتظروا قليلاً، فسوف يعين الله اسماً يريده، فأعمالنا كلها تتوقف على الله فاصبروا. ومتى كان لنا في تلك الحالة البدائية البصيرة التي تتمتع بها الآن. فالحق أن جميع الأعمال تتم تدريجاً، ففي ذلك الوقت كنا نظن أننا سنسمي أنفسنا كما سمي الآخرون أسماء فرقهم، إذ سمي أحدهم نفسه محمدياً، وبعضهم أهل الحديث، وبعضهم موحدين، وبعضهم مقلدين، وبعضهم حنفيين، وبعضهم شافعيين، ومالكيين، وحنبلين، وجشتيين، وقادريين، ونقشبنديين، وسهرورديين وغيرهم بحسب رغبتهم الشخصية. فلم أكن أدرك أن هذه جماعة إلهية أقامها الله ﷻ وهو يتولاها، واسمها سيكون بمرضاة الله تعالى حصراً. فقد أحرز أصحاب النبي ﷺ أيضاً التقدم والمعرفة تدريجاً. قبل مدة حين كنا مع إمامنا الموعود ﷺ في قاديان، أجري الإحصاء وشاء الله ﷻ أن تسمى هذه الجماعة باسم معين، فبدأت الأسئلة تنهال عليه من الجهات الأربع، أنه بماذا نسمي أنفسنا في خانة الإحصاء، فبحسب مشيئة الله هذه نشأ لدى حضرته الاهتمام:

"إنك بنفسك تنجز هذا العمل، وتوفق لإنجازه، وأنت الذي توفر النشاط في هذا المجال."^١

ذات ليلة قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عند صلاة العشاء بحضور الكثير من الإخوة: تصلني الرسائل من الكثيرين من كل قرية ومدينة، أن الإحصاء يجري وينبغي أن نسجل اسمنا تحت مسمى معين. ولما كُنْتُ قد ذهبت إلى البيت طلبني عليه السلام وقال لي يا صاحبزاده، لقد طلبتُك الآن لأنه تصلني الرسائل من كل طرف، أنه يجب أن يكون لجماعتنا اسم، وقد استشرنا الجميع بمَن نسمي جماعتنا. كان حضرة مولانا نور الدين المحترم خليفة المسيح، وحضرة مولانا الفاضل سيد محمد أحسن الأمروهي، وحضرة مولانا عبد الكريم السيالكوتي، والمولوي قطب الدين المحترم، ومرزا خدا بخش المحترم مؤلف كتاب "عسل مصفى" رحمته الله آنذاك موجودين، فقال حضرته عليه السلام: الآن أنت وكل هؤلاء الحضور قدّموا لي جوابا بعد التفكير ليوم أو يومين أو ثلاثة أيام.

فقلت (صلى الله عليك وعلى محمد)^٢ إن الآخرين لهم خيار أن يشيروا عليك متى أرادوا. أما أنا فأقول حالا ما فطنتُ إليه. فقال عليه السلام: تفضّل، فقلت لعل حضرتك تتذكر أنني أنا والمولوي عبد الكريم السيالكوتي الحاضر هنا اليوم أيضا، والمنشي غلام قادر فصيح السيالكوتي، ومرزا غلام بخش المحترم، والخواجه علي المحترم، وبير افتخار علي المحترم، وعباس علي اللدهيانوي وغيرهم كنا في لدهيانه،

^١ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

^٢ هذا إلهام تلقّاه حضرته عليه السلام أثناء صلاة المغرب عندما كان يقرأ التحيات، وكنت عنده، وكان قد أطلع عليه الجميع. (من المؤلف)

فقلت إننا سُمينا من قبل محمديين، وحبذا لو نسمى الآن الأحمديين. ومحمد وأحمد من أسماء النبي ﷺ فسنكون من كلا الجانبين محمديين وأحمديين. وكنت قلت ذلك لحضرتك في لدهيانه أيضا. وقلتَ حضرتُك: سوف يسمى الله ما يشاء، عندما يحين الأوان. فهذا قد آن ذلك الأوان، ولكل فرقة اسم وهو ليس مطابقا للحكمة والسنة. فالأفضل أن يكون اسمنا أحمديين. وقلت هذا صحيح، ليست في العالم فرقة باسم الأحمديّة، فقد سمي الكثيرون من الصلحاء بالأحمدي، إلا أنه لم تسم أي فرقة أو جماعة بالأحمديّة.

حينها لزم الجميع الصمت، والصمت يعدّ شبه موافقة، لكن المولوي عبد الكريم رحمه الله تكلم وقال: هذا رأيي أيضا، ثم انطلق المسيح الموعود السليمان من هناك، وفي اليوم التالي جاء بإعلان مكتوب، سمي فيه جماعته بـ"الفرقة الإسلامية الأحمديّة". ذات يوم قلت لحضرته السليمان: يا سيدي صلى الله عليك وعلى محمد، إن أفراد جماعتنا لا يُعرفون، ولمعرفتهم يجب أن تكون لنا علامة مميزة، يُعرف بها الأحمديُّ أخاه الأحمدي فوراً، فاقترح البعض أن يُكتب شيء على الساعد، واقترح البعض الآخر أن يُكتب اسم "الأحمدي" بخط جلي على الطربوش أو العمامة، واقترح البعض أن يكون بإصبعنا خاتمٌ من نوع خاص. فقلت مهما يكن من أمر، وقبل أن أنهي كلامي جاء الضيوف بمن فيهم أحمديون وغيرهم، فتأجل الموضوع.

باختصار، وغاية القول، كنت ما زلت عند حضرته السليمان إذ استلمتُ من سرساعة رسالة ورد فيها: زوجتك مصابة بالهيضة، فأت عاجلاً. فاستأذنت حضرته أنه قد جاءني هذه الرسالة فأذن لي بالذهاب لبضعة أيام. فسألني إذا

كان في البيت رجلٌ يهتم بالعلاج. فقلت نعم لي خالٌ اسمه "نثار علي" سوف يهتم بالعلاج. فقال: إذن لا تذهب وسوف يهيء لها العلاج، وأنا سوف أدعو لها. فهل سوف تحييها بالذهاب إليها، الآن أنا أستأنس بك وفي المدينة فتنة. فلزمتُ الصمت. وفي اليوم الثالث أو الرابع تلقيت من خالي رسالة كتب فيها: لقد تحسنتُ زوجتك، ومع ذلك أفضل أن تأتي ليومين أو ثلاثة. فأريْتُ حضرته الرسالة واستأذنته مرة أخرى، فقال الآن قد تحسنتُ فيمكن أن تسافر لاحقاً. فسكتُ مرة أخرى. ثم ذات يوم تسنى لي الدخول برفقته إلى داخل البيت فجلس هناك وبدأ يتحدث معي، فاغتنمت الفرصة وسألته مرة أخرى أن يخبرني عن ورد أقوم به ليرضى الله عني فأنا شابٌ. فقال لا شك أنك شاب وهذه الفرصة سانحة، أما في الشيخوخة فلا يقدر المرء على شيء، فسوف أدلك على تدبير تفوز به بالوصول الإلهي ولقاء الله، ويتحقق ذلك بحيث لن تبقى كما أنت الآن، ولن يبقى كيانك هذا. وسيكون الله وحده فيك، ويتم ذلك بحيث يكون لك وجودٌ جديد، ويكون إلهك جديداً، وكيانك جديداً ورسولك جديداً، وتكون هذه الأرض والسماء أيضاً جديديتين، وتتفانى وتتصل بالله، ويقل طعامك وشرابك حتى يكون طعامك نصف رغيف أو ربعه، وتبقى حائزاً على القوة نفسها، فقد قمت أنا بذلك بأمر من الله حيث كان طعامي ربع رغيف فقط، وكان ذلك بعد كل ثلاثة أو أربعة أيام. الآن سأذهب إلى قاديان فتعال أنت معي إلى هناك، وهناك تحقِّق ذلك أمامي، وسوف أمكِّنك من الفوز بدرجة لقاء الله والبقاء بالله، حيث ينقطع جميع ما سوى الله، ويبقى الله وحده. انظر قد قال النبي ﷺ بحق صحابته، الله الله في أصحابي؛ أي قد بقي الله وحده في

أصحابي، إذ لم يبق فيهم سوى الله تعالى، فالله تعالى في وجودهم وخيالهم وتفكيرهم وذهنهم وكلامهم وفي كل شؤونهم، فسوف تفوز بهذه الدرجة نفسها.

ورد

قال حضرته عليه السلام: "الآن ينبغي أن تصلي على النبي صلى الله عليه وآله عشر مرات، وتردد "أستغفر الله ربي من كل ذنب وأتوب إليه" عشر مرات، وتردد "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ٣١ مرة بالتدبر في معانيها، وإن لم تستطع الحوقلة يومياً ٣١ مرة فيمكن ٢١ مرة، وإن لم تستطع فأحدى عشرة مرة حتماً."

كنت قد فكرت لعله سيطلب مني ترديد ورد معين آلاف المرات واقفا في النهر، أو سيطلب مني ترديد الورد طول الليل لعدة أشهر. فقلت له مرة أخرى: لقد قمت بمجاهدات شاقة كثيرة، وأنا متعود على ترديد الأوراد الكثيرة، لذا أرجو أن تدلني على ورد معين. فكرر ما كتبته آنفاً. قلت له مرة أخرى: يا سيدي، قد رددت اسم الله ٣٦٠٠٠٠ مرة يومياً على مدى سنة كاملة، كما قرأت سورة المزمل ٣٦٠ مرة كل يوم على مدى ٦ أو ٨ أشهر، كما كنت أردد دعاء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٥٠٠٠ مرة كل يوم على مدى أربعينيات كثيرة. فأرجو أن تدلني على ورد آخر أطول. فضحك عليه السلام إثر سماع ذلك كثيراً، وقال: أيها صاحبزاده المحترم، قد ولت تلك الأيام، الآن إذا تمكنت من ترديد هذا القدر فسأعذك رجلاً. فهذه الأوراد بدعة، وهذه المجاهدات المخترعة غير مسنونة، فردّد فقط ما أخبرتك به. وعندما ستذهب إلى قاديان فسوف أخبرك ما يبيته الآن، فلزمت الصمت. ثم قال: المدة التي كنت تقضيها في ترديد الأوراد، اقضها في الصلاة، وكرر فيها جملة ﴿اهدنا

الصراط المستقيم ﴿ بكثرة، وردّ بعد التسبيح في الركوع والسجدة: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" بكثرة، وادعُ الله بلسانك في الصلاة، وبذلك ستقطع أشواط السلوك. إن سلاح المؤمن هو الدعاء، كما كانت أورد الأنبياء عليهم السلام والأولياء وصلاتهم هي كلها الدعاء، وكانوا يغلبون الجميع بالدعاء حصراً. وظلوا يكسبون الأهداف المادية والدينية بالدعاء.

الدعاء للتخلص من الديون

حين ذهبتُ إلى قاديان أول مرة قال أحدهم لقداسته: إنني مدين، أرجو أن تدعو لي وتخبرني عن وردٍ أردده. فأخذه حضرته على انفراد إلى سطح المسجد المبارك وقال ردّ "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث" ٣٦٠ مرة. ثم ذات يوم سمعته يقول: إن الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والحوقة هي مفتاح الفرج، وحلٌ لجميع المشاكل. ويحز بها المرء طهارة القلب ورضوان الله.

التركيز في الصلاة

ذات يوم قلت لحضرته: يا سيدي، صلى الله عليك وعلى محمد، كيف تنشأ اللذة والشوق والضراعة في الصلاة؟ فسألني: هل درست في الكتاب؟ قلت: نعم. ثم سأل هل عاقبك الأستاذ مرة؟ وفرض عليك عقاباً اتخذ هيئة معينة بجسمك؟ فقلت: نعم. فسألني إذن كيف كان حالك عندئذ؟ قلت تحملتُ أول الأمر فلما تعبت وتألمت يداي وقدماي وبدأت أتعرق بكيت وذرفت عيناى الدموع. فسألني ما الذي حدث بعده؟ قلت: أشفق عليّ الأستاذ وعفا عني، وألغى العقاب. ثم لاطفني وقال اذهب وادرس. فقال حضرته اخلق الحالة نفسها في الصلاة، وأطل الصلاة قدر المستطاع وردّ ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ كثيراً،

واقراها حتى تتألم يداك ورجلاك وجسمك كله. عندها ستشفق على نفسك وتتعب ثم يكون نظرك إلى رحمة الله، فعندها سيتوب الله عليك برحمة، وسيجيش نحر رحمة الله ويفيض، وينشأ الخشوع والخضوع واللذة والذوق والشوق. والملاحظ أن الناس يتسرعون في الصلاة ويكملونها عاجلا، وبعدها يدعون رافعي الأيدي طويلا. حيث يكون نظرهم في مكان، وأيديهم في مكان، والقلب في مكان آخر. فكيف يتأتى التركيز؟ يجب أن يكون الذوق والشوق والتركيز الذي يقال له حلاوة الإيمان داخل الصلاة. بعضهم يريدون الفوز بالخشوع والضراعة والتركيز من خلال الألحان والأناشيد الدينية وهذا سخي، وذلك الذوق يكون عابرا ومؤقتا، غير دائم. فالذي يفوز بالذوق الحقيقي والضراعة مرة في القيام والركوع والسجدة يجب أن يحافظ عليه ويداوم عليه. ويجب الدوام على صلاة التهجد حتما. فقلت له: هل هناك علاج للكسل؟ قال يمكن أن تغتسل فسوف يزول عنك الكسل، وأنا أيضا أغتسل. فبصلاة التهجد يحرز الإنسان مقاما محمودا، وهو مقام يحمد الله الإنسان فيه. ثم سأله هل سمعت "القوالي"؟^١ قلت نعم، ثم سأله: هل طرأت عليك حالة الوجد؟ قلت: نعم. فقال: انظر، إن الإنسان يصاب بالوجد أثناء استماعه إلى القوالي بالضبط لا قبلها ولا بعدها. ومثل ذلك يجب أن يصاب الإنسان بالوجد داخل الصلاة، وهو الوجد الحقيقي. أما الوجد بالقوالي فمؤقت وعابر، حيث يزول الذوق والشوق فورا. أما الشوق والذوق والوجد في الصلاة فحقيقي ويدوم. مرة قال: إذا تسنى للمرء البكاء مرة فأنى له أن يضحك. الناس سيكون في القوالي ويصابون بالوجد وبعد قليل تزول

^١ أنشودة دينية صوفية، تضم ذكر الله والثناء عليه ومدح النبي ﷺ. (المترجم)

عنهم تلك الحالة، فهي مؤقتة. لأن الإنسان بعدها يعود إلى المعاصي والمنهيات ويلتزم بها. ولذلك بين الله ﷻ اللذة الحقيقية والوجد الصادق في القرآن الكريم، فقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ فهذا لا يتحقق في المستمعين إلى القوالي، لأن لذتها عابرة، وأين اللذة المؤقتة من اللذة والوجد الحقيقي.

ذات يوم سأل أحدهم حضرته كيف يمكن الفوز باللذة والسرور والذوق والشوق في الصلاة؟ فسأله هل رأيت مرة شارب الخمر؟ فقال نعم، فقال إن لم يسكر بتناول كأس واحدة فماذا يفعل. قال يشرب أكثر، فسأل إذا لم يسكر بالثانية فماذا يفعل؟ فقال يستزيد، ثم سأل إلأم؟ قال حتى يسكر؟ ثم قال هذا الحال يجب أن تخلقه في الصلاة، فلن تفوز بالذوق والتركيز والخشوع في الصلاة إلا بالدوام على الصلاة. لذا يجب أن تطيل الصلاة ما لم تفز باللذة والسرور، فسوف تفوز به.

ثم قال ﷺ: إن مثل الإنسان كمثل الأرض حيث يخرج الماء في بعض الأماكن على عمق خمسة أقدام أو سبعة، وفي بعض الأماكن الأخرى يخرج بعد حفر عشرة أو عشرين قدما، وفي بعض الأماكن الأخرى يخرج الماء على عمق ٥٠ أو ١٠٠ قدم، فسوف يخرج الماء عاجلا بقدر ما يبذل المرء من الجهود والمساعي. يجب ألا يمل الإنسان ولا يسأم من الدعاء والصلاة، فكما لا يقنطُ حافر البئر، وفي الأخير يجد الماء يوما من الأيام، كذلك الذي يداوم على الصلاة، فإنه يفوز يوما بنبع رحمة الله، ويحظى بالذوق والشوق كما يجب، وهذه هي سعادة الإنسان والغاية المتوخاة من خلقه.

في الحقيقة كما كان حضرته قال لي: "إذا رددت هذا الورد فسوف تصبح رجلا"، تبين لي أن هذا الورد صعبٌ والصلاة كانت صعبة جدا إذ صليتها

بمشقة، وحين تمكنت من أدائها حظيت بفضل الله باللذة والسرور والذوق والشوق وكشف الحقائق ما يتعذر علي بيانه، وسوف أوضح ذلك لاحقاً، إن شاء الله. باختصار، سألتُ حضرته بعدها كيف أصلي على النبي ﷺ؟ فقال: الصلاة التي حفظت. فقلت أرجو أن تصرح لي بلسانك المبارك. فقال: الصلاة التي تردّد في الصلاة بعد التحيات، أي اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. ثم ذات يوم سألته أثناء فرصة سانحة: هل تسمح لي بزيارة سرساوه، فهي قريبة؟ فسأل كم تبعد، فقلت ١٠٠ ميل. فقال أهذا قريب؟ فقلت إذا صليت الفجر في لدهيانه فيمكن أن أصلي الظهر في سرساوه، ففي سرساوه محطة قطار. فقال إذا ذهبت فلن يهناً لي بال. فقلت سأعود عاجلاً، فقال إذن لا تغب أكثر من أسبوع. قلت حسناً. فقال يمكن أن تسافر غدا صباحاً. أي يوم هذا؟ قلت يوم الأحد. فقال: من الأفضل أن يسافر البيرات يوم "بير"١ حصرًا، فارجع يوم "بير" أي الاثنين القادم. فانطلقت بحسب الأوامر يوم الاثنين وعدت يوم الاثنين. ومع أن الجميع أصروا على أن أبقى أكثر وأطول، لكن زوجتي قالت: لا يجوز معصية الإمام ونقض العهد. فلما حضرتُ عند حضرته يوم الاثنين قام فور وقوع نظره علي وقال: كنت قد أخذت معك رونق مجلسنا. بقي نور محمد الهانسوي في لدهيانه، أما الله بنده الهانسوي فقد جاء خلال هذه الفترة من هانسوي إلى حضرته، ثم بقيتُ مع حضرته أربعة أشهر تقريباً.

١ لفظ "بير" يعني يوم الاثنين، وأيضاً لقب كبار المرشدين المتصوفين. (المترجم)

ذات يوم قلت لحضرته: يا سيدي، منذ بايعتُك انقطعتُ سلسلة بيعتي والناس يطلبون مني أن آخذ بيعتهم، فماذا تأمر؟ فهل آخذ البيعة أم لا؟ فقال إذا وجدت رجلاً صالحاً باراً فيمكن أن تأخذ بيعته. فالبيعة شيء رائع عظيم، ثم قص علي حكاية وليّ، وقال إنه كان هناك صالح وسأله رجل هل حضّرت أنت شيئاً للنجاة؟ فقال الصالح نعم قد حضرت الكثير للنجاة، وهي أني أخذت بيعة ٧٠ إنساناً، أي جعلتهم يتوبون. فسأله الرجل ما هذه النجاة؟ إنما أنت تلقيت العبء على رقبتك أكثر. ثم قال إنما الوزر والحمل لأصحاب الوزر لكنه وسيلة النجاة لنا، لأنني أخذت منهم بيعة التوبة، فهم تابوا على يدي، فبذلك اشتركت أنا أيضاً في التوبة. وصحيح أن حضرته عليه السلام كان قد أذن لي بأخذ البيعة إلا أنني ما وجدت آخذ البيعة مناسباً، فما دام إمام الوقت موجوداً فما الحاجة إلى بيعتنا. ثم كان من حضرته شرط أن يكون صالحاً باراً، فلم أجد أي صالح وبار ولم آخذ البيعة من أحد.

أحداث مناظرة لدهيانه

أكتب مرة أخرى المضمون نفسه، أن المولوي أبا سعيد محمد حسين جاء إلى لدهيانه وأوصل السلام والتحية والرسالة للمناظرة. وليلاً جاء الواعظ اللدهياني عليه السلام الله دين، والمولوي عبد الله المجتهد المرحوم، والمولوي رحيم بخش اللاهوري، والمولوي نظام الدين عندما كنت جالسا مع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. فقالوا: يا سيدي، حضرتك من أهل الله، أما المولوي محمد حسين فتعبان أسود. قد انتصر على الأحناف في كثير من المناظرات، وهو محنك ودهاية، فلا تناظره، فليست مهنتك المناظرات. فقال حضرته هو لم يجد أيّاً من أهل الله،

فدع المناظرة تحدث، وإن شاء الله سيفتضح في علمه جيدا، وسوف يعرف ما الذي يقال له مناظرة. فهو قد ناظر المشايخ المساكين، ولم يواجه أهل البصيرة قط. ثم قال: في دماغه دودة الكبر، فما لم تخرج هذه الدودة لن يهدأ له بال. ثم قال المرحوم المولوي عبد الله: في أي موضوع ستناظر؟ قال: في موضوع وفاة المسيح، وهو الأصل. فقال له: إذا لم يرض بالمناظرة حول وفاة المسيح؟ لأنني سمعتُ أنه لن يخوض في بحث وفاة المسيح بل سوف يبدأ بموضوع نزول المسيح. فقال: ما علاقتنا بالمناظرة حول النزول، إذ نحن شخصا نقبل نزول المسيح، فلو لم أقبل ذلك لما ادعيت أنني أنا المسيح الموعود، ولكانت دعواي وبنائها ككلاهما باطلا. وإن لم يقبل وترك المناظرة حول وفاة المسيح، وأصر على نزول المسيح فقط، فسيظهر النقاش حول وفاة المسيح حتما. ثم قدم مثالا على ذلك، وقال: دخل فلاح في حقل غيره، وقطف بعض السنابل، فجاء صاحب الحقل وسأله لماذا قطفت السنابل؟ فقال له يوم أمس زوّجت ابنيك، ولم يأتي أحد للاستشارة ولا للدعوة، لماذا؟ فقال كان الحديث عن قطف السنابل وأنت تذكر موضوع الزواج، فقال الحديث بالحديث يُذكر. تفوّه حضرته بهذه الجملة باللغة البنجابية، ثم قال ضاحكا: إن جرّه إلى موضوع الوفاة سهل. ثم قال: حين ناظر سيدنا إبراهيم عليه السلام الملك نمrod قدم دليلا أن الله يحيي ويميت فقال النمrod أنه هو أيضا يحيي ويميت. فلما لاحظ سيدنا إبراهيم عليه السلام أنه ضعيف العقل والفهم، توجه فورا إلى دليل آخر وقال بأن الله يأتي بالشمس من المشرق، فأت بها من المغرب إن كنت من الصادقين، فُبّهت. فدع المولوي محمد حسين يناظرني فسرى ماذا يحدث.

مجيء المولوي نظام الدين للنقاش وعودته مبايعا

في الساعة الثامنة صباح اليوم التالي جرى نقاش بين المولوي نظام الدين، والمولوي محمد حسين وبضعة أشخاص آخرين في بيت المولوي محمد حسن؛ إذ قال المولوي نظام الدين: هل في القرآن الكريم آية عن حياة المسيح عليه السلام؟ فالمرزا يصبر على طلب الآية. فقال المولوي محمد حسين: في القرآن الكريم ٢٠ آية، فسأل المولوي نظام الدين: هل أذهب إلى المرزا وأتكلم معه؟ قالوا نعم اذهب. فوصل المولوي نظام الدين المرحوم والمغفور له إلى حضرته عليه السلام سريعا، وكان عند حضرته المولوي عبد الكريم، والمنشي غلام قادر فصيح، وفضل شاه، والشاهزاده عبد المجيد، والمولوي تاج محمد، والمولوي عبد القادر الجمال بوري، وقاضي خواجه علي المرحوم، والمترد عباس علي، ونور محمد الهانسوي المرحوم، وآله بنده الهانسوي، والمرحوم المنشي ظفر أحمد، وأنا العبد المتواضع وآخرون. فقال فور وصوله: سيادة المرزا، بأي دليل تقول إن عيسى عليه السلام مات؟ فقال حضرته عليه السلام عندي القرآن الكريم. فسأل المولوي نظام الدين إذا كانت في القرآن الكريم آيات تثبت حياة المسيح فهل سوف تقبل؟ فقال حضرته عليه السلام نعم سوف أقبل. فقال المولوي نظام الدين سأقدم لك عشرين آية على حياة عيسى عليه السلام وليست آية أو آيتين. فقال حضرته إذا قدمت لي آية واحدة فقط فسوف أقبل وأسلم بها، دعك من عشرين آية، وأتخلى عن دعواي بكوني المسيح الموعود وأتوب.

ثم قال: أيها المولوي، لن تجد أنت ولا غيرك أي آية تثبت حياة المسيح. فقال المولوي نظام الدين حذار أن تغير موقفك لاحقا. أنت تطلب آية واحدة

وأنا سأحضر لك عشرين آية حالا. فقال حضرته عليه السلام: إذا قدمت آية واحدة فاعلم أنني انهزمت وانتصرت أنت. الآن ساور قلب عباس علي شك، فقال لي بصوت خافت لماذا يتعند سيادة المرزا؟ فهناك أيضا مولويون فهل يكذبون؟ إذا وجدت آية على حياة المسيح فسوف نفتضح. قلت له: يا عباس علي، ليست هناك أي آية على حياة المسيح عليه السلام مطلقا. فهل عبثا يتحداهم حضرته عليه السلام؟ فلو كانت في القرآن الكريم آية على حياة المسيح عليه السلام لقدمها هؤلاء المشايخ الكثر في العالم - وكثير منهم في لدهيانه - من زمان. فعجزهم عن تقديم آية والإتيان بمجرد الكلام باللسان، والادعاءات الفارغة تؤكد أنه ليست في القرآن الكريم أي آية حول هذا الموضوع. فأسرع المولوي نظام الدين حاسر الرأس حافي القدمين إلى أولئك المشايخ وقال لهم ها قد هزمت المرزا، وجعلته يتوب. فسرّ المشايخ بسماع ذلك كثيرا، وسألوه: كيف هزمت المرزا واهّا لك، فقد أحرزت إنجازا كبيرا. فقال المولوي نظام الدين: لقد وعدته بتقديم ٢٠ آية من القرآن الكريم على حياة عيسى عليه السلام، فأرجو أن تخرجوا لي هذه الآيات. فقال المولوي محمد حسين: ألم تقدم الأحاديث؟ قال لم يأت ذكر الأحاديث مطلقا، إذ القرآن الكريم مقدّم. فقال المولوي محمد حسين قلقا مضطرب البال، وألقى عمامته على الأرض: أنت لم تهزم المرزا بل قد هزمتنا وأخجلتنا. فأنا منذ مدة أجزّ المرزا إلى الحديث وهو يجريني إلى القرآن الكريم، فلو كانت في القرآن الكريم آية على حياة المسيح لقدمناها منذ زمن. فنحن نركز على الأحاديث، فالقرآن الكريم لا يؤيدنا بل هو يؤيد دعوى المرزا.^١ عندها أدرك المولوي نظام الدين

^١ أقول حالفاً بالله إن المولوي محمد حسين تكلم بذلك وليس فيه أي كذب. (سراج الحق)

الحق، وقال لهم: ما دام القرآن الكريم لا يؤيدك فلماذا قمت بهذا الادعاء الكبير ووعدتني بتقديم ٢٠ آية، فبأي وجه أقابل المرزا؟ إذا كان القرآن الكريم ليس معك ولا يؤيدك، وهو مع المرزا ويؤيده فأنا الآخر مع المرزا، فلست أنا أيضا معك. فالقضية ليست دنيوية حتى أستحيي وأخجل، فالقضية دينية، لذا فأنا مع من معه القرآن الكريم. عندها قال المولوي محمد حسين لأحد أصحابه:

يا شيخ، إن المولوي نظام الدين هذا قليل العقل أراه آية أبي هريرة. فقال المولوي نظام الدين: كلا بل سوف أقبل آية الله فقط، ولن أقبل آية أبي هريرة. فقال المولويان: أيها الغبي، الآية هي آية الله لكن أبا هريرة استدل بها. وعندما عزم المولوي نظام الدين على أن ينطلق من عندهم ولاحظ المولوي محمد حسين أنه خسر المولوي نظام الدين ولم يدر ما يقول له قال للمولوي محمد حسن أن يقطع خبزه، فلا يقدم له الخبز مستقبلا. فالمعلوم أن المولوي نظام الدين كان يأكل دوما في بيت المولوي محمد حسن، فأراد المولوي محمد حسين أن يضغط عليه من هذا الجانب. لكن المولوي نظام الدين لم يكن سخيفا وبليدا وضعيف الإيمان حتى يتراجع عن الإيمان خوفا من الجوع. فقال له متوسلا ملتصقا وبظرافة: أرجو ألا تقطع عني الخبز فها أنا أترك القرآن. فخجل محمد حسين بسماع ذلك وقال له: اجلس ولا تذهب إلى هناك مرة أخرى. كان حضرته عليه السلام يذكر كثيرا هذه الظرافة للمولوي نظام الدين والتماسه من محمد حسين ألا يقطع عنه الخبز. وكان تقليد حضرته عليه السلام المولوي نظام الدين في التماسه من محمد حسين متوسلا، يخلب اللب، ويعجب النفس، فعندما كان المولوي نظام الدين يحضر مجلس حضرته عليه السلام كان يطلب منه حتما أن يبين ما تعرض

له. فبين بضم يديه ويذكر القصة كلها. فيضحك هو وحضرته عليه السلام. أخيرا ودّعهم المولوي نظام الدين وجاء إلى حضرته خجلا نادما. فسأله حضرته: هل أتيت بعشرين أو ١٩ أو ١٠ أو ٥ أو ٤ أو حتى بآية واحدة؟ لكنه لزم الصمت، وأخيرا عند تكرار السؤال والاستفسار من قبل حضرته قال باكيا: يا سيدي، هذا ما حدث هناك حيث قطعوا عني الخبز، فالآن أنا مع من معه القرآن الكريم، ثم بايع حضرته فثارت ضجة في المشايخ.

قال عباس علي: الحق أن المشايخ لا يملكون أي دليل على حياة المسيح، أما حضرة المرزا فهو الآخر ما عنده دليل على دعواه. قلت له: عباس علي، أنت تعيش بصحبة حضرته عليه السلام منذ مدة وحتى قبلي، لماذا تسيء الظن لهذه الدرجة؟ فمن ذلك اليوم نشأت في عباس علي مادة سوء الظن. كان مولعا بالكيمياء السحرية أيضا. ذات صباح جاء إلى منزل نواب المحترم باكرا، وقال لي: هل يمكن صنع الذهب والفضة أم لا؟ هل عندك أي وصفة لذلك؟ قلت من المستحيل صنعهما، فقد رأيت مئات النساك وأصحاب الكيمياء، ولم أرهم يصنعون الذهب والفضة. فهم دوما يحتجون بأنه ينقص شيء ما، وكنت أعتقد منذ الطفولة أنه لا حقيقة للكيمياء. فقال عباس علي: ألا يمكن ذلك بالكرامة أيضا؟ فقلت: لا أبدا. وذلك لأن الصوفية الكرام كتبوا أن قلب الهيئة الحقيقية لا يجوز، ولا يصح حتى لو حدث مؤقتا. فمثلا لو صبغ الثوب الأبيض بلون آخر، يزول يوما ويعود الثوب إلى أصله؛ لست غير مطلع على حقيقة معجزة الكرامة. قلت هذا فاستاء وانزعج عباس علي كثيرا. ثم ذهبنا إلى حضرته عليه السلام وقلت له: يا سيدي أنا أعتقد أن صنع الذهب والفضة من خلال المعجزات أو

الكرامات أو بالأعشاب أو بأي شيء آخر أمر مستحيل. فقال حضرته: هذا صواب، فحقيقة المعجزة أنها تخبر عن أحداث مستقبلية، وتخبر عن الأمور التي تحدث في المستقبل، ولذلك يسمى النبي نبيا أي مخبرا عن أخبار مستقبلية، ومعنى الرسول أيضا أنه يرسل نورا وهو يخبر عن العذاب الإلهي المترتب على المعصية في المستقبل، سواء جاء ذلك العذاب في هذه الدنيا أو في يوم القيامة. الحمد لله على أنني أنا العبد المتواضع منذ وعيت لم أوقن بأربعة أشياء قط، أحدها الكيمياء السحرية، والثاني عدّ المجانين أولياء الله، والثالث يد الغيب، أي أن يقرأ البعض أورادا معينة يوميا فيجدوا كل يوم من الغيب روية أو خمس رويات تحت الفراش أو تحت السجادة، والرابع أنني دوما كرهت أن يزول حكم الإنجليز، فالناس دوما أحبوا أن يطاح بعرشهم، ليأتي ملك مسلم. فكلما سمعت من أحد هذا استشطت غضبا، وتشاجرت معه أحيانا، ونشأت في قلبي أمنية أن تدوم حكومة الإنجليز وتزدهر. فما الذي يعطينا الملك المسلم؟ كان حضرته عليه السلام هو الآخر قد بين هذه الأمور الأربعة كلها، وصدّق قولي ويقيني. وقال: لو كانت اليوم حكومة إسلامية لما استطعنا نشر دعوتنا هكذا بكل حرية، ولما تحققت أهداف هذه الجماعة. فمن فضل الله ورحمته أنه أرسل حكومة الإنجليز قبل بعثة المسيح الموعود عليه السلام.

بداية المناظرة مع البطالوي

ثم تقررت المناظرة مع المولوي محمد حسين البطالوي وحُدد لها التاريخ، وجاء لها المولوي محمد حسين إلى منزل حضرته عليه السلام برفقة المولوي محمد حسن، وسعد الله حديث الإسلام، وبضعة أشخاص آخرين، وطرح سؤالا خطيا على

حضرته عليه السلام. فكتب حضرته الرد عليه وقال لي: اصنع عددا من الأقلام^١ (من القصب) وضعها بجانب، وانسخ معي كل ما أكتبه. فبدأ يكتب وأنا أنسخ. فلما تمت كتابة الأسئلة والأجوبة لذلك اليوم، بدأ المولوي محمد حسين الوعظ الشفهي خلافا لما اتفق عليه. وقال إن معتقد المرزا بأن القرآن الكريم مقدّم على الحديث ليس صحيحا، بل يجب أن تكون العقيدة أن الحديث الشريف مقدم على القرآن الكريم، فهو يشرح المسائل الواردة في القرآن الكريم ويوضحها ويحسم القضية، وهو القول الفصل. هذا كان ملخص خطاب المولوي. عندها قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كنا قد اتفقنا على ألا يلقي أحدنا خطابا شفهيًا، والملاحظ أن المولوي المحترم خلافا لذلك قد ألقى الخطاب، ومن ثم تقرر لي أيضا الحق في إلقاء خطاب شفهي. ثم قال قداسته عليه السلام: إن معتقد المولوي هذا، بأن الحديث مقدم على القرآن الكريم، لا يصح بحال.

أيها السادة، من الجدير بالانتباه أن القرآن الكريم لما كان وحياً متلوًّا، وكان الكلام المجيد كله قد كُتب في زمن رسول الله ﷺ وكان كلام الله، ولم يكن هذا النظام للحديث الشريف. فالأحاديث لم تكتب في زمن النبي ﷺ، وإن المنزلة والمكانة التي يحوزها القرآن الكريم لا يحوزها الحديث. لأن الأحاديث وصلت إلينا عبر روايات؛ فإذا أراد أحدهم أن يحلف على أن القرآن الكريم هو كلام الله حرقياً، وإن لم يكن القرآن الكريم كلام الله فزوجتي طالق، فلن يحدث الطلاق لزوجه شرعا. أما إذا حلف أن الأحاديث كلها حرفيا هي ما خرج من فم النبي

^١ كان من عادة المسيح الموعود عليه السلام أنه كان يطلب مني إعداد أقلام كثيرة كل يوم، وإن لم أكن عنده فكان يكتب بما يتوفر له من الأقلام حتى لو كانت مكسورة. (من المؤلف)

ﷺ، وإن لم يكن كذلك فزوجتي طالق، فسوف يحدث الطلاق. هذا ملخص كلام حضرته ﷺ الشفهي.

وعلى إثر قوله هذا وما كتبه حضرته ثم قرأه على الناس، كانت تصدر هتافات سبحان الله، وأهّا لك وأهّا لك! أحسنت! ولوحظ أنه ما عدا سعد الله، والمولوي محمد حسين كان الناس من طرفهما أيضا يرفعون الهتافات إعجابا من تلقاء أنفسهم. فقد قال اثنان أو ثلاثة: كنا نظن أن المرزا يتحاشى النقاش الشفهي ويصر على النقاش الخطي لأنه لا يعرف إلقاء الخطاب الشفهي، لكننا عرفنا اليوم أنه بارع وذو كفاءة في إلقاء الخطاب الشفهي أيضا. وإذا كان يفضل النقاش الخطي فليس لعجزه عن الخطاب الشفهي، وإنما لكي يتميز الباطل من الحق بالخطاب الخطي، ويتمكن كل واحد من إحقاق الحق وإبطال الباطل، ولكي يتبين الحق والكذب جيدا على الحاضرين والغائبين كلهم. فكان المولوي يستاء ويتضايق من ذلك ويقول: أيها الناس أأنتيم للاستماع أم لرفع الهتافات وإبداء الإعجاب، والتفؤه بـ وأهّا وسبحان الله؟ والكتابان من كلا الجانبين قد طُبعَا، فلا داعي لتسجيلهما هنا. في هذه المناظرة أشبع البحث في القرآن والحديث وانتهت جميع النقاشات حول هذا الموضوع مستقبلا. استمرت هذه المناظرة لمدة أسبوع تقريبا في مقرّ حضرته ﷺ، وأراد المولوي أن يهرب ويتخلص، فقدم الطلب أنه يجب الآن أن تنتقل المناظرة إلى مقره، أي في بيت المولوي محمد حسن غير المقلّد. فوافق حضرته على ذلك وحدثت بقية المناظرة هناك. عند وصول حضرته ﷺ إلى هناك كنت أحضره وإلا كان يطلبني، ولم يكن ينطلق قبل وصولي إليه. فقد قام المولوي محمد

حسين أخيرا بمكايد واحتمالات كثيرة ولم ينجح في أي منها، إلا أنه نجح في سرقة ورقة استشهد بها في المناظرة.

لم يكن يحضر في بيت المولوي محمد حسن سوى اثنين أو ثلاثة أشخاص، استمرت المناظرة ١٣ يوما وملّ الناس الكثر وسئموا، وبدأت الرسائل تصل، ولا سيما من سكان لدهيانه، فقد أثاروا ضجة كبيرة على أنه إلام ستستمر المناظرة حول هذه الأصول الموضوعية، يجب أن يكون النقاش حول الموضوع الأصلي الذي تقرر وهو حياة المسيح ووفاته، قاتل الله هذه الأصول الموضوعية للمولوي ودمرها. كما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا مرارا بأن المناظرة يجب أن تكون حول حياة المسيح ووفاته، لكي تُحسم جميع القضايا دفعة واحدة، ويبت فيها، لكن المولوي لم يتطرق إلى هذه المسألة الحقيقية. فلما لم تكن لديه أدلة على حياة المسيح، لذا ظل يطيل النقاش، وشاع في المدينة أن شخصين يناظران أحدهما اخترع دينه - وكانوا يقصدون به المسيح الموعود عليه السلام - والثاني لا دين له، ويقصدون به المولوي محمد حسين.

ذات يوم قال عباس علي لحضرتة عليه السلام: أرجو يا سيدي أن تفضح المولوي محمد حسين بما قام به من سرقة، فقال سأفعل متى سنحت الفرصة. والسرقة أن كتاب إزالة الأوهام الذي كان قيد الطباعة في أمرتسر بإشراف شيخ نور أحمد كانت ترسل مراجعته كل يوم إلى مولانا نور الدين المحترم في جامون، وكان أحد الغزنويين صهر حضرتة. فسرق بعض الأوراق من كتاب إزالة الأوهام وأرسلها إلى المولوي محمد حسين، فاستشهد بها المولوي محمد حسين في مستهل المناظرة في ورقته الخطية.

من فتاوى المولوي الغزنوي ثم الأمرتسري أنه أجاز سرقة صاحب مذهب آخر سواء كان من الأحناف أو الشوافع أو الوهابيين أو الشيعة أو الخوارج. أما صاحب دين آخر فأولى بالسرقة، فلما كان هؤلاء يعدّون حضرته عليه السلام وجماعته من الكفار، لذا ارتكبوا هذه السرقة.

ذات يوم قال خليفة المسيح إن شخصا من الغزنويين كان يسكن معنا، وعندما كنت أرسله لشراء بعض الحاجات كان يأتي بآتين أو أربع آنات كل يوم، فسألته يوما من أين تأتي بها؟ فقال إن مشايخنا قد أفتوا أنه ليس هناك أي مسلم سوى أهل الحديث فاسرق الجميع، فأخذ ما لهم حلال، مهما كان ديني أحدهم. وبعد ذلك لا أتذكر هل كان حضرته قد طرده أم لا.

صار خباز من سكان بيشاور مريدا لحضرته عليه السلام، وكان يخبز في دار الضيافة، فكان يقول قد سرقْتُ مال الكثير من الأحناف ومتاعهم، إذ كنت سمعت هذه الفتوى من الغزنويين في أمرتسر أن سرقة من هو من غير المذهب، سواء أكانوا أحنافا أو مقلدين جائزة ولا تعدّ سرقة. والآن بعد مبايعة حضرتك تبث، وعرفت من تعليم حضرتك أن سرقة أي إنسان لا تجوز، حتى لو كان هندوسيا، أو مسيحيا أو يهوديا أو شافعيا أو وهابيا أو مقلدا أو موحدا. فكان يقص عمليات سرقة، ثم يبكي ويستغفر الله ويطلب منه العفو. فهذا هو دأب المشايخ وعلمهم وعملهم وفتاؤهم. فهذه الآية بحق هؤلاء وأمثالهم ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة: ٨٠) فالقاعدة أن العلماء والفضلاء والخواص والعوام في الدنيا يفسدون ويعدّون أنفسهم ملائكة

الله، ويكونون في نظر الله أبالسة. فإن الله يبعث مأموره ومرسله ليفضحهم، ويكشف تلبسهم. عندها يصرخون ويستغيثون ويسئمون المصلح مفسداً، والصادق كاذباً، والمأمور والمرسل مفترياً.

باختصار حين طلع اليوم الثالث عشر للمناظرة ازدحم كثير من المسيحيين والمسلمين والهندوس وغيرهم. كان حضرته قد ذهب برفقة المولوي عبد الكريم المرحوم، ومنشي غلام قادر فصيح المحترم، وقاضي خواجه علي المحترم، وإله دين الواعظ وغيرهم إلى بيت المولوي محمد حسن، وكنت في منزل نواب المرحوم أنوي الانطلاق إذ أرسل إليَّ حضرته المولوي نظام الدين المرحوم، والمولوي عبد الله المجتهد المرحوم كليهما وقال لهما: اثتيا بصاحبزاده سراج الحق عاجلاً. فانطلقت إلى هناك وكان المولوي محمد حسن قد أغلق باب البيت بإشارة من المولوي محمد حسين لئلا يدخل أحد من رجال المرزا للاستماع إلى الموضوع، فلما كان الموضوع عندي وكنت قد جعلت نسخة من الأصل طول الليل لأقدمها، لذا كان قد استه ينتظرن أكثر من أي شخص آخر، فلما وصلتُ إلى هناك وجدتُ الباب مغلقاً، وكان المئات الآخرون يقفون أمام الباب، فدبر المولوي نظام الدين المحترم فتح الباب بصعوبة فدخل جميع رفاقي واصفراً وجهها المولوي محمد حسن والمولوي محمد حسين، وقال لي المولوي محمد حسن لماذا أتيت؟ قلت له: كيف لا آتي والمناظرة كأنها معي، وأنا كاتبُ المناظرة. ثم قال قد استه عليه السلام قبل أن يقرأ الموضوع: أيها المولوي قد طالَت المناظرة، فلا داعي لها الآن. يجب أن نبدأ النقاش حول المطلب الأصلي وهو وفاة المسيح عليه السلام وحياته، لكن متى كان المولوي ليقبل ذلك، وما الذي كان بيده لإثبات حياة

عيسى عليه السلام. فحين بدأ حضرته بقراءة مقاله، اسودَّ وجه المولوي وأصابه اضطراب كبير وفقد حواسه وصوابه بحيث عندما أمسك القلم للكتابة بدأ يضرب به الأرض، وبقيت الدواة في ناحية، وانكسر القلم نتيجة ضربه بالأرض بضع مرات. ثم حين ذُكر الحديث من صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وآله قال إذا وجدتم أي حديث تُسب لي وهو يعارض القرآن الكريم فاتركوه وتمسكوا بالقرآن، استشاط المولوي محمد حسين غضبا وقال: هذا الحديث ليس في صحيح البخاري، وإذا وُجد فيه فكلتا زوجتي طالقتان، فضحك الناس كلهم بسماع كلمة الطلاق، ولم يجد المولوي ما يقوله للناس جراء الخجل. وظل يقول للناس لاحقا لعدة أيام: كلا ليست زوجتاي طالقتين، ولم أذكر الطلاق. وقبل ذلك عرفَ هذا الخبر عشرون أو مائة أو مائتان فقط، لكنه الآن قد أطلع الألوفا على ذلك. كان المولوي غضوبا ومغلوبا بالغضب فالله أعلم ما الذي جرى على لسانه أثناء الغضب.

ارتداد عباس علي

انتهت المناظرة واشتد غضب المولوي أكثر. بدأ مير عباس يرتاد بيت المولوي محمد حسين، وسبب ذلك أنه كان يرسل إلى هناك لإحضار نسخة من ورقة المولوي محمد حسين، فهذا ما أوقعه في الفخ، حيث بدأ المولوي محمد حسن والمولوي محمد حسين يُطعمانه. وعندما كان عباس علي يصل إليهما يقومان تعظيما له، ويقولان له: عباس علي، أنت من السادات ومن آل الرسول، فمكانتك هي أن يبايعك الناس، لكن المؤسف أنك قد بايعت المرزا المنحرف عن الدين المدعي بأنه الإمام المهدي. فالإمام المهدي كان سيُبعث من

السادات، من أين جاء هذا المغولي؟ والعياذ بالله. فكان كلا المشايخ يقبلان يدي عباس علي ويقدمان له روبية أو روبيتين هدية قائلين: من عظيم شأنك أنك معدود في الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلم. لكن المؤسف أن الإنسان الحائز على هذا الشرف مثلك صار مريدا للمرتد، فأعجب عباس علي بهذا الكلام المعسول كثيرا، وتزلزل إيمانه. لم يكن من السادات في الحقيقة بل كان يدعي عبثا أنه سيد. أما الآن فقد أكد له هذان المولويان -من دابة الأرض- أنه من السادات.

ذات يوم جاء إلى حضرته السيد ﷺ مُعارضاً وقال له: لقد ندمت بالانضمام إلى مريدك، لقد نشرت الدعوى التي تُخجلنا. فقال المسيح الموعود ﷺ: يا مير، لم أدع كذبا، والله ﷻ شاهد على قولي، وهو الذي قد جعلني المسيح الموعود والمهدي الموعود وناداني بهذا الاسم، وإنني أقول مؤمنا بأن الله ﷻ يرى وينظر وهو موجود في كل مكان، وبيده نفسي وأحلف به أي من الله وصادق. فهل سمعت مني أي كذب خلال هذه الأيام الكثيرة، أو سمعتني أكذب أو أفترى أو أكيد؟ فأنا المسيح الموعود والمهدي الموعود. بسماع هذا الخطاب أصيب سيدنا خليفة المسيح مولانا نور الدين سلمه الله تعالى بحالة من الوجد فقام وطاف. لكن عباس علي الشقي أصر على إنكاره. ثم نصحه حضرته بخطاب مبسَّط وبأدلة قوية. فلما لاحظ المولوي عبد الكريم السيالكوتي المرحوم أن حضرته ينصحه بلطف ورفق كبيرين ويشهد الله على صدقه ويحلف بالله قام وقال: كفى يا سيدي دعه، فقد صار مردودا. ثم قال لعباس علي بمنتهى الغضب: أيها الولد الوقح من عائلة "أرائين"، هذه هي حقيقتك! يتكلم معك

المسيح الموعود المبعوث من الله والمأمور منه بلطف وأنت تتماذى في الإساءة، اخسأ واخرج من هنا أيها الوقح فقد تماذيت بعنادك! فسوف تقبل يديك دابة الأرض محمد حسن ومحمد حسين، ويحولان الولد من عائلة أرائين سيدا. فهذا عباس علي من هذا التهديد، وانصرف من هناك، وصمت حضرته عليه السلام. ثم ظل عباس علي يتمادى في إظهار قساوة القلب يوميا، حتى نشر إعلان المعارضة، ثم مات ذليلا مهانا.

مات المولوي شاه دين مجنونا مختل الحواس، وكذلك واجه أولئك المشايخ الثلاثة "ذو ثلاث شعب" أوضاعا مخزية حيث رفعت عليهم القضايا في المحاكم، وتم اعتقالهم وماتوا بذلة وهوان. فهذه هي الذلة التي تصيب الإنسان إثر معارضته للمرسل من الله، وفي المقابل ظل سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يحرز التقدم والازدهار ليل نهار، وكذلك جماعته، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ذات يوم حين استولى المولوي محمد حسين على عباس علي وصار الأخير مذبذبا توجه المولوي إلي أيضا. وكان قد وقع في أذني أن الأمر الإلهي ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ صادق. فقد أرسل إلي رسالة قائلا: حضرة صاحبزاده، أود أن أقول لك شيئا على انفراد، أرجو أن تحدد لي موعدا لكي أحضر عند حضرتك. أما إذا شرفتنني بمجيئك فسيكون من حظي السعيد أن تطأ قدما إنسان جليل مثلك أرض بيتي. إلى ذلك الحين لم أكن أعرف عن حال عباس علي فكتبت له قائلا: أيها المولوي، لا داعي للقاء على انفراد، فيمكنك أن تأتي كما يأتي الآخرون وتكلمني على انفراد هنا، فأنا موجود هنا

ويتوفر لدي الوقت اللازم. والبيت الذي أقيم فيه هو لنواب علي محمد المحترم. فمجيء أحد إلى هنا ليس ممنوعا. وعندما تلقى جوابي لزم الصمت. وصدق قول الله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

ومن الجدير بالكتابة هنا ومن المهم لإمتاع القراء، إخبارهم أن اليوم الذي جاء فيه المولوي محمد حسين مع خدمه وأشياعه للمناظرة مع المسيح الموعود عليه السلام حول دعوى رسالته لم أكن رأيته قبل ذلك قط. فكبرت الله بكل قوة مرة أو ثلاث مرات. فاستفسرني المولوي عبد الكريم المحترم والمنشي غلام قادر فصيح المحترم عن سبب ذلك في هذه الساعة، وما الذي رأيته؟ واستغرب حضرته عليه السلام أيضا وسألني، فقلت: اليوم حقق الله رؤياي وكشفي. فسألني الجميع ما هي الرؤيا والكشف. فقصصت عليهم الكشف، ومع أن حضرته عليه السلام قد سجل كشفي ذلك في إزالة الأوهام مع اسمي بإيجاز، وسجلته أنا أيضا في كتيب (الكشف الصحيح بتصديق مثل المسيح) ونُشر، ولكن ذلك الكتيب غير متوفر الآن، فقد طُبِع مرة واحدة، لذا أسجله هنا مرة أخرى بكل وضوح لكي يزيد رغبة القراء أكثر، ويتسبب في هداية البعض. ولكي يتبين أيضا لماذا حضرْتُ عند حضرة المسيح الموعود عليه السلام وذلك الكشف كما يلي:

تفصيل حالتي السابقة

كنت مولعا بقراءة القرآن الكريم منذ الطفولة، حتى كنت أقرأ من القرآن الكريم منزلا واحدا^١ كل يوم بدلا من الجزء. وبعد مدة قرأت القرآن الكريم يوميا

^١ منزل واحد يساوي أربعة أجزاء وثلاث تقريبا، والقرآن الكريم موزع على سبعة منازل، وكانت الفكرة وراء ذلك ختم القرآن في أسبوع. (المترجم)

لعدة سنوات، إضافة إلى صلاة الإشراف والضحي والزوال وصلاة الأوابين والتهجد أيضا. ثم حين نشأت لدي الرغبة في ترديد الأوراد؛ كنت أردد كل يوم "يا وهاب" ١٢٥٠٠٠ مرة على مدى شهور. ولعدة سنوات قرأت يوميا "الله الصمد" ١٢٥٠٠٠ مرة. ثم لمدة سنة واحدة رددت يوميا لفظ "الله" ٣٦٠٠٠٠ مرة، ثم لمدة ١٠٠ يوم ظلت أردد كل يوم دعاء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٤٥ مرة، وفي الأيام التي كنت أردد فيها هذه الأوراد كان يسكن في الحارة ناسك أيضا، فكان يضحك حين يراني ويقول: إنك تعد أنك ذكرت الله كذا مرة، يجب أن تذكره مرة واحدة لكن بصدق القلب. مرة قرأت: "يا بديع العجائب بالخير يا بديع" ١٢٠٠٠ مرة يوميا، ثم لعدة أشهر قرأت "الله هو" ٢٠٠٠٠ مرة كما كنت أردد "لا إله إلا الله" ب ١٢٠٠٠ مرة وأتردد إلى مجالس الزهاد والنسك بكثرة. ذات مرة خطر ببالي أنه يجب أن أصلي الصلاة مقلوبا، وكنت سمعت أن حضرة شيخ فريد الدين غنج شكر رحمة الله عليه، قد صلاها ل ١٢ عاما بالتدلي مقلوبا في بئر ما. ثم بالمصادفة وجدت كتاب "سيرة الأولياء" وهو ملفوظات حضرة شيخ نظام الدين محبوب إلهي رحمة الله عليه. حين قرأته من أوله إلى آخره، وجدت في موضع منه مكتوبا أن حضرة شيخ فريد الدين غنج شكر قال لشيخه حضرة قطب الدين بختيار كعكي الدهلوي، واستأذنه في أداء صلاة المعكوس، فقال: فريد الدين ما الذي تفيدك؟ لكنه أخيرا إثر إصراري الشديد أذن لي بذلك، فصلى أربعين يوما مقلوبا، حيث كان يتعلق مقلوبا في البئر لدقيقتين أو ثلاث، فلما انتهى من اعتكاف أربعين يوما، ولم يستفد ولم تترتب على عمله نتيجة مطلوبة، ندم شيخ فريد الدين كثيرا،

وظل يبدي الأسف على أنه عارض شيخه ولم يكن أي نتيجة حسنة. فلما قرأت هذه الرواية غيرت رأيي. ثم أدركت أن الله ﷻ قد خلقني سويا فلماذا أصلي مقلوبا. ثم وجدت في القرآن الكريم أثناء التلاوة آية أيضا: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. فكنت أتردد عادة إلى هؤلاء عليّ أجد أحدهم من أهل الله. مع أنه كان في عائلتي من الإمام الأعظم ﷺ نسلا بعد نسل ودونما انقطاع الصوفية الدراويش الذين كان لهم أتباع كثر، لكنني لم أصب بتفاخر في النسب والعائلة والتباهي، وظللت أقرأ القرآن الكريم أيضا، وكنت أقرأ ترجمته، وأحفظه أيضا. كما درست شيئا من الفارسية حيث اقتصرْتُ على قراءة كتب "كلستان وبوستان وكرما" وغيرها من الكتب الصغيرة، غير أنني كنت راغبا كثيرا في المجاهدات، فقد قمت باعتكافات كثيرة لأربعين يوما، وكنت أردد أسماء الله، ولم أردد أسماء الصلحاء والأولياء كما يقول الصوفية. فلم أقل قط: يا شيخ عبد القادر، شيئا لله. وحين كنت أرغب أحيانا في قراءتها كان يحدث من الغيب عائق من تلقاء نفسه، وكنت أقرأ سورة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ...﴾ ١٢٠٠٠ مرة يوميا، واعتكفت على الأنهار، وفي الغابات وفي الزوايا، إلا أنني حافظتُ على الصلاة أكثر من كل شيء. ولما كنت قد قرأت في الكتب وسمعت في المواعظ أن الإمام المهدي سيولد وأن عيسى عليه السلام سينزل من السماء كنت تواقا لزيارته. وكنت أدعو الله أن يأتي الإمام المهدي وينزل عيسى عليه السلام في حياتي وأن يوفقي لزيارتهما. ثم كان يخطر ببالي أين أنا من الإمام المهدي، وعيسى؟! ثم كنت أفكر أنه حتى إذا جاء عيسى فكيف يتمكن من زيارته أمثالي، حيث يكون في مجلسه العلماء والفضلاء والأغواث

والأقطاب والأبدال والأغنياء والكبار والملوك، والنوابات، من العالم كله. فكيف أخلص إلى بلاطه. ثم تمرنت على تسلق الأشجار زعما مني أنه إذا ظهر الإمام المهدي في حياتي، ولم أستطع الحضور في مجلسه فلا بد أنه سيخرج للقتال أو لأمر آخر راكبا، وعندئذ سوف أتسلق الشجر وأتشف برؤيته. ثم كنت أدعو الله ببكاء وضراعة أن يمكّنني من زيارته حتى لو كانت في عمر الشباب أو الشيخوخة فهذا لا يؤثر. ثم ذات يوم قدم لي صديقي "ولي محمد السرساوي" قصيدة قديمة بالية أكلتها الديدان لشاه نعمت الله ولي، وقال: كانت لديك أمنية عارمة في زيارة الإمام المهدي، فطوبى لك؛ إذ يتبين من هذه القصيدة أن المهدي قد وُلد. ففرحت بذلك كثيرا وكنت أقرأ تلك القصيدة كل يوم وأقبلها. وأحيانا كنت أقرأها وأحيانا ألقى نظرة على مفاسد الزمن بحسب ما ورد في الكتب الأخرى، وكان يتبين لي أن هذا الزمن هو حتما زمن ظهور الإمام المهدي والمسيح. ثم حين كنت أفكر أنه في خضم ملايين الناس كيف أتمكن من زيارة الإمام المهدي. كنت أبكي كثيرا بدافع اليأس وأصرخ. ثم بدأ أحد أبناء أعمامي "بركت علي" أيضا يردد الأوراد تقليداً لي، لكنه كان يتلقى في الرؤيا النهي أو الامتناع. أما أنا فخلافاً ذلك كنت أرى رؤى واضحة وعجيبة، وأتلقى الكشوف الكثيرة، وكنت أرى في الرؤيا الملائكة والأنبياء والأولياء، وكانت تُكشف علي بعض الأمور المستقبلية عن وفاة أحد أو حياته. ثم كانت تلك الرؤى والكشوف تتحقق، وكانت تجاب أدعيتي الكثيرة، وكان الخلق الكثير يزورني حتى كنت أسأم لقاءهم. ذات مرة خطر ببالي ألا أكل اللحم فامتنعت منه لمدة سنين، ورددت أنواع الأوراد، وكنت أصوم حتى في السفر. وصحيح أن

تلك الأوراد كانت بدعة، وكنت من الغافلين لكن الله ﷻ مع ذلك لم يضيعني لأنه لا يضيع جهد أحد ومشقته. حيث كان قد اصطفاني لخدمة حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ. ومن أجل ذلك كان قد خلقي، وكان والدي قد سماني أيضا "نصير الدين"، ثم سميت "سراج الحق". وكان والدي في صغري يأخذني إلى الغابات، ويطلب مني المجاهدات ويقول لي مرارا: سراج الحق، في حظك نعمة لن نخطف بها نحن، وسنحرم منها. فكان يرى بنور فراسته أنني سأحظى بزمن إمام الوقت. فقد قال النبي ﷺ: اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله. ثم ذات يوم جئت إلى مدينة جيند وبقيت مشغولا في الصلاة على النبي ﷺ والاستغفار وكان ذلك في عام ١٢٩٦ الهجري.

الكشف الصحيح بتصديق مثيل المسيح

ذات ليلة بعد العشاء طرأت علي حالة الكشف فرأيت كثيرا من الهندوس والمسيحيين والمسلمين يأتون من بيت ما، وأنا أتوضأ في المسجد. فسألت الهندوس من أين تأتون؟ فقالوا كنا قد ذهبنا لزيارة الرسول المقبول ﷺ ونعود من هناك، ثم خطر ببالي أنه ينبغي ألا أسأل المسلمين عن هذا لأنهم يؤمنون به ﷺ، بل يجب أن أسأل الهندوس والمسيحيين عن مدح النبي الكريم ﷺ، فسألتهم كيف وجدتم سيدنا النبي ﷺ؟ فقالوا: سبحان الله وجدناه رسولا مطهرا ومقدسا كما سمعنا عنه. عندها نهضت وانطلقت إلى ذلك الجانب، ودخلت البيت، فإذا النبي ﷺ جالس، وأمامه يجلس على الأرض أناس قد وضعوا على رؤوسهم العمامة وهيئتهم ولباسهم بنجاي. وأمام النبي ﷺ يجلس رجل يرتدي لباسا أبيض، وعلى يساره يجلس رجل عاري البدن حاسر الرأس - وشعره

منسدل إلى الأذنين ووجهه كأنه مصاب بالجذري - حافي القدمين يرتدي فقط إزارًا وسحًا، وهو يولي دبره للنبي ﷺ. أما ثياب حضرته ﷺ فكانت بيضاء وهو مرتدٍ رداءً أبيض. ويجلس مرتاحًا وفي عينيه كحل ... لكن الأرضية ليست فاخرة، فذهبتُ إلى هناك وجلست وراء الجميع باحترام. وخطر ببالي أن هذا هو مجلس النبي ﷺ، لذا يجب الجلوس حيثما أجد مجالاً، فجلست هناك. في تلك الأيام كان يجري النقاش بيني وبين محمد يوسف الجيندي، والحاج المزعوم عبد الله الذي كان يعاديني. بينما كان كبار سكان المدينة من مبايعي مثل عائلة القضاة وهي عثمانية، وهي منذ القدم مريدة لعائلتنا، وإن الأوراق المكتوبة بخط أيدي كبار عائلتنا الأسلاف موجودة عند هؤلاء، لأن جدي الأكبر حضرة قطب الأقطاب جمال الدين الهانسوي رحمة الله عليه كان الملك قد عهد إليه بالقضاء، وكان يتم تعيين القضاة برأيه وبحسب مكتوبه. إضافة إليه فإن شيخ الإسلام بابا فريد الدين غنج شكر رحمة الله عليه الذي من سلالة أخيه الولي الكامل مولانا نور الدين خليفة المسيح الموعود. فكان من دأبه أنه إذا جعل أحدهم خليفة قال له: اذهب إلى مولانا جمال الدين أحمد المحترم، وإذا وافق على ذلك فجيد وإلا فلا. فهذا ما حدث على الدوام، وقد ورد أن فضيلة القطب لم يقبل أمر خلافة البعض بل مزقه. واشتكوا إلى حضرة بابا فقال لهم إن ما رفضه جمال ليس في وسع فريد أن يقبله. فلم يجد الخلافة بعده. ومن مرق القطب أوامر خلافتهم أذكر: نظام الدين، وشيخ صابر، وكل هذا مسجل في: سير الأولياء، سبع سنابل، اقتباس الأنوار، جشثيه بهشتية، آئين أكبري، وتاريخ فرشته وغيرها من الكتب.

مناقب نور الدين الأعظم

الآن إنني حائر على أنواع الشرف في بلاط خليفة المسيح؛ أولها أنه سليل مرشدينا، والثاني وهو أكبر شرف أنه خليفة سيدنا المسيح الموعود، ومهدي إمام الزمان سمو جناب مرزا غلام أحمد القادياني عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة. وشرف آخر له أن حضرته عليه السلام كان يقول لي مرارا وتكرارا إن تفسير حضرة المولوي نور الدين للقرآن الكريم تفسير سماوي. وكان يقول لي: يا صاحبزاده، تعلّم منه القرآن الكريم، واجلس في درسه للقرآن الكريم كثيرا، واستمع إليه. إذا تعلمت من حضرة المولوي جزأين أو ثلاثة أجزاء أو استمعت إليها منه، فسوف توهب لك ملكة فهم القرآن الكريم وتفسيره. وربما قال لي ذلك حضرته: خمسين مرة. وفي الحقيقة كنت أجهل أسرار القرآن الكريم وتفسير كلام الرحمن ولا أعرفه. فاستجابة لأمر حضرته بدأت أحضر درس حضرته، وأستمع إلى القرآن الكريم، ونشأت لدي متعة يتعذر علي بياؤها، فبركته بدأت أفهم القرآن الكريم بانتظام، كما كان حضرته عليه السلام بنفسه يعلمني القرآن الكريم ويفهمني مطالبه. وإضافة إلى ذلك تشرفت بقراءة جزء من البخاري منه أيضا، وفي جزء منه كان حضرة مير ناصر نواب مد ظله العالي شريكي في الدراسة. في الحقيقة إن حق فهم البخاري بعد فهم القرآن الكريم يعود إلى سيدنا نور الدين حصرا بعد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. فالذي اسمه نور الدين إذا لم ينل حظا من نور القرآن الكريم فمن سينال؟ فخليفة المسيح يحب القرآن الكريم ويعشقه، لدرجة أن لا تخلو أي ساعة من أوقاته من القرآن الكريم. فقد وضع داخل البيت المصاحف في مواضع شتى لكي لا يتأخر عن قراءته ولا يتقاعس،

ويمكن من قراءته حيثما كان. ذات مرة قال: إذا أعطاني الله ﷻ في الجنة والحشر الآلاء والنعم، فسوف أسأله أولا القرآن الكريم وأطلبه منه، لكي أقرأ القرآن الكريم في ميدان الحشر والجنة وأقرئه وأسمعه.

أنا ابن صاحب الزاوية ومن أسرة الأكرمين، ومثل هؤلاء الأبناء عادة يصابون بالتكبر والغطرسة، وكان حضرته ﷺ يدرك ذلك، فكنت إذا نشأت في قلبي أحيانا نوازع التكبر لكوني ابن الأكرمين أبقى متضايقا. وكان خليفة المسيح يشفق علي ولم يكن يقول لي شيئا بلسانه بمقتضى ألطاف المربين وظل يعظمي ويكرمني دوما، وكان حضرته ﷺ يعظمه ويكرمه ولذلك كنت أنا الآخر مضطرا لأعظمه وأكرمه، وكان بداخله يعلم أنني صاحبزاده ولا أعرف عن القرآن الكريم شيئا، وكذلك كنت فعلا، وأحيانا كان يفصح بلسانه ويقول تفضل يوما إلى درسي. كما كان حضرته سلمه الله يشرف هذا العبد المذنب بمجيئه إلى بيتي، وأنا كنت أنشد أبيات الغزل جالسا على مقعدي وأسكت لرؤيته، فكان يقول: تابع وشرف فأنا مشتاق لإنشادك لماذا توقفت، ذات يوم كنت أنزل من المسجد المبارك من الدرج مرددا أبيات الغزل اللاهي، وكان حضرته يستمع إلي واقفا في الأسفل فلما سكث لرؤيته قال لي: سيادة البير لماذا سكث؟ أنا كنت أُصبت بالوجد.

وكان سيدنا المسيح الموعود ﷺ أيضا في مرضه أو عند شعوره بالتعب من أعمال التأليف يطلبني ليستمع مني أبيات الغزل، فلما كنت أنشد كان يرتاح ويسكن. ذات يوم قال لي: أنشد لي صاحبزاده أي قصيدة غزل فصوتك يعجبني. ذات يوم حين كنت أقيم في مكان، الذي فيه مطبعة ضياء

الإسلام الآن، وأهل بيتي في سرساوه وكنت هنا وحدي، كان حضرته مصابا
بصداع مؤلم، فجاء إلي واستلقى وقال لي دلك ساقى، ففعلت ثم قال لي: يا
صاحبزاده أنشد أي قصيدة غزل، فأنشدت له قصيدةً للشاعر "نظير أكبر
آبادي". ثم طلب مني أن أنشد على شاكلة المنشدين، فأنشدتها:

"ماذا نقول؟ هل كنا في العالم إنسانا أو حيوانا، وكنا ترابا؟ ومهما كنا إنما
كنا ضيوفا لساعة،

وكنا نعد احتلال ممتلكات الآخرين عقلا ورشدا، وعندما سلبها منا عرفنا
أنا كنا سفهاء

ذات يوم وقعت قدمي على عظم، وماذا أقول في تلك الغفلة؟ كم كانت
الأفكار تشغل بالي

باختصار؛ قد تأوه ذلك العظم فور وقوع قدمي عليه، وقال كنت أيضا يوما
من الأيام إنسانا ذا روح

فكنتُ يدا ورجلا ولسانا وعنقا وبطنا وظهرا، وللرؤية عينا وللسمع أذنا،
وللنوم ليلا، كم كانت تتوفر لنا الأسرة الناعمة، ونهارا كان يتوفر لنا مقاعد رائعة
كنا نستأنس مع عدة حوريات متباهيات، وكنت حققت بعض الأمنيات،
وكانت بعض الأمنيات باقية،

ثم لطمنا الأجل لكمة واحدة، وبعدها لم نبقَ ولا وسائل العيش كلها
فلا تضع علي قدمك بإجحاف ودون هواده يا نظير، فكنتُ أيضا يا حبيبي
يوما إنسانا مثلك^١

^١ ترجمة قصيدة أردية. (المترجم)

فلما قرأت شطر "وكنتم حققت بعض الأمنيات وكانت بعض الأمنيات باقية" قال حضرته اقرأه مرة أخرى ومرة ثالثة ومرة رابعة، فهو روح هذه القصيدة كلها، ثم انصرف بعد الاستماع إلى القصيدة كلها.

ذات ليلة رأيت في الرؤيا أن صورة حضرة مولانا نور الدين قد تحولت إلى صورة حضرته عليه السلام، فلما قصصت هذه الرؤيا على حضرته، قال: حضرة المولوي فعلاً فذٌ ومنقطع النظر في الاعتقاد والإرادة، وهو متفاني في حيي، وهكذا يجب. سيادة الصاحبزاده، اتبع حضرة المولوي وقلّده فهو جدير بهذا حصراً. أتمنى أن يتمتع الجميع بصلاح نور الدين وتقواه.

ذات يوم قال حضرته عليه السلام: إن النبي ﷺ قد قال: إن رحمة الله تنزل على عذب الصوت، وملجّن.

التبليغ بواسطة جهاز التسجيل (الفونوغراف)

ذات يوم قال حضرة المسيح الموعود عليه السلام عن جهاز التسجيل (الفونوغراف) حين اشتراه جناب نواب محمد علي خان: أحضروه إليّ أيضاً فأنا أيضاً أود أن أسمع. فلما جاء به نواب المحترم سرّ حضرته كثيراً وقال إن الله قد وفق أحداً لابتكار هذه الآلة من أجلنا ولأجل تحقّق أهدافنا. فسوف أسجل فيه صوتي وأرسله مع رجلين إلى بلاد أجنبية لكي تتم مهمة تبليغ أحكام الله. فبهذه الوساطة سيستمع كل واحد، وإلا فالأوروبيون يجدون الموت في حضور مجالس الوعظ، أما بهذه الطريقة فسوف يستمعون. ثم قال سأنظم قصيدة، يمكن أن ينشدها صاحبزاده المحترم ويسجل صوته فيه، فصوته جيد. فقال المولوي عبد الكريم المحترم: سأسجل فيه صوتي: فقال حضرته

حسنا. ثم قال يجب أن يوصل صوتي إلى البلاد الأجنبية، وذلك لأن الله قد بعثني، وفي صوت المبعوث من الله بركة. قال ذلك لأن المولوي عبد الكريم المحترم كان يريد أن يسجل صوته. ثم أبدى آريو قاديان مثل شربت وغيره الرغبة في الاستماع إلى جهاز التسجيل، فنظم حضرته قصيدة من أجل تبليغهم رسالة الإسلام، لكي يستمعوا إلى أمر الله بواسطته، ثم جاءت هندوسيات، فأسمعهن أوامر الله بواسطته، وألقى على مسامعهن محاسن الإسلام، وسرَّ بذلك كثيرا.

سعة الأخلاق

كلما قال أحدهم لحضرته عليه السلام إني نظمت قصيدة - سواء كانت في اللغة البنجابية أو الفارسية أو العربية - وأحب أن أقرأها عليك، قال له من دون تكلف: أنشد. ثم استمع إليها بشوق مهما كانت سخيفة. فلم يكن يكسر فؤاد أحد، وكان يقول: جزاك الله. ولقد رأيته بإمعان أنه لم يكن يحرك أي عضو له خلال الاستماع إلى القصيدة بل كان يستمع بكل صمت وهدوء، ولم يكن يُحرك أي عضو له أثناء الكلام أو إلقاء الوعظ أيضا، لا العين ولا اليد ولا الخد، على عكس عادة كثير من الناس، حيث نراهم يحركون أيديهم وعيونهم خلال الحديث ويتحرك كل عضو فيهم. فكان عليه السلام يكره إذا فعل ذلك أحدُهم. رحم الله المولوي عبد الله المجتهد اللدهياني، فكان يقول لي: فضيلة الصاحبزاده، انظر إلى حضرته بإمعان. فكنت أنظر إلى حضرته بكل دقة. فألاحظ أن حضرته يتحدث ويضحك ويضحك ويستمع إلى كلام الناس، ويجالس الناس، ويبدو من وجهه وبشرته كأنه ينتظر أحدا، وسوف يقوم فور وصوله، انتظار العاشق

لعشيقه. فعلا قد لاحظتُ هذه الحالة لحضرتة عليه السلام حيث كان قد عشق رب العزة، وكان يتراءى غارقا ومنهمكا في الله وَجَلَّ جَلَالُهُ حيث لم يكن يبالي بشيء. وكان متفانيا في حضرة الأحدية.

ذات يوم استأذنتُ حضرتة في الذهاب إلى الوطن، فقال ماذا ستفعل هناك؟ قلت: يا سيدي هناك عمل مهم. فسأل هل تريد أن تحضر مجلس العرس^١، وتتوق إلى سماع القوالي؟ ثم بدأ يضحك. قلت: لا لن أحضر مجلس العرس، فمَنْدَ حضرتُ عندك قد ودَّعت العرس والقوالي، فهل يمكن أن أحن إلى العرس والقوالي بعد الفوز بصحبتك؟ كلا، فهو مستحيل.

عندما كنت أُسمعه أي فكاهة كان حضرتة يضحك ويسأل: صاحبزاده المحترم، من أين حفظت هذا الكمَّ الهائل من الفكاهات؟ كان شخص لا يصلي فذهب إلى المسجد المبارك مصادفة لشغل ما، فسأله المولوي عبد الكريم المرحوم: كيف دخلتَ اليوم المسجد؟ فأنت لا تصلي. ولم يقل له حضرتة عليه السلام شيئا، أما أنا فقلت يا سيدي مثله كمثله من انفلت منه الحصان ودخل المسجد، فلامه الناس وهددوه بأن حصانه قد أساء إلى المسجد كثيرا. فقال لهم أيها السادة الكرام، الحصان حيوان، لذا أساء إلى المسجد، فهل رأيتموني أنا مرةً أسيء إلى المسجد، أي هل رأيتموني مرةً أدخل المسجد وأسيء إليه؟ فضحك حضرتة عليه السلام فقال انطبق عليه هذا المثال جيدا. من المؤكد أنه جاء اليوم إلى المسجد سهوا، فخجل الرجل وندم ومن نفس اليوم بدأ يصلي.

^١ العرس هو احتفال سنوي يقام عند ضريح ولي أو مرشد أو صاحب زاوية. (المترجم)

الفاتحة خلف الإمام

ذات مرة قال المولوي عبد الكريم رحمته الله إن شخصا من سكان "سيالكوت" أو منطقة مجاورة لها لم يكن يقرأ "الحمد" خلف الإمام، وكنا نقول له كل يوم أن يقرأها، وعرضنا عليه بحسب رأينا جميع الأدلة حول هذا الموضوع ولكنه لم يقبل، ولم يقرأها خلف الإمام، غير أنه كان يصلي معنا. فجاء ذات مرة إلى قاديان لزيارة المسيح الموعود عليه السلام ودار الحديث حول هذا الموضوع، فقال عليه السلام: يجب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يذكر أي دليل من القرآن الكريم أو الحديث، فبدأ هذا الشخص بقراءة الفاتحة خلف الإمام بمجرد سماعه هذا الكلام ولم يناقش ولم يباحث.

طرح شخص سؤالاً وقال: صلى الله عليك وعلى محمد، من لم يقرأ الفاتحة خلف الإمام هل تصلح صلاته أم لا؟ فقال المسيح الموعود عليه السلام: يجب ألا يُطرح سؤال: هل تصلح صلاته أم لا، بل يجب أن يُسأل: هل يجب قراءة الفاتحة خلف الإمام أم لا؟ فأقول: قراءتها ضرورية، أما صحة الصلاة أو عدمها فعلمها عند الله. الأحناف لا يقرؤونها وكان آلاف الأولياء يتبعون المسلك الحنفي فما كانوا يقرؤون الفاتحة خلف الإمام. إذا لم تكن صلاتهم صالحة فكيف صاروا أولياء الله؟ وما دامت لي ماثلة نوعاً ما مع الإمام الأعظم فلا يسعني أن أفتي بأن الصلاة لا تصلح بغيرها. لم تدوّن الأحاديث كلها إلى ذلك الزمن، ولم ينكشف عليهم السر الذي انكشف الآن فكانوا معذورين، أما الآن فقد حُلّت هذه المسألة. فإن لم يقرأها أحد الآن فلن تبلغ صلاته مبلغ القبول دون شك. فأكرر وأقول ردّاً على هذا السؤال بأنه يجب قراءة الفاتحة خلف الإمام.

سأله عليه السلام ذات يوم وقلت: صلى الله عليك وعلى محمد، متى يجب قراءة الفاتحة؟ قال عليه السلام: متى ما وجد المرء فرصة لها. قلت: هل في أثناء سكوت الإمام؟ قال عليه السلام: فليقرأها حيثما وجد فرصة.

تكمل الركعة بإدراك الركوع

سأل أحدهم إذا كانت الصلاة قد أقيمت ولم يستطع المقتدي الالتحاق بها قبل الركوع، فإنما لحق في الركوع، فلم يقرأ الفاتحة، فهل تعدّ له تلك الركعة؟ فقال المولوي عبد الكريم المحترم: لا لن تعدّ له تلك الركعة. فقال حضرته قد اكتملت له الركعة وستعد له، وكيف لا؟ أنا أسأل: لو تسنت له الفرصة لقراءة الحمد، فهل كان سيمتنع عن قراءة الحمد؟ فقال المولوي المحترم لا، إذ كان من اعتقاده أن يقرأ الحمد حتما. فقال عليه السلام: إنما الأعمال بالنيات. فحين لا يجد مهلة وكان ينوي أن يقرأ لو وجد الوقت، فسوف تتم ركعته.

قصة مجنون

ذات ليلة كنت أصلي التهجد على الرصيف حيث بُنيت المدرسة ودار الضيافة الآن، فجاء شخص مجنون اسمه ميران بخش، ونوى الصلاة وقام بجانب، وبدأ يقرأ الحمد بصوت عال. ثم أصيب بنوبة من الجنون فبدأ ينشد قصيدة من الغزل، فبصعوبة أكملت ركعتين، وبعد التسليم قلت له: ابتعد أيها الشقي فقد أحدثت خللا في صلاتي. فقال: لن أنصرف، إذ كنت تصلي وحدك وانضمت إليك لتكون صلاتك جماعةً، وكنت أصلي فقط. قلت له صحيح أنك كنت تصلي لكن لماذا بدأت تغني هذه القصيدة؟ فلم يردّ علي فبدأ يتكلم كلاما بذيثا. قلت له انصرف من هنا، قال لن أنصرف، قلت إما أن تنصرف وإلا

سوف أضربك، وأكلك نيًّا. ومع ذلك لم ينصرف، وأخيرا دفعته من هناك بقوة. كان المسيح الموعود عليه السلام يمشى على سطح المسجد المبارك بعد أداء التهجد، ويسمع كلامنا كله، والله أعلم كيف سمع هذه الأقوال ذلك اليوم، إذ كان من عادته ألا يهتم بشيء مهما تكلم أحد. بل عندما كان يخاطبه أحد كان يستمع له، ويرد عليه ويجيب على استفساره، لكنه كان يتراءى وكأنه لا يستمع له، كما كان يبدو وكأنه ليس منتبها إليه، إلا أنه في الحقيقة كان مصغيا لقوله. باختصار كان قد سمع جدنا، فلما طلع الفجر توجهتُ إلى المسجد المبارك لكي أرفع الأذان، ولم أكن أعرف أن حضرته عليه السلام يمشى هناك وسمع كلامنا. فلما صعدتُ إلى سطح المسجد وجدته يمشى، ويردد سبحان الله، سبحان الله. فقلت له: السلام عليكم، فقال: وعليكم السلام، أتيت؟ فقلت أتيت لأرفع الأذان. فسأل هل حان وقت الأذان؟ قلت يا سيدي صلى الله عليك وعلى محمد قد بان البياض، فقال إذا أذن. فأذنت. فقال لي بعد الأذان: هل حدث الجدل اليوم بينك وبين ميران بخش المجنون؟ فخشيتُ مما قد يقوله لي حضرته، إذ ربما سمع كل ما جرى بيني وبينه. فقصصت عليه الأمر كله خائفاً. فقال: هؤلاء محتلو الحواس ومرفوع عنهم القلم، فمهما قالوا في هذه الحالة لا يؤخذون ولا يُطش بهم. أهل الدنيا يسموهم مجذوبين وأولياء وأقطابا يجب خدمتهم، لكنهم في الحقيقة ليسوا من المجذوبين ولا الأولياء بل يكونون محرومين، أي يجرمون من جميع الآلاء الإلهية. فهم محرومون من العقل والذهن واللباس ولذة الأكل والشرب ونعماء الزوجة والأولاد، ويجرمون من الثواب، ومن معرفة الله أيضاً، ويجرمون من علوم ذات الله وصفاته، ومحرمون من معرفة الرسل والأنبياء

وأتباعهم، ومحرومون من تلاوة القرآن الكريم ومعانيه ومعارفه وأسراره، ومحرومون من الشريعة والطريقة، ومن الصلاة التي هي معراج المؤمن والصوم الذي جزأه الله نفسه، ومناسك الحج والزكاة ونيل الثواب والدرجات أيضا. حين يقع نظرك على هؤلاء يجب أن تشكر الله ﷻ على أنه متّعك بجميع النعم والفيوض، ولم يجرمك منها. فقد وهب لك العقل والذهن ووفّقك لتلاوة القرآن الكريم ووهب لك علوم القرآن وأسراره ومعارفه وحقائقه، ومكّنك من معرفة كل حلال وحرام، ووفّقك لمعرفة الرسل، وأعطاك علم ذاته وصفاته. يقال وليّ الله لمن يتمسك بالأوامر والنواهي، والنعمة التي يكتسبها من هذه الأمور تسمى بالكشف والإلهام ورؤية الله، أو لقاء الله. فمن واجب الإنسان أن يستجيب لأوامر الله ﷻ ثم على الله أن يظهر نتيجته، وسوف يخرجها. فالمناسب اعتزال أمثال هؤلاء المحرومين والمجانين. وإذا كان عند المرء شيء وسأله إياه فيمكن أن يعطيهم، وإلا فالأفضل أن يبتعد عنهم. يجب أن نشكر الله على أنه لم يجرمنا، ولم يجعلنا عديمي الحظ. الصلاة وسيلة تُقطع بها أشواط جميع مراتب الولاية والقرب الإلهي. والمؤسف أن الناس تركوا الصلاة وتمسكوا بالأوراد السخيفة، إنما يمكن الفوز بقرب الله بالصلاة فقط. لذا يجب أدائها باهتمام وبأحسن حال. فبقدر ما تحرص على أداء الصلاة بخشوع وخضوع وهدوء تنال رضا الله وحبّه، وستجده قريبا منك. أما "الدعاء السيفي" و"حزب البحر" و"قصيدة غوثية" وغيرها من الأوراد التي اخترعها الناس فليست سوى بدعة. فالوقت الذي يقضونه في الأوراد يجب أن يقضوه في الصلاة ويجب أن يطيلوها. فبقدر ما يكون الخشوع والخضوع في الصلاة ويرتّل المرء القرآن، يجد الثواب والفائدة.

الورد بـ "دلائل الخيرات"

سأل شخص ذات يوم: ما حكم قراءة "دلائل الخيرات" والورد به؟ فقال حضرته: الوقت الذي يُبذل في قراءة دلائل الخيرات لو بُدّل في الصلاة وتلاوة القرآن الكريم لنفع كثيرا! هذه الكتب تمنع من الصلاة وتلاوة القرآن. القرآن كلام الله، أما هذا الورد فمن اختراع الناس. ثم قال: يردد الناس وُرد آيات القرآن الكريم وسوره أيضا، وهذه بدعة ويفعلون ذلك جهلا منهم. القرآن الكريم ليس للورد بل هو للعمل به ولإصلاح الأخلاق. لو كان النبي ﷺ قد وضع المسبحة في أيدي الصحابة رضي الله عنهم وأجلسهم في الحجرات لما وصل الدين إلينا، مع أنه كان هناك جهاد وسيف. لقد قال النبي ﷺ مرارا: الجنة تحت ظلال السيوف. إن زمننا هو زمن منهاج النبوة، وطريقنا أيضا هو منهاج النبوة. يجب على الناس الآن أن يتخلوا عن الحجرات ويرموا المسبحة، ويحرقوا الألبسة الملونة ويسعوا جاهدين للجهاد وتأييد الدين بالمال والأنفس والأيدي وبكل طريقة ممكنة. كان الجهاد في ذلك الوقت بالسيف، أما الآن فهو باللسان والقلم. كان الجهاد قائما حينذاك، وهو قائم الآن أيضا ولكن أسلوبه قد تغير. المؤمن لا يرضى بالقشر قط، بل يريد اللب. التمسك بالألفاظ فقط كفر، ولا يتم شيء بالتمسك بالألفاظ وحدها بل يتم الأمر بالعمل بالقرآن والتصرف بحسبه.

التعويذة والتميمة واعجاز المسيح

لم يكتب المسيح الموعود ﷺ التعويذة مثل الدراويش والنسك المعاصرين قط. حدث أن كتب التعويذة أربع أو خمس مرات، وبيان ذلك أن خليفة نور الدين من جامون لم يُرزق الأولاد فطلب منه ﷺ الدعاء للحصول على

الأولاد، فقال عليه السلام: سندعو لك. قال خليفة نور الدين: أرجو أن تعطيني تعويذة، قال حضرته: سأكتب لك شيئاً. ثم طلب نور الدين ذلك مرة أخرى فقال عليه السلام: ذكرني وسأكتبها لك. بعد ذلك رأى خليفة تذكره لكتابة التعويذة غير مناسب من باب الأدب، وقال للصاحبزاده مرزا محمود أحمد سلمه الله - الذي كان صغير السن حينذاك - أن يأخذ الرقية من المسيح الموعود عليه السلام وطلب منه أن يلحّ على حضرته. فقال مرزا محمود أحمد يوماً: يا أبتاه: أكتب الرقية له. قال حضرته: أنا لا أعرف كتابة التمام ولكن لو أصر محمود أحمد على شيء لا يكاد يتراجع عنه. فكتب عليه السلام سورة الفاتحة كلها مع البسملة وسلم الرقية إلى محمود أحمد، والذي بدوره سلمها إلى خليفة نور الدين. وما لبث أن لبس الرقية إلا وحملت زوجته ثم ولدت طفلاً.

مرةً جاءت رسالة من شخص غير أحمدی من حيدر آباد كتب فيها: أرجو أن ترسل لي رقية مكتوبة بيدك المباركة. قال عليه السلام لي: أنا لا أعرف كتابة الرقية، أحضر الورقة سأكتب سورة الفاتحة ففيها البركات كلها. فكتب سورة الفاتحة وأعطانيها وقال: أرسلها في البريد.

وجاءت رسالة شخص من "ماروار"، قال فيها: تندلع النار في بيتنا تلقائياً وتصدر أصوات مهيبه جداً، ونمض نحن وأولادنا في كثير من الأحيان. فأرجو أن تكتب لنا رقية بيدك لتخلص من هذه المشكلة سواء أكان من الجنّيات أو من شيء خبيث آخر. فقال عليه السلام لي: أكتب أنت من عندك. أنا لا أعترف بالجنّيات. فكتبْتُ بأمر من حضرته: أدّن في الزوايا الأربعة من البيت كل مساء. ثم عرضتُ هذه الرسالة على المسيح الموعود عليه السلام فقال: جيد، أرسل الرسالة.

ثم وصلت رسالة من ذلك الشخص بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع قال فيها بأن النار لم تعد تندلع ولا نرى الكوايبس أيضا، وقد شفانا الله تعالى شفاء كاملا. ثم قلت له عن كتابة الرقية فقال: نعم سنكتبها. ثم كتب ذات يوم سورة الفاتحة وقال: أرسلها.

كانت النساء من قاديان ومن قرى مجاورة يأتين حضرته ويقلن له: سيادة المرزا، أكتب لنا الرقية بيدك. فيقول لهن: اذهبن إلى صاحبزاده وسيكتبها لكن، وتعرفن من هو صاحبزاده، هو ذلك المرشد ذو القامة الطويلة. فيقلن: نعم نعرفه. كان الناس في قاديان وما حولها يعرفوني، ومنهم من يسميني "المرشد" ويسميني آخرون: "المرشد الكبير". ثم تأتي هؤلاء النساء إلي ويقلن: لقد أرسلنا المرزا إليك فاكذب لنا رقية. فكنت أكتب سورة الفاتحة اقتداءً بالمسيح الموعود عليه السلام.

الرقية بسورة الفاتحة

ذات مرة جئت من سرساوه إلى قاديان مشيا، ومثلت أمام المسيح الموعود عليه السلام، كان مولانا ومرشدنا نور الدين خليفة المسيح عليه السلام أيضا حاضرا، وكان جالسا بعد صلاة الفجر. فقال خليفة المسيح عليه السلام: يا سيادة البير، لقد رأينا مرشدين كثيرين يقومون بعمليات ويكتبون تائم، فهل تذكر أيضا عملية نستيقن بسببها أن لها تأثيرا؟ قلت: نعم، أذكرها. قال: أرنا إياها. قلت: سأريك في الوقت المناسب. قال المسيح الموعود عليه السلام: لا بد أن يذكرها صاحبزاده المحترم لأن هذه الأمور لا تزال جارية من آبائه. بعد ساعتين تقريبا جاء شخص، مصاب بذات الجنب، أي بالألم في الأضلاع. قلت: سألقي تأثير عمليتي عليه. قال خليفة المسيح: نعم، افعل، وقال المسيح الموعود عليه السلام أيضا: افعل. رقيت

ذلك الرجل نفسه، فشفاه الله تعالى شفاء كاملاً. عندما شفي تماماً قال خليفة المسيح: هل هذه مِسْمَرِيَّة؟ وما كنت إلى ذلك الحين قد سمعتُ حتى اسم المسمرية، ولم أعرف ما هي. سألني المسيح الموعود عليه السلام: ماذا قرأت؟ قلتُ: صلى الله عليك وعلى محمد، قرأت سورة الفاتحة...

باختصار حين جلستُ في مجلس النبي ﷺ في الكشف بأدب، قلت لمن كان يجلس بجانبني أن يسأل النبي ﷺ هل يجوز تقبيل قدمي المرشد أم لا؟ فقال للنبي ﷺ: يستفسر سراج الحق هل يجوز تقبيل قدمي المرشد أم لا؟ فقال الرجل الذي كان يجلس أمام النبي ﷺ - وكان يرتدي ثياباً بيضاء - ماداً يده وبتحريكها: لا. عندها خطر ببالي: إني كنت سألتُ النبي ﷺ ولم أسأل هذا الرجل، فمن هذا الذي يتكلم من تلقاء نفسه؟ فنهضتُ من مكاني فور نشوء هذا الخيال وتوجهت مباشرة إلى حيث نقط صغيرة مرقمة، وجلست عند النبي ﷺ بهدوء، فنظر إلي النبي ﷺ بنظر خافض، ومدَّ قدمه اليسرى المباركة إليّ، فلاحظتُ أنه كان يلبس جراباً أبيض من القطن، فأمسكتُ بقدمه المباركة بيديّ وقبّلتهَا، ولمستُ بها عينيّ، ثم سحب حضرته قدمه وكَمَشَهَا. ثم خلع الجراب القطني ووهبنيه، فاستلمتُ منه ذلك الجراب المبارك بكل أدب. وكنت حين نهضت سابقاً لأتقدم إليه ﷺ لاحظتُ أربعة أو خمسة رجال على اليسار لابسين ملابس وسخة، وأمامهم أكواب فيها شراب مسكر، وهم يقرعون الطبول، ويغنون شيئاً لم أفهمه. عندها قلت في نفسي: سبحان الله، هنا يجلس النبي ﷺ وعلى طرف آخر هؤلاء المطربون أيضاً هنا، ثم قلت في نفسي مَنْ هذا الذي يعطي ظهره للنبي ﷺ وهو عاري البدن حاسر الرأس؟ مَنْ هذا المسيء الوقح الذي يعطي

ظهره لسيد الكون سيد المرسلين ﷺ؟ والغريب أن لا أحد يمنع هذا المسيء الوقح. أما الذين كانوا يتوجهون إلى زيارة النبي ﷺ من الهندوس والمسيحيين والمسلمين وغيرهم فكانوا يقولون: إن النبي ﷺ قد هاجر الآن من بلاد العرب إلى الهند. وبعده زالت عني حالة الكشف هذه، وبقيت لذة عظيمة لهذا الكشف والمشهد الغريب. وحصلت لي متعة وشوق يتعذر بيانه، ثم أطلعت على هذا الكشف شيخ يوسف علي النعماني المرحوم المذكور آنفاً، إذ كان أيضاً موجوداً هناك، كما أخبرت به شيخ عباس علي الضابط في الجيش في ولاية جيند، وقاضي غلام نبي المحترم زعيم جيند، وشيخ بركات علي الضابط وغيرهم.

ثم كان هناك مجلس المولد في يوم من الأيام وكنت أنا الوحيد صاحب الخطاب، وهناك أيضاً تلقيتُ هذا الكشف مرة أخرى. فلما كان الكشف يتضمن شيئاً من النعاس حيث تنقطع القوى المدركة من هذا العالم وتتصل بالعالم الآخر، ظن الناس أنني نائم ونعسان، لأن الكلام انقطع وبدأت أتلثم. فقال لي أحدهم وربما كان أحد المنظمين موجوداً في المجلس: يا سيدي، هذا الوقت ليس للنوم، أو قال هذا الوقت للقراءة، فلما كرر كلامه زالت عني حالة الكشف، فقلت له لست نائماً بل كنت أرى مشهداً عجيباً، ثم بينت لهم ما رأيته في الكشف. وكان في المجلس قرابة ٣٠٠ شخص، وبعد هذا الكشف بسنتين ذهبتُ إلى لدهيانه. قال لي أحدهم إن هناك قرية تسمى قاديان ونسمع أن فيها رجلاً صالحاً ومن أولياء الله واسمه مرزا غلام أحمد. فقلت يمكن أن يكون، إذ لم يخلُ أي زمن من الأولياء. فلعل في العالم مئات الأولياء والله أعلم. ثم بعد يومين أو ثلاثة جرى هذا الذكر من جديد في مجلسنا، فسألتهم كيف

عرفتم أنه ولي الله؟ فقالوا قد سمعنا مدحه على لسان بضعة أشخاص، وهو يقول: إنه مجدد هذا القرن، ويقول إن أولياء الزمن السابق مثل السيد عبد القادر الجيلاني، وأبي يزيد البسطامي، والسيد معين الدين حسن الجشتي الأجميري، والشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي رحمة الله عليهم، أيضا كانوا في الحقيقة على طريق الرسول ﷺ وكانوا كلهم من أهل الله والمقربين إلى الله. أما الصوفية المعاصرون فقد انحرفوا عن الطريق وجادة الاستقامة حيث اخترعوا طرقا جديدة. فعند سماع هذه الأمور نشأت في قلبي الميول إلى حضرته والرغبة في لقائه، وقررت أنه يجب عليّ زيارة هذا الرجل الذي يتكلم عن السابقين، ويصف نفسه بأنه مجدد. لا شك أنه من أولئك المجددين، والقرن الرابع عشر يكاد يبدأ. وليس من المستبعد أن يكون فعلا مجددا، ولا بد أن يكون هناك مجددٌ لأن النبي ﷺ قد قال: إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا. والآن قد ظهرت مئات الفرق، والاختلاف سائد في العلماء والصوفية، وفسد حال الأغنياء والفقراء والضعاف، وساءت عاداتهم، والفتن تموج في كل مكان. فمن منّة الله ونعمته الكبيرة أن يبعث مجددا في عصرنا هذا. أما أنا فكنت أترقب أكثر لأن زوج أختي الحافظ رونق علي المعروف بمحمد جان من سكان رامبور في محافظة سهارنپور أيضا قد ادّعى أنه سيُبعث مجدداً للقرن الرابع عشر، وكان ذلك مبعث سرور لي أن يكون المجدد في عائلتنا، كما كان المولوي أمير علي الأجميري أيضا قد ادّعى أنه سيكون مجدد القرن الرابع عشر.

وأخيرا تاب هذا المولوي فور طلوع القرن الرابع عشر، وأعلن أنه أخطأ فهو ليس مجددا. أما الحافظ المذكور فإلى الآن يتمسك بدعواه بأنه مجدد القرن الرابع

عشر وقد مضت منه ٣٠ سنة. وفي هذه السنة الثلاثين يعتقد بصفة خاصة واثنان من معتقديه، هما الآخران يعتنقان هذا المعتقد حصراً، وكان ناسكاً في أجمير أيضاً، وكان هو الآخر يدعي أنه مجدد القرن الرابع عشر.

من هو مجدد الوقت؟

حين حضرتُ أول مرة عند سيدنا المسيح الموعود عليه السلام سألته إنك أعلنت الدعوى بأنك مجدد، وهناك آخرون يدعون بذلك، ومنهم:

١ - المهدي السوداني الذي يعدّه الناس المهدي والمجدد، فهل تؤمن بك أم تؤمن بأحدهم؟ فقال يجب أن تؤمن بمن عنده دليل. فالدعوى بلا دليل غير مقبولة، والدليل أن يتمتع المدعي بالمكاملة والمخاطبة الإلهية وينزل عليه الوحي، ويكون طريقه على منهاج النبوة. فالشجرة تعرف بثمارها، وعلامة الولي والنبى والرسول أن يكون أصحابه ورفاقه ومريدوه صالحين وأبراراً، وينشأ فيهم التغيير الخارق، ويروا فيهم نوراً لامعاً براقاً، عندها يتبين أنه صالح وولي، وأن له علاقة كاملة بالله واتصال به ويتمتع بجذب رباني وقوة روحانية. أما الذي أتباعه وأصحابه سيئون وفاسدون ولم يحدثوا في نفوسهم أي تغيير، ويعيشون حياة خبيثة فاعلموا أنه هو الآخر خبيث، ولا توجد فيه أنوار الله، ولا النعمة الروحانية، وليس فيه الله ولا هو يتمتع بأنوار الله وفيضه. انظروا أن مئات الطفيليات السيئة تنبت في الغابات في موسم الأمطار، وتنبت أشجار طيبة رائحة أيضاً، فالمفيدة تبقى، وغير المفيدة وعديمة الجدوى تحترق عاجلاً. فسترون أن الذي بعثه الله ﷺ والذي جاء من الله بمنصب المجدد فسوف يبقى ويزدهر، أما الذين ليسوا من الله فسوف ينقرضون ويهلكون. قد ظهر كثير من المتنبيين في زمن النبي ﷺ

وفي زمن المسيح ﷺ أيضا، فهل داموا وازدهروا؟ كلا، فقد انقرضوا نهائيا، وهلكوا بحيث بادوا وفنوا خلال أيام معدودات.

فكما كان المسيح الموعود ﷺ قد قال فإنه حدث في الحقيقة بالضبط؛ إذ ما عدا ذاته المباركة قد خاب الجميع وفشلوا وانقرضوا.

٢- عاقبة الأدعياء الآخرين: لقد فقدَ الحافظ محمد جان صوابه وحل به عقاب الله بحيث لم يستطع القيام بالصلاة والصيام والعبادة، وفقدَ راحته كلها، ولم يعد يذكر الله ﷻ، وكانت امرأة سوقية فاسقة مريدة له قد ماتت وفنيت وانحى أثرها من الدنيا. والآن قد فقد بصره أيضا ويُوقَّر له شيء من الخبز من الحارة يتناوله ويقتات عليه، وكان حافظ القرآن وقد نسيه الآن. والحق أن الذي يُعرض عن المرسل من الله يصاب بأنواع المصائب والكوارث، ويصدق عليه القول: خسر الدنيا والآخرة.

٣- إضافة إلى هذين قد ادعى المولوي أبو القاسم من سكان أمرويه أيضا بالمجددية والمهدوية، فهو الآخر كان قد فقد صوابه وصار مجنوناً. والله أعلم إذا كان ما زال حيًّا أم لا، وكان من أقارب حضرة سيد محمد أحسن الأمروهي.

٤- ادعى المولوي عبد العزيز من مدينة "أركات" أنه هو الآخر مهديٌّ، وسمى مسلكه الطريقة العزيزية، ورأيت كتيباً له قد أعلن فيه أنه المهدي. وكتب قصيدة وأعلن أنه عُرج به، وهو ترجمة حرفية لما ورد في صحيح البخاري عن معراج النبي ﷺ وإنما الفرق أنه ورد في صحيح البخاري اسم محمد ﷺ وهنا ورد في كل مكان اسم المهدي عبد العزيز. قرأتُ هذا الكتيب على سيدنا المسيح الموعود ﷺ، فقال: لا يخاف الناس الله ويفترون عليه. يا صاحبزاده، هل عند

الله فوضى أو هو إله ضعيف، ففي الحكومة المادية لا يكون أي فوضى أو فساد حيث كل من يرفع رأسه ويتظاهر بأنه موظف حكومي يمسك به، أما الذي هو أحكم الحاكمين ومالك الملك، ومالك الكون وخالقه والقوي المتين، أفمن يبطش بأمثال هؤلاء؟ فبعد سنتين ورد الخبر أن المولوي عبد العزيز أصيب بالجنون وأنه يتجول عاريا، ولم يعد يفرق بين الحلال والحرام، وساءت حاله بحيث كان أحيانا يأكل الروث والبراز أيضا، ورحل من هذا العالم على هذا الحال.

٥- كان في لاهور شخص يردد في الأزقة "لا إله إلا أنا، المهدي رسول الله" ولم يتعرض له أحد ولم يُفْتِ أحد بكفره، ولم يستجوبه أحد. حين جاء المسيح الموعود عليه السلام مرة إلى لاهور وذهب إلى المسجد الملكي، برفقة آلاف الناس، جاء إلى هناك هذا المهدي المجنون، وألقى على رقبة حضرته قماشا بسرعة، فأزاحه الناس بصعوبة، وأزالوا القماش عن رقبته عليه السلام. فهو الآخر قد مات في حالة الجنون، وغير معروف من الذي كفنه، ومن دفنه وأين قبره.

٦- جاء أحد اللاهوريين إلى "ألور" برفقة رجلين، وكان هو الآخر يدعي أنه المهدي، وكان يريد الجهاد ضد الجميع، وقد أقام بضعة أيام في بيت صديقنا الصباغ وزير محمد الموحد، وقال إن ذلك المدعي كان يبكي ويصرخ ويشتهي أنه لا أحد يهتم به ولا يسأل عنه، وأحيانا كان يقول: الله أعلم هل أنا المسيح عليه السلام أم أنني المهدي عليه السلام، وأحيانا كان يقول إنني أنا المسيح والمهدي أيضا، وكان قد أصيب بملنخوليا، كان يعرف الأردية ولم يكن يقدر على تلاوة القرآن الكريم، وأحيانا كان يقول لصديقنا وزير محمد، تعال معي لنجاهد الإنجليز. فقال له وزير محمد ما الداعي إلى الجهاد؟ هل هناك عائق أو عقبة في ممارسة

الإسلام أو نشر الدعوة، أم لا نقدر على نشر ديننا، بأي صعوبة نواجهها؟ بفضل الله ﷻ تتمتع في ظل هذه الحكومة الإنجليزية براحة أكثر ألف مرة من ملك الإسلام، فلو كان العصر يتطلب الجهاد وكان الله قد جعلك المهدي الصادق لهياً الوسائل للجهاد أيضاً. إنك مجنون ولذلك تحرضنا على الجهاد الذي هو ضد مشيئة الله ورسوله، فلم يبق ثمة جهاد، لأننا نعيش بأمن وسلام وارتياح. فانصرف من هناك ولا يُعرف عنه أين ذهب، هل ابتلعتة الأرض، أو أكله أسد أو ذئب، أو مات.

٧- كان رجل في "ريواري" يدعى سيد أصغر علي، وكان صديقي، وقد صار تفضيلاً رافضياً نتيجة صحبته للروافض. كان مصاباً من البداية بداء القطرب ومانيا، ثم أصيب بملنخوليا الدامي. فلما ذهبْتُ إلى ريواري قال لي: هذا العام سوف يظهر الإمام المهدي، وسوف يبعث هذا العام حصراً، وسوف يحج أيضاً. كان يستخرج من «كهيعص» أعداداً غريبة ويستنتج عام ظهور المهدي، وكان العام نفسه الذي أعلن فيه سيدنا المرزا الكائن بأنه المهدي والمسيح. قلت لا يمكن أن يأتي مسيح ومهدي لمدة مائة سنة على الأقل، ونشأت لدي هذه الفكرة حين أعلن حضرته عليه السلام بأنه مجدد، لأنه لن يأتي مجدد آخر قبل مضي مائة سنة، ولما كان حضرته هو مجدد القرن الرابع عشر فيستحيل أن يأتي المهدي والمسيح، إذ لم تبق حاجة إليه، ومن ثم تأجل الأمر إلى القرن الخامس عشر. ثم قلت له: إن سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني هو مجدد القرن الرابع عشر وإذا جاء المسيح المهدي فيمكن أن يأتي على رأس القرن الخامس عشر.

١ القطرب نوع من المايلخوليا، والمانيا هو الهوس الاكتيبي. (المترجم)

فقال: ليس المرزا مجددا بأي حال، بل سوف يأتي المهدي والمسيح في هذا العام أي الرابع من القرن الرابع عشر. فمن قدر الله أنه في السنة نفسها صدر إعلان سيدنا المرزا عليه السلام بأنه هو المسيح والمهدي. فكتبتُ إليه في رسالة وقلت له أثناء اللقاء شفها أيضا، إن حسابك كان صحيحا، إذ قد جاء المهدي وعيسى أيضا، وهو سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام. فبدأ يخاصمني ويحاريني. وقال: لقد رأيت إعلان المرزا، فهو مزور وكذاب، ويكتب المواضيع سرقة من الكتب السابقة. ثم ادعى شخصا أنه نائب المهدي وطلب مني أن أستعد للجهاد. الآن سوف يأتي الإمام المهدي وسوف نشاركه في الجهاد. فقلت له لم تبق حاجة للجهاد، لأن الذي بُعث مهديا ومسيحا قد أفتى بأن الجهاد من هذا القبيل حرام، وقد ورد في الحديث: "يضع الحرب" أي لن يكون الجهاد بالسيف والسنان. تدمر من ذلك أيضا وجاء إلى دلهي، فدخل الجامع بدلهي وقال للناس كونوا معنا وأعدوا أسلحتكم من السيوف والأسنة والمدافع وهيئوها واشتغلوا في الجهاد. فرفض الناس، ثم أعلن أنه هو المهدي، وقال أنا الإمام المهدي الموعود. وفي هذا الحال أيضا قابلني، ثم ازداد جنونا تدريجا. فقلت له: في السابق كنت تقول إن المهدي سيُبعث، ويبعث عيسى ثم ادعيت أنك نائب المهدي، والآن أصبحتَ بنفسك المهدي. وفي هذا الخصوص حصل بيننا شجار وخصام شديد، وذلك عند قبر السيد إبراهيم الباره هزاري رحمه الله في وسط مدينة ريواري. ثم جاءني في اليوم التالي وبدأ يعتذر ويلتمس العفو، وأعلن دعواه بأنه المهدي. ذات ليلة اشتد جنونه فخرج من البيت حاملا السيف، ورابطا القماش على خيْزُرانة قديمة منحورة جاعلا إياها لواءه، وأعلن قائلا إنني أنا

المهدي، وأن جبريل قد أحضر لي هذه العلامة والسيف من السماء. وقال لي إن الله قد أعطاك هذا السيف وهذه العلامة، فاخرج وجاهد بهما. فلما خرج إلى السوق ممسكا بيده السيف وبأخرى ذلك العلم، علمت بذلك الشرطة فاعتقلته وسُجن، وبعد أيام أرسل إلى سجن غواليار، وبقي أولاده وزوجته في ريواري، ثم عاد إلى ريواري بعد عدة سنين سرًا، لأن أحدا في عائلته كان قد مات، لكنه حين خرج من البيت عرفت بذلك الشرطة مرة أخرى، فأرسل من جديد إلى غواليار. فلما خف جنونه قليلا عاد إلى ريواري، فعفت عنه الحكومة. فقد رفع قضية على المسيح الموعود عليه السلام أيضا، فلمتابعتها قد جاء المولوي محمد علي وجناب مرزا خدا بخش (مؤلف كتاب "عسل مصفى") إلى قرية غرغانوان، فحكم في هذه القضية لصالح حضرته عليه السلام.

ذات يوم أعلن أن الآية القرآنية ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هي بحقه. فلما كان اسمه "أصغر علي"، وقد وردت في هذا الآية أيضا كلمة "أصغر" قال إنها تخصه. ذات يوم تشاجر مع قس - كان أوروبيا - فوكزه أصغر علي فلطمه القس، فهرب منه أصغر علي، ثم ظل في البيت لبضعة أيام خائفا. الآن قد رحل من هذا العالم بعد أن تحمل الجوع وواجه أنواع المصائب والشدائد. الآن قام أخوه مجنون آخر وخليفته، وهو إلى الآن ادّعى بأنه قطب فقط وليس أكثر منه. ذات يوم ذهب المولوي سلطان الدين أحمد مبین جمالي إلى ريواري، فذهب المدعي إلى بيت المولوي ووقف عند الباب. فقال أحدهم للمولوي: لقد جاء السيد الذي يدعي أنه قطب الوقت وغوث الزمان. فلم يتكلم المولوي أي شيء، عندها توجه هذا السيد إلى السوق والشوارع وأعلن

أن المولوي مجرد شيخ، وليس له إمام بالباطنية. وحين جاءه في اليوم التالي أيضا قدم له المولوي ثمانية قروش، فبدأ يمدح المولوي فوراً، وقال له: الآن قد عرفت شأني أيها المولوي. فقال له المولوي لا يا سيدي، الآن عرفت أنك شيء. فقال له السيد ما معنى "شيء"؟ إنني شيء كبير. فقال له المولوي: نعم كنت قد نسيْتُ أنك شيء كبير. فالآن يكيل هذا السيد المدائح للمولوي في الأسواق والشوارع ويقول إن هذا المولوي إنسان عظيم. فهذا هو حال الذين يدعون ادعاءات عريضة مثل قطب وغوث ومهدي.

٨- حال رشيد أحمد الكنكوهي: من جملة أدعياء المهدوية هؤلاء المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أيضا، فكان مريدوه يكتبون بحقه أنه مجدد الوقت، ولا سيما أن المولوي محمد حسين فقير بنتي الدهلوي كان يعتقد ذلك حصرا. فلم يمنعه المولوي رشيد قط عن وصفه له مجددا وأنه ليس مجددا. بمعنى آخر أنه كان راضيا بأن يوصف مجددا. لقد بلغ المولوي رشيد أحمد الكنكوهي أيضا حد الكفر، حيث حث الناس في الإعلان على سب المسيح الموعود عليه السلام وشتمه علنا، وسماه مسيلمة، والأسود العنسي، ومفتريا ودجالا، نعوذ بالله من ذلك. فهذا أول وبال حلّ به، والوبال الثاني أنه رضي بأن يوصف مجددا، فأدى هذا الوبال والنكال إلى موت زوجته وابنه وكنيته، فبقي وحيدا، ثم صار كفيف البصر، وانقطع درس الحديث الذي كان يلقيه. ومات عدد كبير من مريديه الكبار، وتلاشى أمره. والمولوي عبد القادر المحترم الذي كان مريده وخليفته، قد أصبح من مريدي حضرة المرزا الخليلي، فأصيب المولوي الكنكوهي بمنتهى الهم والحزن.

لقد حثّه المرزا الخليلي كثيرا على أن يباهله شفها أو خطيا فلم يوافق، وحل به وبال آخر وهو أنه صدر من لسانه مرارا وتكرارا: إن الإلهامات التي يتلقاها مرزا غلام أحمد القادياني الخليلي، يتلقى مريديّ أفضل منها. فقد أضحى بمعنى آخر مفتريا على الله أيضا.

كان سيدنا المسيح الموعود الخليلي قد نشر إعلانا، طلب فيه من المولوي رشيد أحمد الكنكوهي، وأحمد الله الأمرتسري، ورسل بابا وغيرهم أن يباهلوه، وإن لم يباهلوه فسوف يصيبهم حتما واحد من ١١ عذابا. وكان من بين تلك العذابات، أنه ستلدغه الحية ولن يسلم. وبالفعل لدغت الحية المولوي رشيد، مع أنه كان يدّعي علاج لدغ الحية وكان الناس يأتونه من مئات الأميال للحصول على الماء الذي كان يقرأ عليه الرقية. أما هذه فلم تكن حية بل كانت عذابا من الله ﷻ، بل كان أحد الملائكة الغلاظ الشداد، وقد عاش بضعة أيام بعد اللدغة، لكنه مات بسمّها. وقد أثبت الله ﷻ أن العذاب المترتب على معارضة المأمور والمبعوث من الله لن ينصرف. وقبل وفاته بشهرين أو ثلاثة كنت رأيت في الكشف أن المولوي رشيد استلقى على الأرض لابسا ثيابا سيئة في الطريق. فأطلعت سيدنا المسيح الموعود الخليلي على كسفي هذا. وكان يجلس معه حضرة الأمرهوي الفاضل أيضا، فقال حضرته الخليلي: لقد حل الموت بالمولوي رشيد. وهذا ما حدث، فالحمد لله على ذلك.

٩- كان من جملة المدّعين الكذبة للمهدوية، شخص من سهارنبور يدعى شيخ محمد يوسف، أسمى اللون قصير القامة، ومصاب بنوع من القطرب ومانيا. كان لديه إلمام باللغة العربية، وقد ادعى هو الآخر أنه المهدي، وكان يقيم في

مسجد عائلة الأرائين، وجاء مصادفة إلى قاديان أيضا، وذهبت للقاءه برفقة أبي الضعفاء سيد السادات مير ناصر نواب المحترم سلمه الله. ثم جاء برفقتنا إلى زيارة حضرته عليه السلام، وفي ذلك اليوم تكلم مدة قصيرة حول أمور لا علاقة لها بدعواه. وفي اليوم التالي جاء مرة أخرى وصلى المغرب في المسجد المبارك، وبعد الصلاة أعلن دعواه بأنه المهدي، وقدم حديثا تأييدا لدعواه. فلما طُلب منه نص الحديث مع الترجمة قال إنه ورد في المشكاة، وحين أحضر المشكاة، تصفح كثيرا وأخيرا قال يمكن أن تخرجه أنت. ولا أتذكر أن حضرة الفاضل الأمروهي سلمه الله أو خليفة المسيح عليه السلام أمسك المشكاة لإخراج الحديث، فنهاه حضرته عليه السلام قائلا لا يُهمنا أو إياكم أن نخرج الحديث، يجب أن يخرج المدعي بنفسه، لكي نتعرف إلى علمه ومعرفته بالحديث. ثم أغلق الكتاب وسلمه بيده، فارتحفت يده وبدأ يتلعثم. ثم قدم حضرته عليه السلام الأدلة والبراهين على دعواه وألقى الخطاب بقوة، فبعد الاستماع إلى الخطاب والأدلة، أسلم أحد السادات الذي كان قد تنصّر، وربما في فرحة اعتناق المسيحية كان قد تزوج مسيحية أيضا وأسلمت معه زوجته وبايعا حضرته عليه السلام، وربما كان من سكان منطقة جهلم، وأصيب بحالة من الوجد كما يصاب الصوفية إثر الاستماع إلى قصيدة في مدح النبي ﷺ، فأصيب بنشوة ولذة أنسته كل شيء. لكن ذلك المدعي الكاذب كذب الأدلة التي قدمها حضرته وخطابه أيضا، وصدر من لسانه بحق حضرته: "أنت تكذب، ودعواك باطلة". عندها ضربه ذلك السيد بالعصا على ظهره حتى تلوّى وبدأ يصرخ ألما، ثم أمسك به الناس وأنا جذبتة إلي، ثم قال بلسان متلعثم: يا سيدي أرجو إيصالي إلى مقر إقامتي. فأمر حضرته أن يوصله اثنان

ويحميانه. فقال: أنا لا أطمئن إلى أحد سوى الصاحبزاده سراج الحق الذي هو من وطني، وجناب مير ناصر نواب المحترم. فأرجو أن ترسلهما معي، فأنا أطمئن إليهما فقط، فأمرنا حضرته أن نوصله إلى مكان سكّنه، فرافقناه، فانطلق خائفا متوجسا من أن يلقّنه أحدُ درسا. فقلت له أنا وحضرة مير: لا تخف، نحن معك، ولن يصيبك أحد بسوء. إلا أنك وجهت كلمة سيئة جدا إلى حضرته. فاعترفَ بخطئه، وقال: سأغادر هذه الليلة. فأوصلناه إلى مكانه في المسجد. وعندما عدنا إلى حضرته قال عليه السلام ينبغي أن ترسلوا له الطعام، فأخذنا الطعام له، وعندما أردتُ أن أعود بعد إطعامه سألتُهُ إذا كان بحاجة إلى شيء فطلب نفقة، فأخبرتُ حضرته بذلك فأدخل يده في جيبه وأخرج جزدانه وسلّم لي أربع روبيات وطلب مني أن أقدمها له. فذهبتُ إليه بأربع روبيات، فقال: إن حضرة المرزا صاحب خصال حميدة، أرجو أن تسلّم عليه مني، واطلب منه العفو عني. ثم انطلق فورا من هناك حاملا صرة صغيرة وسخة وطقما من الملابس، فأصررت عليه كثيرا أن يلبث أطول وألا يحسب للمأكل حسابا، وأن الطعام سيصله من دار الضيافة بحسب طلبه وأني سأعدّ له النوع الذي يطلبه. لكنه لم يقبل وانطلق. أين ذهب وأين أقام؟ الله أعلم به، ولم يصلنا أي خبر منه.

١٠ - حال النواب صديق حسن خان: كان ممن ادّعوا المجددية المرحوم نواب صديق حسن خان أيضا، فهو لم ينشر دعواه علنا وصراحة، إلا أنه في كتبه كتب دعواه من هذا النوع وقراء كُتبه يعرفون ذلك. لكنه لم يجد القرن، وبدلا من المجددية قد خسر عزته وثروته ولقب النواب. وحضرة الفاضل الأمروهي - دام فيضه - كان مساعدَه ومعينَه. لقد أخذ النواب الكتب غير المشهورة

لآخرين وقام فيها بقطع وحذف، وتقديم وتأخير، ونشرها باسمه. فلما أُلّف سيدنا المسيح الموعود عليه السلام كتابه البراهين الأحمديّة أرسل نسخة إلى النواب أيضاً، فأعاد الكتاب ممّرقاً وقال: لا حاجة لنا إلى اقتناء مثل هذه الكتب، لأن الحكومة الإنجليزيّة تسخّط من مجرد اقتنائها. فكتب حضرته عليه السلام موضوعاً بحق هذا النواب وكان قد ضُم إلى ملحق البراهين الأحمديّة، وفيه جملة تدل في ظاهر الأمر على العلم، لكننا حين نتدبرها نجد أنها تبشر بتعرّض النواب للإهانة والدمار والأمراض المهلكة. وملخصه أننا نتمنى أن تبقى الحكومة عطوفة عليك، والكلمات الأصليّة لحضرته هي: قبل فترة كتبْتُ - لدعم كتاب "البراهين الأحمديّة"- إلى أحد النواب، وهو رجل تقيٍّ وورع جداً ومتصف بالفضائل العلميّة ومطلع جيداً على ما قال الله والرسول؛ فلو قال في الجواب بأن الكتاب لا يحتل مستوى رفيعاً حتى يُدعم لما تأسفت. فقال في الجواب بدايةً بأنه سوف يشتري ١٥ أو ٢٠ كتاباً حتماً. ثم ذكّرتُه مرة أخرى فجاء الجواب منه: "إن شراء الكتب المحتوية على مباحث دينية ودعمها ينافي سياسة الحكومة الإنجليزيّة، لذا يجب ألا تتوقع من الولاية شراء الكتاب. نحن لا نعتبر النواب محط أملنا قطعاً، بل إن محط أملنا هو الله تعالى وحده وهو يكفينّا. وأدعو الله تعالى أن ترضى الحكومة الإنجليزيّة عن النواب المحترم كثيراً." (البراهين الأحمديّة، الخزان الروحانيّة ج ١ ص ٣٢٠)

بعد ذلك عُزل النواب المحترم وتعرّض لأنواع المصائب، وأصيب بمرض لم يشف منه، وأدرك في آخر الأمر أن ذلك نتيجة الإساءة إلى حضرة مرزا غلام أحمد القادياني. فأرسل رجلين إلى حضرته طلباً للعفو عنه، فعفا عنه

حضرتُه عليه السلام ودعا له، وربما تلقى الإلهام أيضا الذي يفيد أن لقب النواب سيعاد إليه. فأجيب دعاء حضرته، فلما لم يكن خطؤه صغيرا لم يُعَد إليه اللقب في حياته، إذ قد وصله هذا الخبر واللقب والمنصب حين كان قد توفي. والفاضل الأمروهي يدرك هذه الحقيقة جيدا، ويعرف تفاصيل ذلك جيدا، فكان المولوي محمد حسين البطالوي وغيره من غير المقلدين قد آمنوا بأن النواب المحترم مجدد.

١١- ادعى رجل في أنباله وتهانيسر أيضا بأنه إمام ومجدد ونشر إلهامات كثيرة، لكنه هو الآخر خاب وخسر وهلك وفني، ولا أحد يعرف عنه شيئا.

١٢- كان هناك محاسب يدعى "إلهي بخش" اللاهوري قد تجاوز الحد في ادعائه وإلهامه، وألف كتابا باسم "عصا موسى"، ونشره ورحل من هذا العالم حيث خسر الدنيا والآخرة. وأخذ معه اللعنة الأبدية.

١٣- كان في أجمير ناسك متصوف قد ادعى أنه سيكون مجدد القرن الرابع عشر. ولم يكن يصلي. فلما سُئِل لماذا لا تصلي؟ ولماذا لا تؤدي الأحكام الشرعية؟ كان يقول لست مكلفا، إذ ما زلت غير ناضج، والصلاة لم تكتب على غير ناضج. وسنّ النضج في الشرع يكون ١٥ أو ١٦ عاما. أما سنّ النضج في الروحانية فيبلغه المرء في سن الأربعين، وأنا ما زلت ابن ٣٥ سنة، وعندما أبلغ من العمر ٤٠ سنة، سأتمسك بالأحكام الشرعية والروحانية. وكان يردد بيتا تالفا من كتاب "كرما":

لقد مضت من عمرك أربعون سنة ثمينة، ولم تتخلص بعد من الصبائية.^١

^١ ترجمة بيت فارسي للسعدي الشيرازي من كتابه "كرما سعدي". (المترجم)

فكان منتهى ادعائه وأدلته هو "كريما سعدي" فقط، وكان يجهل القرآن الكريم، وكُتِبَ الصوفية الكرام أيضا. وكانت ادعاءاته أن حضرة الخواجه معين الدين الجشتي، وحضرة السيد عبد القادر الجيلاني، وأبو يزيد البسطامي رحمة الله عليهم أجمعين كانوا في رأيه طلاب الابتدائية فقط، والعياذ بالله، والآن لا نعرف عنه إن كان قد مات وهلك أو ما مصيره.

١٤ - إضافة إلى أدعاء الإمامة والمجددية وغيرها كان هناك المولوي فضل الرحمن الغنج مراد آبادي، ولم يكن هو بنفسه يدعي بذلك بل كان مريدوه يزعمون - بحسب ما قيل: إن المرشدين لا يطيطرون لكن مريديهم يجعلونهم يطيطرون. ^١ أو كما قيل: إن المدعي متلکي والشاهد نشيط ^٢ - أن المولوي فضل الرحمن شاه هو حصرا مجدد القرن الرابع عشر. باختصار لم يدَّعِ المولوي، والحقيقة أنه لا يسع أي شخص النطق بمثل هذه الادعاءات المهولة ما لم يسمع من لسان مرشده إشارة أو كناية. وقد رحل هو الآخر من هذا العالم، ولم ينل نصيبا من القرن الرابع عشر.

١٥ - كان من جملة المدَّعين جراح دين من سكان جامون، ولا داعي لكتابة ذلك، فقد كتب عنه حضرته عليه السلام كثيرا، وكفانا كتابةً أن ذلك المردود مات دون أن يقرأ عليه أحدُ الفاتحة.

١٦ - أحوال مرزا إمام الدين: كان مرزا إمام الدين بيك من سكان قاديان، قد ادعى أنه مقتدى الكناسين لكنه كان ملحدا، فقد شاهدتُ جلستَه كلها

^١ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

^٢ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

وأفعاله من البداية إلى الموت، وكنت أقابله، إذ لم يكن يؤمن بالله دُع عنك رسوله. فحين نشر سيدنا المسيح الموعود عليه السلام دعواه بأنه مجدد، وبدأ يتوافد إليه الناس من أماكن بعيدة، خطر بباله أن يقيم هو الآخر جماعة. فكما اشتهر حضرته عليه السلام ظن أنه هو الآخر سيكسب الصيت، ويصبح مشهوراً أيضاً، وحسب أن هناك فوضى في النظام الإلهي. ثم أجال النظر في كل مكان، وفكر أن الهندوس والمسلمين والمسيحيين كلهم أهل علم وعقل، أما المنبوذون فهم أيضاً من الهندوس، أما الكناسون فلعله يتمكن من إغوائهم وينال إعجابهم، فلم يلبث أن نشر إعلاناً ادّعى فيه أنه متّبع لأحد كبارهم اسمه "لال غورو" ^١.

كان الكناسون المساكين سذجاً فقد تبعوه، وبدأوا يقدمون له النذور والهدايا. فعلمهم عشرة أحكام كانت لموسى وهي مذكورة في التوراة. ففي ذلك الوقت لم يكن ملحداً علناً، بل كان وجودياً. ورأيت ناسكا ضعيفا مسنا وجوديا متمزتا قصير القامة نحيفها، ناعم اللحية عديم العلم، قد صار جليسه وأصبح ملحداً تدريجاً، فقد ثبت ذلك من كتيباته الأخيرة.

ذات يوم سأل المولوي إمام علي الجهلمي - المفوض الإضافي - كناساً: كان يجب أن يكون مقتداكم من الكناسين. فقال: كلا، في السابق أيضاً كان "لال بيك" من المغول والآن أيضاً كان ينبغي أن يكون من المغول وهو إمام الدين بيك هذا، فهذا حق المغول حصراً. وحين بدأ يأتيه الكناسون الكثر وأراد أن يطلب منهم التخلي عن أكل الميتة، تخلى البعض عن ذلك لبضعة أيام، فلما لم

^١ لال بيك (أو لال غورو) هو المرشد والقديس الأسطوري لطبقة عمال النظافة في الهند خلال العصور المغولية والاستعمار البريطاني. (المترجم)

يقدرُوا العيش دونها بدأوا يأكلونها من جديد. ثم جعل إمام الدين مصطبة مستديرة، وسماها مسجد "لال بيكّين"، وحدد مواعدين للعبادة هما طلوع الشمس وغروبها. وقال ينبغي أن تقام الصلاة في هذين المواعدين حصراً. ثم نصّب راية وسط هذه المصطبة، وكان الإمام يقوم عندها ويقوم المقتدون حوله على المصطبة في حلقة، ويتوجّه الإمام -الذي سماه ناقوساً- تجاه الشرق قائلاً: "يا هو يا من هو"، ثم يردد المقتدون به هذه الجملة. ثم يولي وجهه قبل الشمال ويقول ما معناه: يتراءى معشوقنا في الجهات الأربع. ثم يتوجه قبل الغرب ويقول جملة بنجائية نسيئها، ثم يقول جملة متوجّها تجاه الجنوب. فهذه كانت صلاتهم وكان ينقّر من الإسلام كثيراً، ويتجول في عدة قرى ومدن، ويأتيه كثير من الكناسين. ذات يوم كنت في فيروزبور، وكان إمام الدين بيك هذا جالسا في اجتماع الكناسين، ثم انطلقت مركبته حيث كانت تقارع الطبول أمامها، ويأكل ما يطلب تحضيره لنفسه، وكان يستلم منهم النقود. فلما رأني سألي يا بير، هل أنت ذاهب إلى مرزا غلام أحمد في قاديان؟ قلت له الآن أتيت من هناك وسأذهب إلى هناك بعد شهر، وسأكتب أحواله في المستقبل.

إن مجرد ادعاء أحد باللسان بأنه مجدد أو إمام أو رسول أو نبي سهل، لكن إنجاز الأعمال اللائقة بمنصب الإمامة هذا، الذي من أجله قد بُعث، صعب جدا. إنما كان يجدر بأن يكون فعلا مبعوثا من الله وأمورا منه مَن أنجز وأثبت وأخبر العالم الراقِد بعلمه الموهوب من الله وبخطبه وكتبه وآياته وكراماته وبجِاله وقاله، وبسلوكه وأعماله وإيقاظه بهزة وبتمكين السفهاء من العقل، وبإظهار الآيات البينات على صدقه. فقد قال حضرته عليه السلام:

"إنهم راقدون تحت أغطية الغفلة، ولا يكادون يستفيقون مع أننا أيقظناهم
مئة مرة.

سلام الله ورحمته بغير حدّ وعدّ على المصطفى ﷺ، فقد حظينا بهذا النور
بسببه هو ﷺ، فإن لروحي صلة وثيقة ومستديمة بروح محمد ﷺ، لقد سقينا
القلب تلك الكأس مترعة

أقسم بوجهك يا حبيبي أحمد ﷺ أننا من أجلك قد حملنا كل هذا الحمل
لم نجد أفضل منه ﷺ في العالم، لا جرم أننا قطعنا علاقاتنا بالآخرين
لقد صرنا خير الأمم بفضلك يا خير الرسل، فقد تقدّمنا إلى الأمام نتيجة
تقدمك أنت

يسمونني كافرا وملحدا ودجالا، فكم من ألقاب نابزوني بها نتيجة
مواساتي الأمة"

من الذي قد أحرز الفتح في كل ميدان؟ وكان منصورا في كل مناسبة، ومظفرا
في كل مكان؟ إنما الذي كان اسمه الكريم حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه
الصلاة والسلام.

خامسة

"إن الذي نظر إلى عينيك الجميلتين فما الذي يسعه إلا أن ينتشي ويفقد
السيطرة على نفسه

فالذي وقع عليه نظرك مرة واحدة يظل يقول ويعلم "إني ما رأيت حبيبا
مثلك قط"

يا سيدي لك تجلّ شغلني عن العالمين كليهما، فأنا رجل كيف أقوم؟
فالشمس قد اختفت في الأرض

هل سيطلع يوم تطأ قدماك أرض بيتي يا عالي الهمم؟ عندها سأعلن
صارخا منتشيا إن لي رأسا واقعا على قدميك يا من لا أرى لك مثيلاً في
الحسن والجمال."

من أسمى علامات معرفة المأمورين والمرسلين في الحقيقة، أنهم يُبعثون ويحزّون
العالم بفضل الله، ويحزّون فتحهم ويجلبون لخصومهم الفشل، ويحزّون لأنفسهم
الوقار ولخصومهم الإدبار، ولأنفسهم الانتصار ولخصومهم الهزيمة. ففي الظاهر
يدّعي أهل علم الرمل والجفر أيضاً شيئاً من علم الغيب. لكن كيف يكونون
وما هي أعمالهم ومآلهم، فهم على عكس المأمورين والمرسلين يحزّون لأنفسهم
الإدبار ولغيرهم الوقار، ولأنفسهم الهزيمة ولغيرهم النصر، ولأنفسهم الإفلاس
والنكبة ولغيرهم العزة والكرامة. ويمدّون أيديهم من أجل الحصول على قروش
لأنفسهم، ويستندون إلى أعمال المنجمين. إنهم يبشّرون الآخرين بالعزة والمال
والثروة وغيرها، ويعانون أنفسهم الذلة والهوان والفقر، يتوجهون إلى أبواب
الآخرين، فأين هم من هؤلاء الأنبياء؟ فالذين يشبّهون النبوءات بتكهّنات
الرمّالين والمنجمين لجهلة جداً، وسفهاء وحمقى. فهم لا يفوزون بالعزة أبداً، بل
يقعون دوماً واقعين في هوة الخزي والهوان، فلا علاقة لهم بالله ﷻ. وهؤلاء
يصابون باضطراب إثر مواجهتهم ابتلاء بسيطاً ويزهقون. فأولا لا يكون لهم أي
إيمان، وحتى لو كانت لهم ذرة من الإيمان فيفقدونها أيضاً. فهم لا يتحلّون
بالتقوى ولا الطهارة والخشية، وإنما يتبعون أهواءهم وأمانيتهم. فهم يكذبون في

كل قول ويتعشرون عند كل خطوة. بينما المبعوثون من الله يتقدمون إلى الأمام في الابتلاء، فمهما واجهوا من المشاهد المخيفة المهولة، ومهما سقطت على رؤوسهم الجبال ومزقتهم وحطمتهم، فإنهم يفوزون ويفلحون ويثمرون في الحقيقة في نهاية المطاف. عندما يكونون جالسين في بيوتهم، يكونون ملوكا وتكون لهم علاقة بالله ويكلمهم الله ويناجونهم، ويكونون غافلين عن الدنيا وما فيها، وينزل عليهم غيثُ رحمة الله. وعندما يخرجون من البيوت يرافقهم نهرُ رحمة الله، فتكون في عيونهم بركةٌ وفي نظرهم كلُّ شيء، وفي أقدامهم بركة، وفي أيديهم بركة، وفي كل شيء لهم بركةٌ ورحمةٌ، وفي أصحابهم بركةٌ ورحمةٌ وطهارة، كما قيل: "ولهم أزواج مطهرة"، فهم أطهار شخصيا ويجعلون الآخرين أيضا أطهارا، وهم أنفسهم منورون وفي الوقت نفسه منورون أيضا. باختصار؛ كان إضافة إلى هؤلاء (الأدعياء) آخرون أيضا قد ادَّعوا المجددية، ورحلوا من هذا العالم خائبين وخاسرين، وثبت صدقُ كلام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وصوابه.

فلما عدتُ إلى سراسواه بعد زيارة حضرته والتشرف بصحبته، أخبرتُ عنه الآخرين، فصدَّقني البعض واستغرب الكثيرون وكذبوا. أما زوجتي فصَدَّقَت من صميم الفؤاد.

رؤيا

بعد أسبوع قالت لي زوجتي: هذه الليلة رأيت في الرؤيا أن ولياً قويا الجسم، معتدل القامة، قمحي اللون، شعره أبيض يتدلى إلى حدٍ منكبيه، وقد خضب رأسه ولحيته بالحناء، يقف في بيت، وتحدث مجررة عالمية من قتل وسفك دم، واستخدام سيوف ورماح في الجهات الأربع، إذ تخلو الأرض من أي مكان آمن،

فطوفانٌ هناك، وحرائق تغزو بعض الأمكنة، والناس يصرخون ويهيم الصغار والكبار والأولاد والنساء فزعا واضطرابا، وأنا الأخرى أقف مضطربة وأقول في نفسي: يا إلهي أين أذهب، ولا مأمّن هناك. ثم وقع نظري على الطابق العلوي لذلك البيت ورآني ذلك الوليُّ وقال لي: تعالي إلي يا ابنتي. اصعدي إلى هنا، فصعدتُ إليه ظنًّا مني أن أي مكان آمنٍ مغنمٌ، فقال لي: أحسنتِ حين صعدتِ إلى هنا، فليس هناك مكان للسلام سواي. كوني أنتِ معي أيضًا، سمعتُ هذا الكلام من لسان ذلك الولي، وشكرتُ الله ﷻ ثم استيقظتُ. فأخبرني مَنْ هذا الولي؟ وما هذا الذي رأيته. فقلت لها إن هذه الحلية، وهذه الملامح واللباس والهيئة التي وصفتها هي لسيدنا مرزا غلام أحمد القادياني المحترم. وهذا نفس البيت الذي رأيته هناك، فقالت لعله هو. وقد يحدث الغدر^١ في العالم من جديد ويتلاشى السلام، ويحدث الهلع والفرع ولا يتيسر الأمن إلا في قاديان. تعال نذهب إلى قاديان. فقلت أنت امرأة، وهكذا تفكر النساء فأين الغدر الآن؟ وكيف ينعدم الأمن؟ يبدو أن عدم الأمن هذا بسبب انعدام الروحانية والعذاب الإلهي. لأنني حين ذهبت هذه المرة إلى قاديان المكرمة، جاء حضرته بالمصادفة شخصٌ من الهند، وربما كان من محافظة غورداسبور، وقال لحضرته إن شخصا قد اعترض على دعواك بأنك مجدد، ثم استخار فرأى في الرؤيا آيةً— قد نسيئها— لكن مدلولها أن من لا يؤمن بك سيُلقي به في جهنم خالدا فيها. وما يترشح من هذا أن الناس سينكرون ويصرون على الإنكار

^١ الغدر رمز للفوضى التي كانت في أيام آخر ملوك المغول بهادر شاه ظفر، حيث أطيح بعرشه، وتم جلاؤه إلى بورما، وقُتل أخيرا في عام ١٨٥٧م. (المترجم)

ويتمادون فيه، ومن ثم ستنزل أنواع العذابات. ثم بعد سنين حين ذهبت زوجتي إلى قاديان معي، ونظرت إلى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عرفته فوراً، فالولي الذي كانت رآته في الرؤيا هو نفسه تماماً. وقالت لي: والله إن الولي الذي رأيته في الرؤيا هو حضرته عليه السلام نفسه تماماً، والبيت هو نفسه. ثم قصت رؤياها على حضرته عليه السلام. فقال: رؤياك صادقة. ثم بايعت زوجتي بصدق القلب، وبعد مدة طويلة تحققت هذه الرؤيا بحيث كذب أهل الدنيا حضرته ونزل العذاب في الدنيا في صورة الزلازل أحياناً، وأحياناً في صورة الطاعون، وأحياناً في صورة الكوارث، وأحياناً في أشكال أخرى. باختصار نزل على الدنيا العذاب الروحاني والمادي، وساد الفرع والاضطراب، ولم يبق أمن وسلام إلا في قاديان، كما كانت زوجتي رأت في الرؤيا، وتحقق أن قاديان وحدها دار الأمان.

رؤيا ثانية

ومثل ذلك رأى ابنُ أخي "حضره أحمد" رؤيا مماثلة ذات يوم، فقد قال لي صباحاً بعد أن استيقظ: يا خالي، أرجو أن تنقض بيعتك لمرزا، وما زال الوقت لم يفتك. فسألته لماذا؟ فقال لقد رأيت البارحة رؤيا خطيرة مفرعة بحق المرزا. فلما كان شاباً فقد عدَّ الرؤيا المبشرة منذرةً. وعلمَ الرؤيا علم عجيب، وهو من علوم الله وأسراره المقدسة، ولا يفهمه إلا الذين يعلمهم الله تعالى ويخبرهم بنفسه. فطلبت منه أن يقص علي رؤياه، فقال: كان هناك بيت واسع كبير يجلس فيه مرزا المحترم وأمامه عصا، وقد وضع في الجهات الأربعة أوثاناً من حجر، وكلها متجهة إلى مرزا وهو يراها، والأصنام كلها ضامة يديها أمامه، وكلها ناقصة؛ إذ ليست لبعضها يد وليست لبعضها يدان وليس

لبعضها رجل وليس لبعضها رجلان وليس لبعضها عين وليس لبعضها عينا
وليس لبعضها أذن وليس لبعضها أذنان، باختصار بعضها مبتورة الأيدي
وبعضها عرجاء وبعضها عوراء وبعضها عمياء. ويا خالي كنت أنت بينهم
وتجلس أمام المرزا. وأنت والحضور كلهم والأصنام تجلسون أمام المرزا ضامّين
أيديكم متوسلين. فالذي له ساعد واحدة فهو يمدّها وحدها، أي يتوسل
بها، ومن لم يكن له يدان وساعدان فهو يمد كتفه، وكأنه هو الآخر يتوسل
بأسلوبه، وهناك صنم بل أكبر صنم هو الآخر يضم يديه، وله جسد فقط
وليس أيّ من أعضائه سليما. فعند سماع هذه الرؤيا سجدتُ لله شاكرًا ثم
قلت له يا أخي هذه الرؤيا تظهر قدرة الله بأسلوب عجيب، وهي تصدّق
دعوى حضرته عليه السلام وكأنه سيد ومقتدر ومقتدى، وجميع سكان العالم، أي
أهل العلم والأميون، يضمون أيديهم بتواضع أمام حضرته ويُقرّون بعجزهم.
وأكبر صنم هو أول مكفّر وأول مكذّب وأول مؤذ لحضرته المولوي محمد
حسين البطالوي. فبهذه الرؤيا وهبني الله النصيح والعبرة، لكن صاحب الرؤيا
لم يؤمن بحضرته عليه السلام، ثم مات ذلك الشقي مكذبا موت الذلة.

عندما كتب حضرته الكتب العربية بتأييد من الله تعالى لم يقدر أحد على
منافستها وعجز عنها أهل العلم، بينما عجز العامة نتيجة حلول الطاعون
وحدوث الزلازل والكوارث في العالم، وكان محمد حسين البطالوي هو الصنم
الأكبر، وهو يهوذا الإسخريوطي، فقد عجز وهانَ بحيث لم يقدر على مباراة
حضرته في تأليف الكتب العربية، ثم في المؤتمر العظيم للأديان لم يستطيع أن
يقدم شيئا، ثم واجه الذلة والهوان على أيدي أولاده وغيرهم.

فلا أحد يسأله يا أخي من أنت، فهل أنت ثلاثة أو نصفها أو نصفه^١.
 اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ
 تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

معجزة

كانت أولى زياراتي لحضرته عليه السلام في عام ١٨٨٢م الموافق ١٢٩٨هـ فقال لي
 ذات يوم بعد صلاة العصر: تعال نخرج في نزهة، وقبلها بقليل كان المطر توقف،
 والشمس مرتفعة قليلا، فانطلقنا إلى قرية "بوتر" أنا وحضرته واثنان أو ثلاثة من
 الأصحاب لا أتذكر أسماءهم، وكان الطريق مليئا بالماء والوحل بما يجعل السير
 متعذراً، لكن حضرته كان يمشي بكل سهولة ودون تكلف، أما نحن فكنا نخطو
 الخطوات بكل حذر، ومشينا إلى ميلين تقريبا، ثم قال لي: فضيلة الصاحبزاده،
 قد أوشك وقت صلاة المغرب، فلنعد. فقلت: كما تريد حضرتك، فوالذي
 نفسي ونفوس الخلق كله بيده، ولعينٌ ومسودّ الوجه من يفترى كذبا، فقد عدنا
 إلى قاديان وكانت الشمس ما زالت مرتفعة قليلا، ولم نكن نتوقع ذلك مطلقا،
 وأنا بعد العودة سنتمكن من اللحاق بصلاة المغرب. وكان المشهد رائعا وعجيبا،
 فكانت معجزة رأيته بأمر عيني. توقعنا وصول بيوتنا عشاءً، لكننا حين رجعنا
 إلى البيت كان لنا متسع من الوقت للوضوء ثم صلينا المغرب. فالرجل المادي
 والذي لا يؤمن بقدرات الله العجيبة والغريبة فليقل ما يريد، لكن الله القادر
 المقتدر الذي يفعل ما يريد قد أظهر قدرته، فلا أعرف هل توقفت الشمس عن
 السير، أم طويت الأرض، أو حصل أمر آخر إذ قطعنا مسافة طويلة خلال

^١ ترجمة بيت أردي. (المترجم)

دقائق، دون أن نشعر. ففي قُوى ذلك القادر القدير وقدراته تكمن أسرارٌ عجيبة، يتعذر بيانها خطياً أو شفها. إنما يُعرف المرسلون من خلال قوته وقدرته ﷺ من هذا القبيل. ففي صحبتي الممتدة على ٢٥ سنة لم أؤمن، ولم أعرف، ولم أر الإله التقليدي، بل قد آمنّا بالإله الحقيقي والتحقيقي، ورأيناه وتبين لنا أنه موجود ولا شك في ذلك، وهو فعال لما يريد. فقد فعل ما أراد وسوف يفعل ما سيريد، فأشقياء ومحرومون وتعساء الحظ أولئك الذين تجلى الله أمامهم، وبعث رسوله ولم يؤمنوا به. لقد ظهرت ملايين الآيات الإلهية في أرض قاديان وأزقة قاديان وفلاة قاديان، وفي الغابة والبنجاب والهند وكابول وأمريكا وبلاد العرب وأوروبا، ولكن لم يرها أصحاب العيون العمياء والأجسام الميتة، ولم يؤمنوا بها ولم تشعر بها النفوس الميتة.

يهودا الإسخريوطي

ذات يوم تلقى سيدنا المسيح الموعود ﷺ الإلهام: "يهودا الإسخريوطي"، وتحقق هذا الإلهام حيث رأيت في كشمي النبي ﷺ، ورأيت المولوي محمد حسين في ذلك الكشف جالسا مولياً ظهره للنبي ﷺ، فإن ما تبين من هذا الإلهام أن يهودا الإسخريوطي هو المولوي محمد حسين البطالوي. صحيح أن البعض طبق هذا الإلهام على الآري ملاوامل من سكان قاديان، وكان قد اشتكاهم عند المسيح الموعود ﷺ وذلك لأنه كان يكنّ لحضرته احتراماً كبيراً في ذلك الزمن. وقال: أتمنى ألا يكون ذلك الإلهام عني، وألا يتحقق في شخصي، وأتمنى أن أموت قبل أن يصيبني زمن حظي التعيس. لكنه بحسب فهمي صحيح أن ملاوامل قد انضم إلى صفوف المعارضين، إلا أن هذه المعارضة لا تجعله يهودا

الإسخريوطي ما دام لا يصبح مثيله تماما. أما المولوي محمد حسين البطالوي فقد أرى هذه المماثلة عمليا، وأثبت عمليا أنه هو في الحقيقة يهوذا الإسخريوطي، حيث كان في أول الأمر راسخ الاعتقاد بحضرة عليه السلام حتى كان يحمل حذاء حضرته، ويعينه بالوضوء، ثم كتب في مجلته "إشاعة السنة" تقريرا كبيرا لحضرته، وظل يصدّق دعاويه وإلهاماته. لكنه حين صار من المعارضين قلّد يهوذا الإسخريوطي في جميع تصرفاته، وأكمل المعارضة خطيا وشفهيا، فهو من بدأ فتوى الكفر، وهو الذي قد سُمي بأبي لُهب وفرعون في إلهامات المسيح الموعود عليه السلام، وهو الذي وشى بحضرته عند الحكومة البريطانية، ولم يدّخر جهدا في بذل المساعي لاعتقال حضرته. فقد مثل أمام القاضي في المحكمة بصفته شاهد المدعي في قضية رفعها ضد حضرته المسيحيون بأن حضرته حاول الاغتيال. فكما كان يهوذا الإسخريوطي فعل ذلك تجاه المسيح الناصري عليه السلام قد أثبت للعالم هذا المولوي بفعله وقوله أنه يهوذا الإسخريوطي. ثم على شاكلة الإسخريوطي واجه الذلة والخذلان والهوان على أيدي الناس، وأولاده، وزوجته، وأصهاره، وسكان حارته ومدينته، وأخيرا سلب منه العقل والعلم كله وصار محل غضب الله تعالى. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له. وتصديقا لكشفي وكون البطالوي يهوذا الإسخريوطي قد رأيتُ المسيح الموعود عليه السلام في صورة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، ورأيت هذا المولوي يعطي ظهره لحضرته عليه السلام.

وهناك كشف منشور للمرحوم المولوي عبد الله الغزنوي الأمرتسري أيضا، وملخصه أن المولوي عبد الله المرحوم رأى قميص المولوي محمد حسين قد قُدّ كله، وكان يتمنى مرارا أن يقول أحدُهم للمولوي محمد حسين البطالوي أن

يتوب، فقد أرداه استكباره وتمزق قميص علمه. فهل هذه الآية صغيرة لأولي الأبصار والألباب؟ كلا بل هي في الحقيقة آية كبيرة جدا، وهي ما زالت موجودة. فالذين كانوا يقولون إن المرزا لم يُظهر آية، ولم تتحقق له أي نبوءة، فليتدبروا هذه النبوءة والآية. فمما أُلهم إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام: "إني مهين من أراد إهانتك"، فقد تحقق هذا الإلهام وهذه النبوءة والآية بالضبط. وكل هذه الأحداث والإلهامات تصدّق ما رأيت في الكشف أي أن حضرته عليه السلام مثل المصطفى صلى الله عليه وآله وأن المولوي محمد حسين البطالوي مثل يهوذا الإسخريوطي، والعلم عند الله.

رأي حضرته عليه السلام في غير المقلدين

ذات يوم قلت لحضرته: يا سيدي، ماذا تقول بحق هذه الفرقة الوهابية الخبيثة غير المقلدة؟ وكنت يومذاك حنفيا متعصبا. فسمع وابتسم ولزم الصمت، ولم يقل شيئا. كررت السؤال في اليوم التالي، فقال: هذه الفرقة أيضا من الله وليست سيئة. فحين أصر الناس على التقليد والحنفية كثيرا بحيث خلعوا على الأئمة الأربعة منصب النبوة، قد خلق الله لحكمته هذه الفرقة، لكي يبقى المقلدون على الصراط القويم والاعتدال. وإنما السيئة فيهم أن كل واحد منهم يعدّ نفسه مجتهدا وإماما، ويسيء إلى الأئمة الأربعة. فقلت: ما رأيكم في مؤسس هذه الفرقة ومقتداهم المولوي نذير حسين؟ فقال: إننا نحسن الظن بنذير حسين، فهو الآخر ولي الله. عندها قلت له: يا سيدي، قد كتبتُ الكثير ضده. فقال يجب أن تستصدر منه العفو، فهذا الرجل ليس سيئا على عكس ما يظن البعض. فلما ودّعت حضرته وذهبت

من عنده إلى بيت المولوي نذير حسين وناديته، أرسل من الداخل شاباً ليعرف من الطارق، فقلت أنا مسافر أرجو أن تخرج إلي فلي طلب. فخرج إلي وسلم وسأل ما الخطب؟ فقلت أرجو أن تطلب مقعدا لكي أقول لك على اطمئنان وهدوء، فجيء بمقعد وجلسنا كالنا. ثم سألتني أين تسكن؟ فقلت: إنني أسكن في سرساوه في محافظة سهارنبور وإني الآن قادم من قاديان، فسألني هل قابلتَ حضرة مرزا غلام أحمد المحترم أيضاً؟ فقلت من عنده أنا آتٍ، فقال أحسنتَ حين ذهبتَ إليه وقابلته. ثم قال: كان "دهوم شاه" من سرساوه من المقدسين الذين خلوا، وكان اسمه مخدوم أحمد المحترم، وكان مرشد المولوي فضل حق الخير آبادي. فقلت أنا حفيده، ثم سألتني عن اسم والدي. فقلت: شاه حبيب الرحمن المحترم. فصافحني المولوي المحترم مرة أخرى، وقال لقد قابلتُ شاه حبيب الرحمن المحترم. أنت صاحبزاده، فكيف شرفتنِي هنا. فقصصت عليه جميع أحوال قاديان وقلت إنني الآن أتيت استجابة لطلب حضرة مرزا غلام أحمد المحترم، وإنني أعتذر إليك على الإساءة التي صدرت مني إليك، والكلمات غير اللائقة. فقال: قد عفوْتُ الله، الآن حين تذهب إلى قاديان أرجو أن تلقي سلامي المسنون على حضرة المرزا. ثم انصرفْتُ من عنده.

إزالة شبهة

لا يساورنَّ أحدًا الشكُّ أن المولوي المحترم الذي كان ولي الله ووصفه المبعوث والمرسل من الله أيضا بأنه ولي الله، وكان يحسن الظن بحضرته؛ فما هي المعارضة إذاً؟ وكيف وُصف بأنه هامان؟ ولماذا رحل من هذا العالم دون تصديق المسيح

الموعود عليه السلام؟ فالأصل أن في زمن موسى عليه السلام - الذي كان من أولي العزم من الرسل ونبيا مشرعا - كان ولي الله بلعام بن باعور، وورد أنه كان له ٧٠ ألفا من المريدن من الأبدال. لكنه حين عارض نبي الله موسى وكذّبه، أصبح من الكافرين، وسماه الله كلبا. وهذا ما حدث هنا، فقد عارض بلعام نبي الله نتيجة إغواء زوجته وإغراء الملك، ومثل ذلك أصبح المولوي نذير حسين من الخاسرين نتيجة إغواء المولوي محمد حسين البطالوي، وهذا أيضا يؤكد أن المولوي محمد حسين البطالوي هو حتما يهوذا الإسخريوطي.

في قاديان قد سألتُ كثيرًا من العجائز الهندوس والمسلمين عن أحوال حضرته في الطفولة والكهولة، ولم يحدثني أحدهم سوى بالخير والمدح. ولم يتكلم أحدهم عن ما يصمه بهار. فقد مكثتُ عنده أسبوعا وبعده انطلقت من هناك بأخذ الإذن بصعوبة.

الآن أعود إلى لب القضية وأقول: لقد عشت بصحبة حضرته قرابة شهرين أو ثلاثة، ثم ودعته وذهبتُ إلى هانسي، ومن هناك وصلتُ إلى كوت بوتلي في منطقة جيبور. وبعدها بشهر تقريبا أرسل حضرته لي كتابه إزالة الأوهام. ثم انتقلت إلى بلدة "براك بوره" الواقعة على مسافة ٢٠ ميلا تقريبا من كوت بوتلي، وهناك استقبلني السكان بحفاوة وأكرموني وألقيت هناك كثيرا من الوعظ الذي كان يحضره كثير من الهندوس والمسلمين كليهما، وأعدّ جميع سكان البلدة قائمة تضم ألفي متبرع ليجمعوا مبلغا ويسلموه لي، فلما أعددت القائمة واصلتني من حضرته من دلهي بطاقة بريدية قد كتبها حضرته عليه السلام بيده المباركة وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمده ونصلي

السيد المكرم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إنني في دهلي وهناك اقترح للحوار، إذا استطعتَ الحضور هنا فشرّف، وينبغي أن تصل إلى هنا قبل ١٧/١٠/١٨٩١.

والسلام

العبد المتواضع

غلام أحمد من دهلي، سوق بليماران، فيلا نواب لوهارو.

وقائع مناظرة دهلي

وصلت هذه الصحيفة العظمى إلى كوت بوتلي، ومن هناك أوصلها إلي - في براك بوره - شخصٌ في اليوم التالي، وكان الوقت عصرا. فانطلقتُ فوراً إلى كوت بوتلي. وأصرّ الناس كثيراً على أن أبقى وطمّعوني في الدراهم أيضاً. لكنني لم أسمع لأحدهم وانطلقت إلى كوت بوتلي، وبعد الاستراحة لساعة انطلقت من هناك مساءً إلى محطة "أجيره كابر" للقطار. فلما كان الجمل ركوبا جيداً عندي، فلم أشعر بأي تعب في الطريق، ومن "أجيره" اشتريت تذكرة السفر إلى دهلي، وعند النزول في محطة دهلي استأجرت عربة ووصلت إلى سوق بليماران، ووجدت هناك ازدحاماً لأناس يثيرون ضجة في المعارضة. فسألت عن عنوان سكن حضرته ولم يخبرني أحد، وتوجه الجميع إلي وأتوا عندي. فلما كنت ألبس لباساً صوفياً بعباءة ورداء بلون برتقالي، لذا استغرب الناس أكثر، وقالوا لي: إن المرزا كافر، والعياذ بالله. وأنت تتوجه إليه رغم كونك صالحاً وولياً! فقلت لهم كفاكم دليلاً على صدق المرزا أن رجلاً صالحاً مثلي يؤمن به. وكان من بينهم

بعض مرديّ أيضاً فركضوا إلي وصافحوني، وقالوا: إنك ذاهب إلى المرزا المحترم والناس يُفتون بكفره ويريدون قتله! فقلت لهم: أنا أيضاً أتيت لأُقتل ولأُكفر. تذكروا أن الذي لا تصدر ضده فتوى الكفر إجماعاً لا يكون مؤمناً، فلا تتكلموا في هذا الشأن، ورافقوني، وأخبروني عن سكن حضرة المرزا. فانطلق معي اثنان منهم هما نصير الدين ومحمد عاشق، فأوصلاني إلى سكن حضرة المرزا، أي فيلا نواب لوهارو. وهناك كان منشي ظفر أحمد، ومحمد خان الكبورتهلوي فقالا لي: نأتي إليك، ثم نزلا وأخذاني إلى الطابق العلوي وإذا الحكيم فضل دين البهيري والمولوي عبد الكريم رضي الله عنهما جالسان. وكانت زيارتي الأولى للحكيم، ثم أخبرَ حضرته عليه السلام بمجيئي فناداني إلى الطابق العلوي، وكان هناك أيضاً بعض الناس ومنهم جناب سيد أمير علي شاه السيالكوتي، وغلام قادر فصيح السيالكوتي، وكان هناك اقتراح لنشر إعلان، فلما رأياني قاما وصافحاني، ثم قالوا: أحسنتَ حين أتيت إلى هنا. فلنا مناظرة مع سيد نذير حسين، وكنتَ كتبت المناظرة مع المولوي محمد حسين في لدهيانه. والآن ستكتب هذه المناظرة أيضاً. أثناء ذلك ازدحم الناس في الأسفل في السوق، وبدأوا يتكلمون بلغات عجيبة كالحيوانات، وكان المستون ذوو اللحى البيضاء واضعين الطرايش على رؤوسهم ويقومون بهراء ويصفقون، ويسبّون حضرته عليه السلام. فقال حضرته إثر سماعها: قد حُتمت البذاءة والسفالة على أهل دلهي، فهم أصحاب اللحى البيضاء، ويسبون مصفقين ولا يملكون أي حياء، فلباسهم أسوأ من الرجال السوقيين ويخالف التحضر. أما هذا الصاحبزاده سراج الحق فما أكرم لباسه. وبعد صلاة العصر الذي هو وقت التوجه إلى الله، تراهم - رغم كبر سنهم

وبياض لحاهم - يلعبون بالحمام، بذيعون لا ينفكون يطلقون الشتائم بكل قول، وجلّ أقوالهم تعادي الإنسانية. ثم ظل يحدثني طويلا، ويسألني عن أحوال السفر، فذكرت له مناظرتي في كوت بوتلي، فقال أنا أعرفها جيدا فقد وصلت رسالتك وأرسلتُ إليك أيضا رسالة، فقلت نعم قد وصلت منك عدة رسائل كريمة إكراما لي، وكلها محفوظة عندي.

باختصار قد أثار أهل دلهي فتنة وشغبا أثاره إبليس ضد آدم عليه السلام، وقوم نوح عليه السلام ضده، وقوم إبراهيم عليه السلام ضده، وفرعون وآله ضد موسى عليه السلام، وبنو إسرائيل ضد المسيح الناصري عليه السلام، وغير ذلك، ولا أستطيع أن أسجل هنا كل التفاصيل، وأذكر بإيجاز.

دلهي هي دمشق

الجدير بالملاحظة أن ما جاء في الحديث الدمشقي الوارد في صحيح مسلم والمشكاة، والمشهور بحديث النواس بن سمعان، حيث ورد أن المسيح الموعود سينزل عند المنارة شرقي دمشق، فقد يكون له معانٍ أخرى لكن المعنى الذي فهمنيه الله تعالى هو أن المراد من دمشق دلهي، أما المنارة فهي المسجد الجامع بدلهي، لأن المسجد الجامع في هذه الأيام يقع شرقي دلهي. فلما كانت دمشق عاصمة قريش وكانت دلهي عاصمة عائلة المغول، ثم صارت عاصمة النصارى، وقد ورد أن المسيح الموعود أيضا سينزل عند غلبة النصارى وفتن الدجال أي القساوسة. فمهمة المسيح الموعود عليه السلام المذكورة في الكتب تحققت هنا معظمها، أما المراد من أن ٧٠ ألفا (المراد الكثرة) من اليهود سيتبعون الدجال، فقد حقق يهود دلهي هذا النبأ. حيث توحد جميع المسلمين يهوديي السيرة بمن

فيهم مقلدون وغيرهم والشيعة والوهايون والقسس. وورد الخبر عن اندلاع الحرب أيضا في دمشق، وهي الأخرى اندلعت هنا، أي حدثت مناظرة مع المولوي بشير السهسواني البهوبالي، وصحيح أن المولوي نذير حسين كان إمام غير المقلدين، إلا أن المقلدين والشيعة أيضا جعلوا المولوي نذير حسين أميرهم ومقتداهم، حتى توحدت قلوبهم وأجسامهم وأفكارهم، ولم يعد يلاحظ أي تمييز بينهم. وإن ما ورد أن في زمن المسيح الموعود ستكون فرقة واحدة، وأن الجميع سيكونون متحدي الفكرة، فهذا أيضا يشير إلى أن جميع الفرق توحدت وتضامنت فكريا، وتخلَّوا عن قضاياهم ونزاعاتهم وحروبهم ومناظراتهم وصاروا كقلب لقلابين.

بدأت الإعلانات والنشرات المتتالية تصدر من قبل المعارضين كحشرات الأرض التي تخرج من الأرض في موسم الأمطار، وعقدوا كلهم عزيمتهم على الكذب، ولم يدخروا جهداً في المعارضة، ورفضوا طباعة إعلانات حضرته عليه السلام. ومع أن الهندوس لم تكن لهم علاقة بالقضية، لكنهم أيضا حالفوا اليهود والنصارى. وإذا كان حضرته يحتاج إلى كتاب للتأكد من أي مرجع فلم يكونوا يعبرونه. فنظرا إلى ذلك أراد حضرته أن يشتري الكتب فرفض الباعة بيعها لحضرته، مع أننا كنا مستعدين لدفع خمسة أضعاف السعر. فحين عُقدت المناظرة مع المولوي بشير في اليوم التالي احتاج حضرته إلى الكتب حاجة قصوى، فلم يجد. طلبني حضرته إلى مقره وقال لي: يا صاحبزاده، في دلهي مريدو والدك، ومريدو أخيك، ومريدوك أنت أيضا، لذا أطلب الكتب من خلال أحدهم. فقلت: أنا مع حضرتك، والحصول على الكتب متعذر. كان ذلك وقت العصر وقال لي حضرته: اذهب

باسم الله ولن تتعرض لأكثر من أن يسبّك الناس ويضربوك، فاعلم أن التعرض للضرب وتلقّي الشتائم في أمور الدين سنّة الأنبياء والأولياء. وحتى إذا قتلوك فستنال الشهادة، فالموت محتمّ يوماً. فكم يوماً يمكن أن يعيش المرء.

ثم قال: ألا ترى أحوال الصحابة عليهم السلام، إذ لم يحبوا الحياة والمال والثروة، ولم يفضلوا الأعرز والأقارب، ولم ينظروا إلى البيت، وإنما آثروا الله تعالى على كل شيء، ولم يفضلوا أولادهم وحالفوا نبيهم ومقتداهم محمداً المصطفى صلى الله عليه وآله، وأدّوا حق الطاعة والبر، أما في العصر الراهن فلا خطر في ظل الحكومة البريطانية، حيث سيطرتها وهيبته نافذة. لذا يجب إثثار الدين على الدنيا، وهذه الدنيا فانية.

ما أجمل كلام السيد أكمل جزاه الله خيراً، فقد قال:

في الماضي كان المؤمنون يضحّون بحياتهم، أما الآن فلا نواجه أي ابتلاء في دين الحق.^١

فالحياة الخالدة والأبدية هي الحياة الحقيقية ويجب الاهتمام بها، فهذه الحياة الدنيا مثل منام، أما الحياة الأخرى فهي الحقيقية والواقعية والأبدية، ومثل تلك الحياة كمثل اليقظة، فمثل الرحيل من هذا العالم كاستيقاظ الإنسان من النوم. انظروا إن الإنسان حين ينام يرى في الرؤيا حبيبه أو المال والثروة. فلا قيمة لهذه الرؤيا وإنما الحقيقة أن يعانق حبيبه ويجد المال والثروة أمامه حتى بعد اليقظة. فمثل الإنسان في هذه الحياة الدنيا كمثل الرؤيا، وذلك العالم هو عالم اليقظة. حيث شاهد في الحقيقة بأمر عينه ما كان قد أخبر عنه في الرؤيا وآمن به في الغيب. وبين هاتين الحياتين مكان وسط كما يكون الفاصل بين شيئين، كما

^١ ترجمة بيت أردي. (المترجم)

يُعدُّ القرد برزخاً بين الإنسان والحيوان، حيث يتمتع ببعض الصفات الإنسانية وبعضها الحيوانية. وهذا يتحقق بصحبة المرسلين وبيعتهم، حيث بعد ذلك يرى الإنسان ذلك العالم في هذا العالم، وتُكشف عليه أحوال ذلك العالم.

ثم قال: هناك حالة إيمانية وأخرى عرفانية. والفائدة التي تترتب على بيعة رجال الله والمقبولين عنده أن المبايع ينتقل من الحالة الإيمانية إلى الحالة العرفانية. ثم رفع يديه ودعا لي وقال اذهب. فطلبت منه أن يرسل معي أحداً، فأرسل حضرته معي أخي المنشي ظفر أحمد الكبورتهلوي. وبينما نحن كذلك إذ حان وقت صلاة المغرب فصلينا مع حضرته جماعة، وبعد الصلاة انطلقتُ برفقة المنشي المحترم. وفي الطريق تشاورنا إلى أين نتوجه، ومن نطلب الكتب؟ فقال المنشي المحترم: لننتقل إلى ابن صديقي المولوي محمد حسين نصري فسوف يعيرنا الكتب حتماً.

النعماني: سيادة المنشي، إن أوضاع المشايخ في العصر الراهن غريبة، إلا ما شاء الله، فمثلهم كأفعى تراه النواظر أملساً ناعماً، وهم ألد أعدائنا. فلا ثقة بصداقتهم، ولا اطمئنان لقلبي تجاههم.

المنشي المحترم: هو يعرفني منذ مدة وأنا واثق أنه سيعطينا الكتب حتماً. النعماني: لا بأس فلننتقل، فأنا الآخر أعرفه وهو أيضاً يعرفني جيداً. "فسترجع من حب الشرير كخاسر"، وتجربة المجرب جهل، فلتأكد منه أيضاً. المنشي المحترم: تذكرت شيئاً، أولاً تعال معي إلى إمام المسجد الجامع فكان قد قال لي قبل بضعة أيام أنه إذا احتجتم إلى كتاب فسوف أعيركم، ويمكن أن تستعيره مني ولا تخبر عن ذلك أحداً.

النعماني: حسنا، فلننتقل إليه ونجرب وعده أيضا.

توجهنا كلانا إلى هذا الإمام المحترم، فلما كان يعرفني، وعندما كان أخي الأكبر شاه خليل الرحمن المحترم يأتي دلهي، كان هذا الإمام يزوره برفقة ابنه بكل تعظيم، ولذا كان يعرفني. ومع ذلك كنت أتوجس خوفا أن علاقته ومعرفته ليست من أجل الله.

كان حضرته عليه السلام يقول مرارا وتكرارا أن على المرء أن يستفتي قلبه، فقد خلق الله القلب أيضا عجبيا، وأودعه أشعة تجلّيه. باختصار، توجهنا لقول المنشي المحترم إلى بيت ذلك الإمام، فناديناه من الخارج فجاء إلى الباب، وحين نظر إلينا فرح وارتجف وشحب لون وجهه وتوجس خوفا وسأل، ما الذي جاء بكم في هذا الوقت المتأخر؟ فقال له المنشي المحترم، نحن بحاجة إلى الكتب، وكنت قد وعدتني، والكریم إذا وعد وفى، فأرجو إعطاء الكتب، وخلال يومين أو ثلاثة ستعاد إليك، إن شاء الله.

الإمام: ماذا أفعل الآن؟ فقد صدر يوم أمس عهد وثيق للعلماء والعوام على عدم إعطاء الكتب للمرزا، وأن لا يُطبع له أي إعلان، أرجو المَعذرة، لا أستطيع أن أخالفهم، ولا يسعني إعطاء الكتب أيضا، فأنا مضطر، ومعدور. أرجو أن تنصرفوا من هنا، فلا يناسب وقوفكم هنا، دع عنكم الحديث معكم. النعماني: يا رجل، من ذا الذي يراك هنا، يمكن أن تعطينا سرا، وسوف تعاد إليك سرا. عندها قال الإمام مرتجفا لاهثا متخوفا هل يجوز أي عمل سرا واستراقا؟ النعماني: أي سرقة في هذا، ويمكن أن تبين ما تقول متجليا على المنبر، إذا كنت تريد إعطاء الكتب فأعطاها، فهي لن تحرب.

عندها استشاط الإمام غضبا وثار وبدأ يتكلم ببذاءة. وانصرفنا كلانا من هناك.

النعمانى: هل لاحظتَ يا منشى المحترم!؟

المنشى المحترم: نعم قد لاحظتُ، فهذا إمام جبان، يخشى على إمامته، ولذا تعامل معنا بهذا الجفاء وأخلف الوعد. لننطلق إلى ابن المولوي محمد حسين فهو صديقي ولي عنده أمل قوي، فلن يعاملنا هكذا.
النعمانى: حسنا فلننطلق.

ثم توجهنا كلانا إلى بيت المولوي المذكور، وناداه المنشى المحترم من الخارج فجاء وقال فورا: يا منشى، كيف أتيت في هذه الساعة المتأخرة ليلا، فنحن نكره صورتك.

المنشى المحترم: نحن بحاجة إلى بعض الكتب، أرجو أن تعيرنا إياها فيكون لطفا منك.

المولوي المحترم: غدا سيناظر جناب مولانا محمد بشير المحترم المرزا، فلا يسعني إعطاء الكتب، فقد تم الاتفاق والعقد يوم الأمس على عدم إعطاء أي كتاب لمرزا إعاره أو بيعا. ثم ما حاجة المرزا إلى الكتب، فهو يستطيع الاطلاع على نصوص الكتب بالإلهام.

النعمانى: لا تنجز جميع الأعمال بالإلهام. فانظروا كيف عُقدت مناظرة بين اليهود والنبي ﷺ حول حرمة لحم الجمل، فلم يُطلعه الله ﷻ على نص في الإلهام، بل قد قال أن يقول لهم: ﴿فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٤)

فالإلهام شيء والكتب شيء آخر، فقد كشف الإلهام الإلهي وأخبر أنكم خونة وكذبة ومحرفون وأصحاب خصال يهودية. فليس المسيح حيًّا بل قد مات، والآن إثر عنادكم نقدم إليكم كتبكم، ونكشف لكم خيانتكم. وهناك أحضرت التوراة وأمروا بقراءتها. ولم يقل: أيها الرسول، اقرأ عليهم نصوص كتابهم بالوحي. فالخصم يسكت بمسلماته. فلما كانت المناظرة ستتركز حول ما ورد في كتبكم وأنتم تسلّمون بها. وبتقديم السند ستطلعون على افتراءكم وكذبكم وخيانتكم. فغضب المولوي كثيرا وبدأ يسب ويشتم، وأثار شغبا كبيرا. وقال: هل في الحارة أحد يتصدى لهذين المرزائيين المرتدين والملحدتين، فانطلقت من هناك بسرعة. أما المنشى المحترم فبقي هناك بإصرار للحوار.

النعماني: أخي منشى، تعال نطلق، يبدو أن نيات هؤلاء ليست سليمة، والوقت ليس مناسباً للحوار، فاتركهم. ثم حين جاء بضعة أشخاص يسبون. انصرف المنشى المحترم من هناك.

تشاورنا واقفين تحت المسجد الجامع (المنازة الدمشقية الشرقية) أين نطلق، ثم توجهنا -مُبدئين الأسف على تصرفات يهودية لهؤلاء المشايخ- إلى المنشى أحمد حسين البنتي، الساكن قرب المسجد الجامع، وكان مريداً مخلصاً لوالدي. فقلت له: يا فضيلة المنشى، أنت مريد والدي وكنت دوماً تبدي له الحب والإخلاص والتعظيم. نحن نحتاج إلى الكتب، والحصول عليها متعذر. فقال: قد تم الاتفاق على عدم إعطاء كتاب لمرزا، فأنا مضطر، يكفيني احتراماً لك الآن أن أقول: انصرف من هنا ولا تمكث هنا أكثر.

ثم وقفنا كالنا حائرين مضطربين تحت المنارة الشرقية، وقلنا هذا ما طلب منا حضرته عليه السلام، وهذه هي معاملة الناس تجاهنا، فماذا نفعل.

والحق أن الفعل الذي يريده الله أن يتحقق يهيء له الوسائل أيضا بقدرته. أنت الذي تنجز العمل بنفسك وتهيء من ينجزه، وأنت الذي ترزق الرونق والنشاط لتلك السوق.^١

ثم فجأة ألقى الله في روعي أن الحاج عليم الله النقشبندي يسكن في زقاق سعد الله خان قرب مفرق بهرام خان، فهو مريد والدي ويدي لي أيضا تعظيما، وهو شيخ هرم ومحنك، فلنتوجه إليه لعلنا نجد الكتب عنده أو عند غيره بواسطته. لكنني في قلبي كنت أخاف أن أواجه المعاملة السابقة. على كل حال وصلنا إلى بيته وكما أن من لدغته الحية يخاف الحبل، نادينه من الخارج خائفين فخرج عند النداء الثالث، فقال: كنت أصلي العشاء لذا تأخرت واستقبلنا بكل احترام ونبل، وأكرمنا وضيّفنا بالبان كعاداته.

الحاج المحترم: كيف شرفتم في هذه الساعة ليلا؟ فما زرتك من أيام عدة. النعماني: فلما كنت عديم التكلف معه قلت له: ليس عندي وقت للجلوس، وإنما أنا بحاجة إلى بعض الكتب، وإذا كان عندك أي كتاب للتفسير أو الحديث فأرجو أن تعيره لي، وإن شاء الله سأعيده لك في اليوم الثالث من اليوم.

الحاج المحترم: ليس عندي أي كتاب، ولكن أخبرك عن طريق وهو أن المولوي سليم الدين خان يقيم قرب زقاق بليماران، وهو من معارف والدك حضرة شاه حبيب الرحمن رحمة الله عليه، وجدّدك حضرة المخدوم أحمد شاه المحترم رحمة الله

^١ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

عليه، ويكنّ لهما حسن الاعتقاد، وعنده آلاف الكتب من كل نوع، من المطبوعة والمخطوطة القديمة والجديدة، وهو يبيعها أيضا. فأرجو أن تتوجه إليه، وأسلم لك رسالة موجهة له، وسوف يعطيك الكتب حتما، وإنما أرجو منك ألا تذكر عنده حضرة المرزا مطلقا. ففي هذه الأيام ضجة مثارة، وفتنة وشغب، فإذا ذكرت عنده حضرة المرزا فلن يعطيك الكتب.

ثم سلم لي رسالة فورا كتب فيها: مخدومي المكرم سليم الدين خان دامت عنايتكم، أرسل إليكم الصاحبزاده سراج الحق ابن حضرة الشاه حبيب الرحمن رحمة الله عليه النعماني والجمالي والسرساوي، فهو بحاجة إلى بعض الكتب، فأرجو أن تقدم له الكتب التي يطلبها منك، وأنا أتحمل مسؤولية إعادتها، كن مطمئنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الراقم

الحاج عليم الله، المعروف بالحاج أحمد جان النقشبندی

دهلي، مفرق بهرام خان، زقاق سعد الله خان

فانطلقنا بتلك الرسالة، فرحين مسرورين إلى بيت المولوي، فوجدنا هناك مكتبة عظيمة واسعة مليئة بالكتب من الفرش إلى السقف، وهناك أناس غيرنا أيضا يأخذون الكتب، والمولوي المحترم يردد بعض الأدعية بعد صلاة العشاء.

النعماني: السلام عليكم

قال المولوي المحترم وعليكم السلام، وأشار: تفضلوا بالجلوس.

النعماني: ثم أشار إلينا بأنه بقي شيء من الأوراد وبعد إنهاؤها سيأتي إلينا. كنت أتوجس خوفا، وأخشى أن يحضر أشخاص يعرفوننا ويصرخون أننا

مرزائيون، ومن ثم نُحرم من الكتب. حمدنا الله على أن المولوي انتهى من الأوراد
فقدمتُ له فوراً تلك الرسالة.

المولوي المحترم بعد قراءة الرسالة: متى أتيتَ يا حضرة صاحبزاده؟ كان والدك
وجدُّك رحمة الله عليهما يقيمان عادة في دلهي، أما أنت فقلَّما تأتي إلى دلهي.

النعماني: لقد أتيت إلى دلهي من يومين أو أربعة أيام.

المولوي المحترم: هل أنت أيضاً مولع بالحوار والنقاش.

النعماني: نعم أنا أيضاً مولع.

المولوي المحترم: لقد جاء مرزا أيضاً إلى هنا من قاديان، غدا هناك مناظرة بين
مرزا المحترم والمولوي محمد بشير، وربما ظن المولوي سليم الدين خان آنذاك أن
هذا الراقم أيضاً سيشارك في الحوار ضد المرزا المحترم. الله أعلم

النعماني: نعم غدا هناك مناظرة بينهما.

المولوي المحترم: صحيح أن المولوي محمد بشير مولوي، لكنه ليس ندًّا لجناب
المرزا المحترم، وبينهما ما بين الثرى والثريا. فقد قرأتُ كتاباتِ المرزا المحترم، فهي
قوية وعظيمة جداً. أخي صاحبزاده، أنت مازلت صغيراً، وحذار أن تناظر
المرزا المحترم أبداً، فلا أراك اليوم، ولا المولوي محمد بشير، ولا عالماً آخر ندًّا له.

النعماني: قلت في نفسي صدقت، فأين الأرضيون من السماوي.

وصدق من قال ما تعريبه: حين يُكرم أحداً ويلاطفه فيحوله من أرضي
إلى سماوي.

حسناً، أرجو أن تعطيني بعض الكتب.

المولوي المحترم: ما هي الكتب التي تريدها.

فكتبْتُ له أسماء الكتب التي كان حضرته عليه السلام قد كتبها لي. فطلب المولوي المحترم من شخص أن يسلم لي كل هذه الكتب، ثم قال لي لا تتكلف، أنا أدبر إيصالها إلى بيتك بيد أحد رجالي.

فخفت بسماع قول المولوي من أنه إذا ذهب أحد رجاله إلى مقر حضرته عليه السلام فسوف يكشف سرنا. فقلت له ألا يتكلف، فنحن الاثنان نحملها، أو نستأجر حمالا. فقال المولوي المحترم: كما تريد.

فانطلقنا حاملين الكتب بصعوبة، وفي الطريق استأجرنا عتالا، فلما سلّمنا الكتب لحضرته عليه السلام ابتسم وسألنا كيف وجدتموها، فسررنا عليه كل التفاصيل، فاستغرب وصمت.

مناظرة مع بشير السهسواني البهوبالي

في صباح اليوم التالي جاء المولوي محمد بشير مع عدد من الرجال، فصافح أولا المولوي عبد الكريم السيالكوتي المحترم بعد إلقاء التحية المسنونة عليه، ثم سأله أين جناب مرزا المحترم؟

عبد الكريم السيالكوتي: سيدنا المسيح الموعود عليه السلام جالس في الطابق العلوي. بشير: أرجو إخباره.

صعد أمير الجماعة^١ في سيالكوت إلى الطابق العلوي وأخبر حضرته عليه السلام قائلاً: يا سيدي صلى الله عليك وعلى محمد، قد جاء المولوي بشير السهسواني البهوبالي المحترم. فجاء حضرته عليه السلام فصافحه المولوي محمد بشير قائلاً السلام عليكم، فردَّ حضرته عليه السلام بقوله: وعليكم السلام.

^١ أي سيد أمير علي شاه المحترم.

ثم عانقه بشير، لكن لما لم يكن حضرته معتادا على المعانقة - كما لم أشاهده يعانق أحدا خلال مدة ٢٥ عاما - إلا أن المولوي التصق بحضرته، ولما كان قصير القامة وصل إلى صدر حضرته، ثم انفصل عنه عليه السلام، فلم يعانقه حضرته عليه السلام بل ظل واقفا مستقيما مرخيا يديه. ثم جلس عليه السلام والمولوي محمد بشير كلاهما، وجلسنا نحن جميعا ورفاق المولوي المحترم أيضا.

قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام موجها الخطاب إلى المولوي محمد بشير ورفاقه: إنني أقسم بالله تعالى على أن دعواي بأني أنا المسيح الموعود صادقة، كما كانت دعوى الأنبياء الآخرين بالنبوة والرسالة صادقة. وأساس هذه الدعوى أنني تلقيت إلهامات متواترة لعدة أشهر أن المسيح ابن مريم رسول الله قد توفي، وأن المسيح المقدر مجيئه هو أنا. فقد كُشف علي بالإلهام والكشف والرؤيا بتواتر وفُهِمَت، ومع ذلك لم أوقن بها. لكنه بعد عدة أشهر عندما بلغ هذا الأمر حق اليقين بالتواتر ويقين تام، فتحت القرآن الكريم وخطر ببالي أنه يجب عرض إلهامي هذا وغيره على كتاب الله، ففور فتحي القرآن الكريم وقع نظري على آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ من سورة المائدة. فلما تدبرتها وجدت إلهاماتي وكشوفي ورؤاي صحيحة، وانكشف علي وثبت أن المسيح ابن مريم قد مات بلا شك. ثم قرأت القرآن من أوله إلى آخره بكل تدبر وإمعان، فلم أعثر على أي أثر لحياته ولم أجد فيه سوى ذكر وفاته، ثم فتحت صحيح البخاري، فمن قدرة الله تعالى أنه خرجت آيتان من كتاب التفسير، هما ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، و﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، ففسر الأولى ابن عباس بقوله: "ميتك"، والثانية قد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، فكان البخاري بذكر هاتين الآيتين قد أبدى رأيه. فكلتاها تثبت وفاة المسيح

فقط. ثم قرأت صحيح البخاري كله من أوله إلى آخره كلمة كلمة، فلم أعثر على كلمة تدل إشارة أو كناية على حياة المسيح. ثم قرأت صحيح مسلم وسائر كتب الحديث كلمة كلمة، وقرأت كل حرف في كل سطر بإمعان كبير، ولم أجد أي ذكر لحياة المسيح قط وإنما ذكر موته. أما أحاديث النزول فلم يرد فيها النزول من السماء مطلقا. فما علاقة النزول بالحياة؟! فما دامت الحياة غير ثابتة والرفع إلى السماء أيضا غير ثابت، فما معنى النزول؟ فالنزول يقال للمسافر أيضا، كما قد نزلت في دلهي الآن.

ويمكن أن ينزل المسيح الموعود في دمشق أو ينتشر إليها علمه، أو ينزل بها أي خليفة له، كما يمكن ألا يكون المراد من دمشق هي دمشق بالذات بل تكون مدينة أخرى، (ولا شك أن دلهي هي نفسها دمشق). إن كل الأحاديث عن نزول المسيح كشفية، والكشف والرؤيا لهما تأويل.

ملاحظة: يقول الإمام الغزالي في كيمياء السعادة:

إن الكشف بحاجة إلى التعبير حتما، وذلك لأن بعض جوانب الوقائع التي تُرى في الكشف يكون غامضاً. ثم كتب جملة لطيفة جدا بمعنى أن الرجال الربانيين الكامل يدركون أحداث الماضي والمستقبل في أقصى البلاد جالسين في مكائهم، أما الناقصون فلا يرونها حتى بالتجوال والسير ولا يدركون حقيقتها.

وكيف يمكن أن ينزل المسيح الناصري في هذه الأمة إذ كان رسولا مختص الزمان والقوم، وكان النبي ﷺ رسولا إلى الناس كافة. وقبل أن ينهي حضرته خطابه قال له المولوي محمد بشير مضطربا: هل تسمح لي أن أجلس في تلك الزاوية لهذه الغرفة، وأكتب هناك؟ فقال حضرته عليه السلام حسنا، فاكتب جالسا حيثما تريد.

فجلس المولوي في تلك الزاوية وبدأ يملي الموضوع على السيد مجدد علي خان. عندها قال له حضرته: كان من الشروط المتفق عليها أن تكتب بنفسك جالسا قربا مني وتكتب على شاكلة الأسئلة والأجوبة. وكان المولوي قد بدأ يملي الموضوع على أحد آخر بعيدا عن حضرته. فقلت لحضرته: هل أقول ذلك للمولوي المحترم؟ فقال حضرته لا بأس، دعه يكتب أو يمل على أحد آخر.

وصلت رسالة حضرة ملاك الرب ذي المنن، مولانا المولوي سيد محمد أحسن الفاضل الأمروهي، إلى حضرته عليه السلام من بهوبال في اليوم نفسه، وكان قد كتب فيها إضافة إلى أمور أخرى أن المولوي محمد بشير يكتب هذا الموضوع من ستة أشهر، وهذا كل ما في جعبته، وليست عنده مادة أخرى. وكان حضرة الأمروهي قد صدق في ذلك، وثبت ذلك لأن الموضوع الذي بدأ المولوي بشير يمليه على مجدد علي خان كان مكتوبا سلفا، بينما كان من الشرط ألا يأتي أحد بموضوع مكتوب، بل يكتب كل واحد في الجلسة وجها لوجه. عندها قال المولوي عبد الكريم إن ذلك ينافي الشرط. أما أنا فقلت لحضرته: هل تسمح لي بأن أقول للمولوي: أرجو أن تسلّم لنا الموضوع الذي جئت به مكتوبا سلفا، لكي نكتب الرد. فأذن لي حضرته بذلك كارها. فقلت واقفا يا مولوي، ما الحاجة لإملاء الموضوع المكتوب سلفا؟ فهذا يؤخر الوقت، لذا يمكن أن تسلّم لنا الموضوع ليكتب الرد عليه. ففرع المولوي بسماع قولي هذا وقال متلعثما: كلا لم آت بموضوع مكتوب وإنما لدي ملاحظات فقط، وأمليتها مشروحة ومبسطة. فأردت أن أقول شيئا ردّا عليه لكن حضرته نهاني عن ذلك، وقال: الذي يكذب عمدا، متى سوف يقبل؟ وأتعجب أن يكذب المرء بعد الفوز بقلب المولوي، ثم يقوم

مقابل المأمور من الله للحوار؟! فهذا نموذج إيمانهم، ثم إنني أتعجب وأبدي الأسف على الذين يؤيدون الكاذبين، فلو كان شيء من هذا القبيل قد صدر من حضرته عليه السلام لأثاروا ضجة وشغبا كثيرا، ومن ثم لأساء الظن فيه من آمنوا بأنه المسيح الموعود بحسن الظن فيه، ولانفضوا عنه، ولكان صاحب هذه السطور أولهم، ولما اقتربت منه قط. لكن حضرته قد جاء بما جاء به الرسل والمأمورون والأولياء، وقدم نموذج ذلك في حياته عليه السلام.

لا يغيبن عن ذاكرة القراء أنه أولا كان قد صدر الطلب من أهل دلهي (دمشق) أن تكون المناظرة شفوية في الاجتماع العام، لكن حضرته عليه السلام أصر على أن تكون المناظرة خطية. ولم يقبل أن يكون ذلك في الاجتماع العام خشية إثارة الناس الفتنة والفساد فيه، فتقرر أن تكون المناظرة خطية. وهنا أراد أهل دلهي أن يكون عدد الحضور ٢٠٠ شخص، فقال حضرته إن أهل المدينة سلفا يثيرون ضجة وهم شجعان في الفساد، ولا ندري ماذا سيفعلون أثناء المناظرة. فالمناظرة خطية، وعندما ستُنشر كتابات الفريقين سيقروها الناس، لذا ينبغي أن يأتي مع المولوي بشير ١٠ أشخاص فقط كما سيحضر ١٠ منا. ويجب أن يكون هؤلاء العشرة منتخبين من أهل العلم. فقال أهل دمشق أن يكون عدد الحضور ١٠٠ من كل فريق، فلم يوافق على ذلك حضرته عليه السلام، عندها أصروا على أن يكون العدد ٥٠ على أقل تقدير، فلم يوافق حضرته على ذلك أيضا. عندها قلت: يا سيدي أود أن أقدم رأيي أيضا. فسألني حضرته ما هو؟ فقلت، يمكن أن توافق على ٥٠ شخصا، فمننا سيحضر ١٠ أو ١٢ شخصا، ومنهم إذا جاء ٥٠ فلا بأس. فالمناظرة خطية، لذا تستغرق وقتا، وأهل دلهي مولعون

بالخطاب ولا يهناً لهم بال ما لم يتكلموا، وهنا لا مجال للكلام، وإنهم يملكون لساناً فقط وهو لا يباع بمليم، كما قلت حضرتك في بيت شعر:

لا يملكون سوى لسان لا يقدر سعره درهما واحداً.^١

فهؤلاء سيملّون جالسين، ويكتبون ويسأمون ويتكاسلون، وبعضهم سينعس، وبعضهم ينصرف بغلبة النوم، ولن يبقى سوى ١٠ أو ١٢ شخصاً فقط، فيمكن أن يأتي ٥٠ شخصاً في أول يوم وبعده سيملّون ولن يأتوا. فقال: إذن يمكن أن تسمح لهم بحضور الخمسين، فمن قدرة الله أن الـ ٥٠ الذين جاؤوا أول يوم قد سئموا خلال ساعة واحدة، إذ لم يكن في وسعهم الجلوس ساكتين، لذا بدؤوا ينصرفون ملاً خلال نصف ساعة.

حال "مرزا حيرت"

جاء مرزا حيرت أيضاً مرتدياً لباساً إنجليزياً حاسر الرأس، جاعلاً فرق الشعر جانب العين اليسرى بحسب الموضة الإنجليزية. فلم يستطع الجلوس ساكتاً هو الآخر وانصرف قبل مضي نصف ساعة، وكان قبل يوم أو يومين نشر إعلاناً في عموده الأول نص عربي، وفي العمود الثاني ترجمته بنص أردي. فصعد حاملاً هذه الإعلانات على مئذنة فتح غره، وبدأ يُسقطها. وكان ملخص عبارة الإعلان إني أنا المسيح الأصلي قد نزلت من السماء، أما من جاء إلى دلهي فهو دجال، نعوذ بالله منه، وأتيت لقتله. فمرزا حيرت أيضاً جعل دلهي دمشق، حيث ادّعى أنه هو المسيح الأصلي، وأن حضرته عليه السلام دجال والعياذ بالله. فصارت دلهي دمشق من تلقاء نفسها، حيث لم يكن المسيح أصلياً، ولم تكن دمشق أصلية. فلما كان

^١ ترجمة شطر فارسي. (المترجم)

قد كتب ذلك الإعلان ونصّه باستشارة المشايخ لذا لم يقل أحد إن مرزا حيرت يكفر، فلم يُفتّ بكفره ولا بفسقه أحد. الكفر ملة واحدة.

ثم تنكر مرزا حيرت يوما بزّي مفتش الشرطة، وجاء إلى حضرته عليه السلام وقال له أنا مفتش وجاءت أوامر حكومية أن تنصرف من هنا وإلا لن تكون عاقبتك خيرا لك، فلم يعرفه حضرته أدنى التفات، ولم يتكلم معه. وإنما تكلم معه سيد أمير علي شاه المحترم وكان موظفا في الشرطة، وقال له شيئا حيره كثيرا وانصرف من هناك ولم يلبث لحظة واحدة، وصدق المثل القائل إن اللص ليس له قرار.

في دلهي عامل أهلته حضرته بتصرفات سخيفة وبذينة إذا أردت كتابتها بخدافيرها فستبقى هذه الرحلة ناقصة، ولن أنتهي من ذلك البيان. صدر من المشايخ أيضا إعلان ورد فيه إضافة إلى مواضيع أخرى، أن كل طفل من سكان دلهي مسيح، الله أكبر ما أعظم هذا الكلام، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ إذ يمكن أن يصبح كل طفل مسيحا من تلقاء نفسه. أما الذي جعله الله مسيحا فهذا لا يجوز، ومن الملاحظ رحابة صدر حضرته إذ لم يهتم بهذه الأمور مطلقا، ولم يحزن ولم يتلق أي صدمة. كان الناس يسخرون منه ويستهزئون به، وينظرون إلى كل أمر لهذا المبعوث من الله بإهانة، ويعزمون على إهانته. لكن هذا المأمور والمرسل لم يعرفهم أدنى اهتمام، ولم يبال بهم أدنى مبالاة، ولا بالهراء الذي يقومون به، ولا بتصرفاتهم.

قصة صاحب التفسير الحقاني

من الجدير بالملاحظة تصرف شمس العلماء المولوي عبد الحق الدهلوي الذي قال ما ليس في قلبه، إذ ذات يوم جاء إلى حضرته عليه السلام وكان حضرته قد نشر

إعلانا للمناظرة، ولما كان اسمه أيضا ضمن المدعويين فجاء خائفا متوجسا وقال لحضرته إنني طفل لك، وأنت من أكابري، فأني لمثلي أن يواجهك. فقال كلام المنافقين، وطلب من حضرته أن يشطب اسمه من القائمة، فهو ناسك منعزل ولا تُهمه المناظرات. فقال له حضرته لا بأس يمكن أن تشطب اسمك بيدك، فشطب هذا المولوي اسمه بيده. تذكرتُ هنا أن شمس العلماء المولوي عبد الحق كان قد تكلم شيئا حول وفاة المسيح ثم قرأ شطرا من بيت، والآن نسيت ذلك الشطر وإنما أتذكر منه "تُوفِّي كُلُّ نَفْسٍ.." ثم قال انظر ماذا يقول هذا الشاعر الجاهلي، فسأله حضرته: سيادة المولوي، من أي باب هذه الكلمة؟ فخجل المولوي فور سماع كلام حضرته، وُجِئت بحيث لم يرفع رأسه بعد ذلك، وبعد وقت طويل قال نعم يا سيدي كنت مخطئا، وأنت على حق. أرجو العفو، فالخطأ من الصغار والعطاء من الكبار. الله الله قد قال هذا الكلام عند حضرته، وبعد الخروج من عنده قال للناس وأهل بيته: أني للمرزا أن يواجهني، فقد قال لي المرزا بالتماس وامتنان: حضرة المولوي، لا أستطيع أن أناظرك، فلا يسعني أن أسابقك وأبارزك، فقد كتبتُ اسمك ضمن المدعويين خطأ. وقد هزمتُ المرزا بسؤال واحد فقط.

فإذا كان المشايخ على هذه السيرة وأتباعهم هكذا، فكيف لا تغرق سفينة الإسلام، وكيف لا يهلك الدين؟ فإن تصرفاتهم من هذا القبيل، قد اقتضت بعثة الإمام المعصوم. ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ مع أنه كان معه قرابة ٢٥ شخصا فهم أيضا كذبوا، فالشجرة تعرف بشمارها. فلو لم تكن هؤلاء هذه السيرة لما كان الله بحاجة إلى بعثة المسيح الموعود

حكما عدلا. فالأمراض تقتضي الطبيب، فقد فسدت قلوبهم وألسنتهم وأجسامهم، فهم فعلا دابة الأرض، إذ هيئتهم هيئة إنسان، لكن أعضائهم وقلوبهم تشبه الحيوانات. لقد كتب الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي مشاهدته في كتاب له ما يلي: كان لي صديق من المتصوفين فقال لي: إن من فضل الله علي أنني أعرف الشيعة - أي الرافضي - بعيني الباطنية فورا. بلغ هذا القول إلى الملك أيضا، فطلب إلى بلاطه الشيخ الأكبر وذلك الصوفي. فقال له أن يخبره إذا كان في بلاطه أي رافضي. فنظر الصوفي إلى الحضور، ثم قال بأن قاضي القضاء والمفتي الذي كان يعدّ من كبار المتقين والأولياء الصالحين والعادلين رافضي، فاستغرب الملك وجميع الحضور من كلام الصوفي واضطربوا. فلما كان ذلك القاضي فعلا من الروافض وكان يتظاهر أنه من أهل السنة والجماعة، قد أصيب برعب. فأني لكاذب أن يصمد أمام صادق، فاعترف أنه فعلا من الشيعة وكان يتظاهر تقيّةً بأنه سني. وقام بذلك لأنه أدرك بأن الذي اطلع على ما بداخله قد يسألني أمرا لا أقدر على جوابه، أو يحل بي غضب الله، الذي لا أطيقه. فوجد الاعتراف خيرا له، وبعده تاب عن رافضيته أمام الجميع، وأشهدهم على توبته. وبعد ذلك قال الصوفي: إن توبته بدافع النفاق والكذب، فهو ما زال رافضيا. عندها أيقن ذلك القاضي وتأكد أن ذلك الصوفي صادق ومن أولياء الله، وإن لم أتب الآن فسأواجه عاقبة وخيمة. لأنه إن دعا علي فسوف أهلك. عندها قام القاضي وقال أمام الجميع: الحق إني كنت أظهرتُ التوبة بدافع النفاق والكذب، وكنت أختبر هذا الرجل، والآن تأكدتُ أنه ولي الله، وأنا كاذب. والآن تبّث من الرافضية بصدق القلب، وأصبحت مسلما صادقا

من أهل السنة. عندئذ قال ذلك الصوفي: نعم؛ الآن هو سني ولم يعد من الشيعة. فسأله الملك كيف وبأي شكل تعرف الرافضي؟ فقال الصوفي إن الله قد وهب لي عينا باطنية، وبها أتمكن من الاطلاع على حالة الإنسان الداخلية والروحانية، التي هي حالته الأصلية. فالرافضي يتراءى لي على صورة خنزير. وهذا صحيح في الحقيقة، إذ قد قال الله لليهود في القرآن الكريم أيضاً، ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. وهذا لا يعني أنهم كانوا قد صاروا في الحقيقة قردةً نراها تتقافز على الأشجار والبيوت، وإنما كان المراد إظهار صفتها وهي التشاجر، وضرّ الناس، وإتلاف متاع الناس. ومثل ذلك يعرقل هؤلاء المشايخ المتصفون بصفات القردة دعوة الأنبياء، ويشغلون في تشويه الشريعة الحقّة ليل نهار، حيث يزعم كل واحد منهم أنه هو كل شيء، وإذا كان عند أحد عقل فعنده وحده، وإذا كان هناك عالم فهو وحده، وإذا كان أحد فهما فهو فقط، لكننا حين ننظر إليه لا نجد فيه أيّاً من هذه الصفات. فالقرد أيضاً بيدي الشطارة، إلا أنه بسبب حيازته على نصيب أكبر من الحيوانية يقوم بتصرفات أخط حتى من الحيوانات. حين دعا أهل دلهي (دمشق) المولوي محمد بشير سأله المشايخ ما هي الآية القطعية الدلالة عندك على حياة المسيح التي تقدمها في المناظرة مع المرزا؟ وكان في تلك الجلسة المشايخ المقلدون وغير المقلدين كلهم. فقرأ المولوي بشير ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ (النساء: ١٦٠). فقال المشايخ: لا تُستنبط منها حياة المسيح حتى كنايةً دع عنك قطعية الدلالة. فقال المولوي بشير: مهما يكن من أمر سأقدم هذه الآية حصراً. فقال له جميع المشايخ: نحن لسنا معك، فلن يؤثر فينا نجاحك أو فشلك. فانشق جميع

المشايخ والعلماء عن المولوي بشير. وأثناء المناظرة لم يكن معه غير عدد من الطلاب أو من العوام. كان هناك مولوي يدعى "محمد أحمد بتوه" وربما كان من أهل "علي جان"، وكان متعصبا جدا ومعارضاً شرساً للمسيح الموعود عليه السلام. ذات يوم قال لي: إن المرزا ادّعى النبوة اليقينية. فقلت: إنك تقول خطأ. فقال: لقد كتب المرزا "إن المحدث نبي"، فقلت نعم قد كتب. فكلمة المحدث هنا تثبت أنه لم يدّع النبوة، لأنه قال لاحقاً في النص نفسه بأنه مؤمن بانقطاعها. فاقراً النص كله، فلزم الصمت. فلما أخبرتُ حضرته بذلك قال إنما الجواب الصحيح "آمنا بانقطاعها"، فهؤلاء لا يعرفون معنى النبوة، ويتمسكون بالحروف فقط. هم يقرأون البخاري الشريف ولا يتدبرونه حيث ورد فيه "لم يبق من النبوة..." والحقيقة أن المسيح الموعود عليه السلام حين جاء إلى دلهي أراد أن يناظر المولوي نذير حسين، وقبل وصول حضرته بيوم كان المولوي محمد حسين البطالوي أيضاً جاء إلى دلهي. فقد أغوى المولوي نذير حسين فور وصوله، وقال للعوام والخواص من المشايخ لا تستطيعون الانتصار على المرزا أبداً في الكتابة ولا في الخطابة. يمكن أن تهزموه في السخرية والاستهزاء والسب والشتم ومن خلال نشر الإعلانات الزاخرة بالمفتريات. وسبب ذلك أن المولوي محمد حسين البطالوي والمولوي ثناء الله الأمرتسري وغيرهما لا يتحلون بالتقوى والأمانة. ولا إيمان لهم بالله تعالى واليوم الآخر، إنني أستطيع أن أحلف بالله - واضعاً في الاعتبار أنه العليم الخبير - واقفاً في كل مكان بل حتى في الكعبة على أن هؤلاء لا إيمان لهم بالله مطلقاً. ولذلك هم يستبيحون كل خداع ومكر وسخرية واستهزاء وكذب. كان المولوي محمد حسين قد قال

أيام المناظرة في لدهيانه: لو ثبتت دعوى المرزا من القرآن فلن أوْمن به، بل سوف أترك القرآن الذي صدّق دعوى المرزا. الله الله، كبرت كلمة خرجت من فمه. فاقروا أيها القراء مجلدات مجلته "إشاعة السنة" التي صدرت بعد إعلان دعوى المرزا عليه السلام وتدبروها. فقد هجر هذا الرجل (يهودا الإسخريوطي) القرآن الكريم، بل قد كذّب النبي ﷺ أيضا سرا، وإن كنتم في شك مما أقول فاقروا هذه المجلدات واحدا بعد آخر لتأكدوا ما الذي يثبت منها. فاستجابةً لقول يهوذا الإسخريوطي هذا نفذ أهل دلهي (دمشق) ما قاله لهم كلهم. كان المولوي بشير أول الأمر لينا فلامه المشايخ الآخرون بمن فيهم هذا المولوي محمد حسين قائلين: لقد جئت شيئا إداً إذ قد لنت لمرزا. ونصحوه أنه بقدر ما سيقسو ويغلظ ويكون تصرفه بذئنا سينتصر وإلا سوف يواجه الخيبة والخسران، فلم يقبل ذلك المولوي بشير أولا لكنه في الأيام الأخيرة أبدى القسوة والبذاءة.

كنا نعدّ كلب الحبيب "عنقاء"، أما إذا عدّه الحكم قطّة فيمكن أن يكون كذلك.^١

هروب ميان نذير حسين من المناظرة

حين أراد المسيح الموعود عليه السلام أن يناظر المولوي نذير حسين قال الأخير - بالتشاور مع البطالوي وغيره - بأن عليه أن يناظر أولا تلامذتي، أي أنا خير منه، فأنا دهلوي (دمشقي) وهو قروي، فأين القروي من المدني، وأدّى مفهوم "خلقتني من نار"، فوهاً لك يا نذير حسين، وهذا ما يليق بالرجال.

^١ ترجمه بيت أردي. (المترجم)

كتب كثير من المشايخ في الإعلانات وأعلنوا بألستهم شفها أيضا: إذا كان سيأتي المسيح الموعود فكان يجب أن يكون من أهل دلهي، فكيف صار هذا الثور البنجابي مسيحا موعودا؟

كثيرون كانوا يأتون إلى حضرته عليه السلام ساخرين وبعضهم مستشيطين غضبا وثائرين، ويمدّون أيديهم إلى لحية حضرته المباركة واقفين أمام حضرته ويقولون له: أيها البنجابي، أيها الثور البنجابي تدّعي أنك المسيح! ألم يجد الله غيرك ليجعله المسيح تاركا إيانا، فنحن نستحق ذلك. فكان حضرته يسمع الجميع ويدي الحلم والصبر والتحمل. لكنني أخيرا لم أتمالك نفسي، فحين مدّ مولويّ يده إلى لحيته المباركة وتفوه بهذه الكلمة الحبيثة، فإني - كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ عند قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (البقرة: ١٥-١٦) - قلت له دون أي تكلف: اخسأ أيها الكلب، ما أدراك! وصدر من لساني تلقائيا، مدّ يدك إلى.... لماذا تمد يدك إلى حضرته عليه السلام؟ عندها ظل حضرته صامتا، وأبدى حلما كبيرا، أما أنا فكنت أريد أن ألطمه، لكنه ابتعد حين رأي غاضبا، ووقف بمنأى عني. لكن حضرته لاحقا حين لم يبق أي معارض، قال لي: سيادة صاحبزاده، لا يليق بك التفوه بمثل هذه الكلمة. فندمت على ذلك ولزمت الصمت مستغفرا الله في نفسي. ثم ضحك حضرته من تلقاء نفسه وقال: إن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه أيضا حين رأى من أحد الكفار عند الحديدية تصرفا سيئا يشبه ما قام به تجاهي أهل دلهي قال: "امصص بظر اللات"، عفا الله عنك.

فهم يقصدون أن المسيح الناصري قد مات وأن المسيح الموعود سيأتي من هذه الأمة حصرا، فلو كان المسيح قد نزل من أهل دلهي لآمنّا به. أما الذي

جعله الله مسيحاً فلا يؤمنون به. وكذلك قال أهل مكة للنبي ﷺ: كان ينبغي أن يُبعث رسولا أيُّ زعيم أو ثري أو عالم من مكة أو الطائف. وكان يجب أن يكون الرسول منهم. فكيف أصبح محمد ﷺ رسولا؟ فقال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (الزخرف: ٣٢) ثم ردَّ الله عليهم وقال: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾، أي هل تقسيم رحمة ربي من صلاحيتهم حتى يقلّد أحدا بهذا المنصب بعد استشارتهم؟

فقد قال حضرته ﷺ ردّاً على المولوي نذير حسين المحدث الدهلوي: أيها المولوي، لك مئات بل آلاف من التلاميذ، فكم منهم سأنظر، فعندما يُهزم أحدهم تقدّم الثاني، وعند انهزام الثاني تقدم الثالث، وعلى هذا القياس، الرابع والخامس. فالأفضل أن تناظرني أنت شخصياً، فأنت الأصل وتلامذتك هم فروع، فإذا بقي الأصل ستبقى الفروع أيضاً سالمة، وإذا اجْتُثَّ الأصل فسوف تجف الفروع وتيبس تلقائياً. وإن لم توافق على ذلك فاختر من تلامذتك من تثق بعلمه وفضله كاملاً وتطمئن به لمواجهتي، واكتب لي أن انتصاره سيعدّ انتصارك وهزيمته ستعد هزيمتك. فلم يوافق المولوي نذير على هذا أيضاً، وظل يردد "إن لديك رجلاً واحدة." وكيف لا يقول إذ كان يستصدر ذلك منه يهوذا الإسخريوطي، وكانت دابة الأرض تلاحقه كالنمل أو الدبابير. فقد قال المولوي نذير مرة: يا محمد حسين، لم تنكس رأسي في الشيخوخة؟ لماذا تسوّد وجهي أمام الله، فليس هناك أثر لحياة المسيح. وهل سوف تجيب عني يوم القيامة؟ فقال بخيلاء: نعم سوف أجيب الله إذا سألك يوم القيامة. واعلم أنك إذا نظقت بهذه الكلمة مرة أخرى فسوف تفسد حياتك، وتواجه المشاكل،

وسوف ينفضّ عنك الجميع، فأين ستذهب وأين تعيش؟ فالمولوي نذير حسين، الشيخ الهرم، تلك الدمية من الخشب، لم يكن يستطيع أن يعمل شيئا، فلم يدرك أن الصادقين لا يَضيعون أبدا، ولا يواجهون الهوان. فلو انضم إلى حضرة المرزا لما نقصه شيء. هنا تذكرت شيئا وهو أن أحدا قال أمام سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: إذا آمن المولوي محمد حسين البطالوي فلن يكون له الاحترام الذي كان له في الماضي. فقال حضرة مولانا نور الدين محبوب رب العالمين خليفة المسيح: هذا خطأ، بل سوف نكرمه نحن وحضرته عليه السلام أيضا أكثر من ذي قبل. سبحان الله ما أصدق كلمة نطق بها سيدنا الخليفة. فقال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام أيضا: صدق حضرة المولوي المحترم.

حين أعرض أهل الدنيا عن حضرته، وليس ذلك فحسب بل قد حرصوا على قتله، فأى ضرر ألحقوه به عليه السلام؟ كلا بل قد أدى هذا العداء إلى تقدم مستمر لحضرته وازدهاره، وزادت هيئته وعزته وعظمته، وزاد عدد مريديه ويزداد مالا كل يوم، وتنهال عليه هدايا كثيرة، ولا حصر للذين يأتونه، فلو آمن به عليه السلام المولوي نذير حسين لنال الشرف نفسه. فالرجل المادي وغير المطلع على الحال الابتدائي لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام كان يمكن أن يقول كما كان الشيخ العنيد يمكن أن يدعي نظرا إلى أحوال حضرته البدائية، وقد زعموا فعلا وأدّعوا أن حضرته ساقط اليوم أو غدا، وسيهلك قريبا وينقرض، ولن يُعثر على أثره. كما يمكن لصوفي الطبع المطلع على بدايته أن يقول إن عاقبة حضرته لن تكون محمودة في القريب العاجل، فسوف يندثر من العالم، ويهلك ويفنى، ولن يذكره أحد. بل كان محمد حسين (يهودا الإسخريوطي) قد تباهى في الاجتماع العام

في سيالكوت ثم نشر في مجلته "إشاعة السنة": أنا الذي رفعت، وأنا الذي سأحطه. أقول فليسودّ وجه الكاذب وتزرقّ يداه ورجلاه، هل بعد تقريظك له في إشاعة السنة قد زعمت أن حضرته قد ارتقى المعالي والازدهار نتيجة تقريظك؟ كلا بل ارتقى بترقية الله ﷻ ونطق بإنطاق الله ﷻ وحده، وصنعه الله ﷻ وحده. فمن ذا الذي يتجرأ على أن ينظر إليه بسوء؟ فقد قال حضرته: يا أيها الذي تركض إلي حاملا مئات الفؤوس، احذر البستاني فأنا الغصن المثمر.^١

فقد سقط هو نفسه وذل وهان، وما بصق به على السماء سقط على وجهه. أما الذي آمن بالله وأيقن بصدق القلب، فيعلن بملء فيه أن هذا الشجر المثمر سيصبح دوحة عظيمة، وسينمو ويزدهر، ويستريح الملايين تحت ظله. والذي سيهمّ بقطعه سيقطع هو نفسه. فانظروا أن الذي كان رأى النبي ﷺ في حياته المكينة، عديم الحيلة مسكيناً؛ متى كان يستطيع القول ويوقن بأن ذلك الإنسان العظيم الشأن سيصبح رسولا من أولي العزم. لكن واهّا لك يا أبا بكر الصديق، عليك آلاف الصلاة والسلام، يا بلال الحبشي عليك رحمت الله بلا عد وحدّ، فحين آمن بالنبي ﷺ رآه النبي ﷺ ليلة المعراج يتمشى في الجنة. ما الذي رآه هو ورفاقه الذين قال الله ﷻ بحقهم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، فقد رأوا أن المؤمنين يُضْرَبُونَ ويتربص بهم العدو من الجهات الأربع، فلم يتوفر لهم الأكل ولا اللباس، ولم يتيسر لهم السكن في البيت، ولم يكن لهم مقرّ في الغابة. ليس عندهم مال ولا ثروة ولا جيش ولا جنود، يعقد بهم الآمال. وفي

^١ ترجمه بيت فارسي. (المترجم)

هذه الحالة كيف حصلت لهم معرفة الصادق وتأييده في كل مشكلة وعسر ويسر؟ إنما كان إيمانهم بالله، وأمثلة الأنبياء موجودة أمامهم، وكان يهمهم حبه للسلام، فصدق من قال:

متى يخفى نور وجه الصادق على ذي فراسة؟^١

فقد قال الله ﷻ بنفسه: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ إلا أن نذير حسين كان شيخاً أعمى، شقياً ومتعنّاً فلم يفكر ولم يتدبر، وخضع لضغط تلامذته المعتقدين فيه، فغرق وأغرقهم أيضاً. فكان المولوي قد حفظ طول حياته "لا نسلّم" و"لا، لا" وكان قد نسي كل ما سواهما.

صدق من قال: "كل ما كان قد تعلّمه نذير، قد نسيه خلال لحظة".

كان اثنان من أتباعهما -رحمهما الله- على تواصل معي وكانا يُطلعا عليّ على هذه الأخبار، فكانا يحضران مجالس المشايخ نهاراً ويشاركاهم في المشورة، ويأتيا ليلاً ليُطلعا عليّ سرّاً على مستجدات الأمور. فلما لم يستطع هؤلاء المشايخ الرد على حضرته العليّة أجمعوا على مكر ومكيدة، حيث نشروا إعلاناً بالإجماع أن المولوي نذير حسين سيناظر المرزا غداً. ولم يخبروا حضرته العليّة بذلك. وفي الموعد بالضبط أرسلوا رسالة إلى حضرته أن يحضر للمناظرة، فالمولوي نذير حسين موجود. فقال حضرته العليّة: كان يجب أن تأخذوا رأيي أولاً، وتحددوا الموعد بالتشاور معي، كما كان يجب أن يكون تنسيق حكومي، فتحديد موعد المناظرة من جهة واحدة ليس من العقل في شيء، أنتم مجتمعون مع بعضكم البعض أما أنا فوحيد ومسافر. ثم جاء

^١ ترجمه بيت أردي. (المترجم)

الحكيم عبد المجيد في عربة وطلب من حضرته عليه السلام أن ينطلق معه للمناظرة، ولينطلق المولوي نذير حسين. فهذا المولوي أيضا لم يكن يعرف أن الناس كانوا من تلقاء أنفسهم قد حددوا موعد الاجتماع قصد الفساد. فقال له حضرته عليه السلام نفس ما قاله للآخرين. وبالموضوع نفسه نشر إعلانا أيضا. فسخط الحكيم عبد المجيد بتلقي هذا الجواب، وقال لحضرته: ما دمت أنا معك فما المشكلة؟ عندها قلت له: يا حكيم، أنت حكيم ولست ملكا أو حاكم ولاية. إذا حدثت فتنة فما الذي تستطيع أن تفيدنا؟ فسوف تنفصل أو سوف تتعرض للضرب. فكان مريداي ليلا قد أخبراني عن المناظرة والفتنة والمجادلة، وكانا نهيانا بصرامة عن الذهاب إلى هناك، لأن الناس ثائرون، وعازمون على إثارة فتنة، وإنما اتخذوا المناظرة وسيلة لذلك. إذ جاؤوا بالأحجار والسكاكين، وعقدوا العزم على القتل. وكنت قد أطلعت حضرته على ذلك، أنهم يقصدون كذا ورجوته ألا يتوجه إليهم أبدا. وكان سيد أمير علي شاه السيالكوتي أيضا يدعم موقعي، ففي نهاية المطاف لم يذهب حضرته إلى هناك، وانصرف الحكيم عبد المجيد. فما علاج من أبوا الاستماع للحق وكانت عزائمهم على هذه الشاكلة؟ حيث عم الفساد والتآمر لقتل حضرته عليه السلام بكل زقاق وشارع، وأجمع الجميع بلسان واحد على ألا يسمعوا إلى المرزا مطلقا. وكان ذلك نتائج مساعي يهوذا الإسخريوطي كما ذكرت سابقا. قد أورد حضرة الشيخ الأكبر محيي الدين رحمة الله عليه في كتاب له حديثا، وقد أورده حضرته مع المصدر في كتابه، وهو أنه عندما سيأتي المسيح الموعود سيكون جمع غفير للناس، وسوف

ينهض فيه أحدهم، أي مولوي، ويزعم أن هذا الرجل أفسد الدين وبدّل الشريعة ويفتي بكفره.^١

فقد تحقق هذا الحديث بحيث أعلن البطالوي في اجتماع عام بدلهي أن المرزا كاذب وكافر وأنه أفسد الدين. تبين من هذا الحديث أيضا كإشارة النص أن البطالوي هو يهوذا الإسخريوطي، والمراد من جمع غفير جمع دمشق. ومن هذا المنطلق تبين بصراحة أن دلهي هي دمشق؛ حيث فُتحت الكتب في البيوت وفتحت المصاحف لكي يعثروا بأي شكل على أمر يثبت حياة المسيح - فبعضهم كانوا يتصفحون كتاب "آخر گت" وبعضهم "أحوال الآخرة" وبعضهم "هزار مسئله"، وبعضهم "آثار محشر" - ويؤرونه الناس. وكان المشايخ يؤيدونهم ويشجعونهم، ويثيرون الناس ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام، فهم لا يعرفون أن عنده كلام الله القرآن الكريم، ويتم تصفح الكتب العظيمة الشأن مثل البخاري ومسلم ونقذها أيضا. فمن ذا الذي يسأل عن كتاب "آخر گت" و"هزار مسئله"، وكان بعضهم يقدمون تفسير الحسيني، وهم لا يعرفون أن لا أحد ينظر هنا إلى التفسير الكبير، وما عدا خمسة أو سبعة رواة ليس هناك أي راو ثقة وعادل وصادق يذكر حياة المسيح.

قد انخدع الناس كثيرا بأن رواية خمسة أو سبعة رواة ذكرت مكررة في كل كتاب حول حياة المسيح؛ قد قدموها بكل ثقة بقبول الجمهور لها، وأن الأمة

^١ أقرب ما وجدناه بهذا المعنى هو أن محيي الدين ابن عربي قال: "إذا خرج هذا الإمام المهدي فليس له عدو مبین إلا الفقهاء خاصة." (الفتوحات المكية: الجزء ٦، ص ٦٣ طبعة دار الكتب العلمية بيروت) (المترجم)

أجمعت حصرا على أن المسيح ما زال حيًّا في السماء. مع أن هؤلاء الرواة الخمسة أو السبعة في هذه الكتب كلها هم من الطبقة الدنيا، أما العلماء والفضلاء من الطبقة العليا فليس فيهم ولا راوٍ واحد يؤمن بأن المسيح ما زال حيًّا، بل قد ذهب كلهم إلى أن المسيح قد مات، كما حصل إجماع الصحابة كلهم - عند وفاة النبي ﷺ - على وفاة المسيح، ثم لم يكتب أيُّ من الأئمة الأربعة "الإمام مالك، والإمام الأعظم أبو حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام أحمد بن حنبل" رحمهم الله، ولا أيُّ من الأئمة الستة للحديث مثل البخاري ومسلم وغيرهما، ولا صاحب المشكاة أيَّ حديث ضعيف دع عنك الصحيح على حياة المسيح. وكبار العلماء أيضا رفضوا حياة المسيح وأقروا بوفاته، وقد أثبت ذلك بالتفصيل في كُتبي "سراج الحق" الجزء الثالث والرابع والخامس.

فامتناع حضرته عن الذهاب إلى اجتماع الجهلة الرعاع أدَّى إلى دقهم طبول الانتصار المزور، فانتشرت تصرفات افتراءهم، ومع ذلك لم يتخل حضرته ﷺ عن أهل دهلي، وكتب إعلانين أو ثلاثة. تشاور أهل دهلي على أن يرفضوا نشر إعلانات حضرته، وذلك لأنها تُفشَل مكايدهم كلها. فرفض جميع أصحاب المطابع نشر إعلانات حضرته مطلقا، عندها واجه حضرته مشكلة عويصة، فانصرف إلى الدعاء.

وبحسب ما قيل: "سيأتي رجل من الغيب، وينجز العمل"،^١ جاء مولوي وهابي إعلان مدلوله أن تسمية غلام أحمد، وغلام نبي، وغلام رسول وغير ذلك تندرج في الشرك. ولما كان علماء مدينة فتح بور أحنافا، فاستأؤوا من ذلك،

^١ ترجمة قول فارسي. (المترجم)

وتضايق منه مولوي كبير لهم هو المولوي محمد عثمان كثيرًا، فنشر ردًّا على ذلك إعلانًا يفيد أن علماء أهل الحديث هاجموا مرزا غلام أحمد. فلما كانت أسماءنا من هذا القبيل ونحن نجيّزها. ثم جاء هذا المولوي محمد عثمان سرا إلى حضرته عليه السلام وكتب له رسالة طويلة، وكان مما كتب فيها: "أقسم بالله على أنني أحبك كما أحب حياتي، فهؤلاء المشايخ الوهازيون أثاروا فتنة، وأنا لا أؤيدهم، ومع أنني لا أؤمن بأنك مسيح موعود، لكنني معك، فيمكن أن تنشر عن طريقي أي إعلان تريده وغيره، فأحد تلامذتي ناسخ رائع، وسوف أطلب منه إعداد نسخة، وصاحب المطبعة أيضًا تلميذ لي، وسوف أدبر لك الطباعة." ثم أنجز وعده، فحين صدر إعلان حضرته عليه السلام فقد أقض مضاجع المشايخ ونغص حياتهم.

ثم جاؤوا إلى المولوي المذكور وقالوا له نتراجع عن قولنا بأن اسم غلام رسول، وغلام محمد لا يجوز. ثم طلبوا منه العفو وطالبوه الامتناع عن نشر إعلان المرزا، لكنه لا ينفع الندم بعد العدم، فنشأت فرقة بين المشايخ.

ذات يوم حين رأى حضرته عليه السلام أن هؤلاء لا يكفّون عن الفساد، إذ لا يدعون المحدث نذير حسين الدهلوي يخرج للمواجهة، نشر إعلانًا كتب فيه إضافة إلى أمور أخرى: "في يوم كذا سوف أذهب إلى المسجد الجامع في دلهي (دمشق) وقت العصر، وعلى المولوي نذير حسين أيضًا أن يأتي إلى المسجد، وإذا كان لا يريد المناظرة، فأقل ما يجب فعله هو أنني سوف أقرأ عليه -إتمامًا للحجة- آيات القرآن والأحاديث على صدق دعواي بالمسيح الموعود، وكوني المسيح ابن مريم، لئلا يهلك أحد دونا سبب، وبعد أن أنتهي من إسماعي كلامي كله فعلى المولوي نذير حسين أن يحلف بالله قائما في الاجتماع العام،

ويكتب مقسمًا أن استدلال مرزا غلام أحمد القادياني بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بحق المسيح عليه السلام كله غلط ولا تثبت به وفاة المسيح. وبعد هذا القسم عليه أن ينتظر سنة كاملة، وإن لم ينزل عليه العذاب الإلهي خلال سنة فسوف أتلّف كتيبي، وأحرقها، وأتراجع عن دعواي بأني أنا المسيح الموعود وأتخلّى عنها. أما إذا حل بالمولوي نذير حسين العذاب الإلهي الذي يحل دوماً بالكاذبين والمفترين فسوف يتجلى صدقي على العالم. والذي لا يحضر في هذا التاريخ في المسجد الجامع فعليه لعنة الله.

سبحان الله، هل ينال أي كاذب القدرة من الله على هذا التحدي وهذه الرجولة والعزيمة؟ كلا، فإثر صدور هذا الإعلان تفشى الاضطراب في أهل دلهي، وأثيرت ضجة، وفقد المولوي نذير حسين وتلامذته صوابهم. ماذا يفعلون الآن؟ وكيف يمكن أن يصرفوا كأس الموت الأحمر هذا. وأخيرا اخترعوا أمراً وهو أن المولوي نذير حسين شيخ هرم، وقد لاحظ المرزا أنه يشرف على الهلاك، لذا نشر الإعلان، لأنه سوف يموت ويتحقق قوله وتزدهر دعواه. وقالوا لن نسلم بهذا الأمر أبداً، وليس في وسع المولوي نذير حسين المحترم أن يقبل ذلك. وحيثما يوجد الكاذبون، يوجد أيضاً قليل من الصادقين ومحبي الحق، فهم أصروا على أن يحلف المولوي نذير حسين حتماً، فسوف يتميز الكذب من الحق فعلاً. فهذا المعيار رائع لمعرفة الصدق والكذب. فمن يمكن أن ينهى عن ذلك؟ وشاع الخبر في الناس، وبدأ الناس يترقبون ذلك اليوم. أما الذين كانوا يعارضون الفكرة، فعقدوا العزم على قولهم: "اقتلوا المرزا في المسجد، فلن يسألكم أحدٌ في خضم الثورة العامة." فلما جاء الموعد في اليوم الموعود بدأ الناس يتدفقون على المسجد،

حتى ازدحم المسجد بالناس، وفي الطرف الآخر بدأ الناس يأتون إلى حضرته عليه السلام منذ الصباح بين حين وآخر ينهونه عن الذهاب إلى المسجد، خشية حدوث الفتنة والفساد والجدال، فيتعرض للأذى، أو يُقتل، لذا لا فائدة من الذهاب إلى هناك. هؤلاء الناس قد تأمروا على ألا يأتي المرزا إلى المسجد الجامع. كان في ذلك واعظ وصوته جيد واسمه الحافظ محمد أكبر، فهو الآخر جاء إلى حضرته عليه السلام وقال له: إذا أردت أن تذهب فاذهب، إلا أنني أقول لك إن أهل دلهي قد عزموا على قتلك، فبعضهم يحملون السكاكين وبعضهم يحملون الأحجار الحادة، فسوف يمحطون عليك الأحجار دفعة واحدة، وبعد ذلك ينهالون بالسكاكين. قال ذلك بصدق النية، لكن حضرته عليه السلام كان يقول مرة بعد أخرى: لا أبالي بذلك، إن الله معنا، وهو الذي قد قال لي: والله يعصمك من الناس، فعصمة الله تكفي، والله حافظنا وناصرنا، فلن أمتنع عن الذهاب. لأني قد كتبتُ اللعنة على من سيغيب عن الموعد، ولا أريد أن أكون مورد تلك اللعنة.

المسجد الجامع بدلهي وهجوم اليهود

لقد جُمعت صلاتا الظهر والعصر جمعا مقدما، وأحضرت ثلاث عربات بالأجرة. جلس في إحداها حضرته عليه السلام وسيد أمير علي شاه المحترم، والمولوي عبد الكريم السيالكوئي المحترم، وشخص آخر نسيْتُ اسمه. وفي أخرى جلستُ أنا وغلّام قادر فصيح المحترم، ومحمد خان الكبورتهلوي وشخص آخر. وفي الثالثة جلس الحكيم فضل دين المحترم وعدد من الآخرين. فكنا ١٢ شخصا، فلما وصلنا إلى جنوبي باب المسجد الجامع، وجدنا المسجد قد عَجَّ بالناس حتى الدرج، وشاهدنا بأم أعيننا ما كان الناس بمن فيهم المرحوم الواعظ محمد أكبر

قد بينوا. فكان حضرته يتقدمنا بلا أي خوف وعلى يمينه كنت أنا والمولوي عبد الكريم السیالکوتی، فصعدنا إلى الأعلى بمسك كل واحد منا يد صاحبه، وبعضنا كانوا على يمينه وبعضنا على يساره وبعضنا خلفه وفي ذلك الازدحام الرهيب ما الذي كان بوسعنا نحن الاثني عشر نفرا؟ وكان معنا أجير أيضا يحمل الكتب التي أحضرها حضرته. كان الناس ثائرين وفي عيونهم ووجوههم دم. جلسنا نحن الجميع في المحراب المتوسط للمسجد الجامع، فكان حضرته كما هي عادته في الخلوة والمجلس كأنه عروس، وفي عينه حياء الشابة العذراء. فلم يكن ينظر إلى أحد ولا يلتفت إلى أحد، وكان يجلس بجانبه المولوي عبد الكريم السیالکوتی المحترم، وأمامه كومة الكتب، وأمامه هذا العبد المتواضع. بينما نحن جالسون إذ جاء فجأة مسؤول أوروبي برفقة أكثر من مائة شرطي، وحاصرونا والتفتوا حولنا. كان عندي وقتئذ لباس فاخر وهو عباءة ملونة وعمامة ملونة، وبيجامة، ولما كنت طويل القامة، ومرتديا لباسا فاخرا، فنظرًا إلى ذلك قال الناس في الطريق وفي المسجد أيضا إن هذا هو المسيح الموعود. فضحك بذلك كثيرا غلام قادر فصيح ومحمد خان، وكنت أنا الآخر أفرح لأنهم لو هجموا تلقيت أنا الهجوم، ولجذت بحياتي اليوم للمسيح الموعود ﷺ ونلت درجة الشهادة الكبرى، دون أن يصيب حضرته أي مكروه وأذى وألم. رأينا عند البعض أحجارا أيضا، وأيقنت أننا اليوم سنتلقى معاملة المسيح الناصري، حيث كان المشايخ يمشون متكبرين كالفریسیّین والکتابۃ الیهود، مرتدين ألبسة فاخرة، وواضعين عمائم غالية. بينما كان لباس حضرته عاديا بسيطا يتكون من سروال بنجاي بسيط غير طويل وحذاء بسيط مطرز قديم يلبسه من قديم وعمامة بيضاء قديمة على رأسه، و

عبادة وقميص وهذا كل شيء. ورغم هذه البساطة المتناهية كان يحافظ على أناقة متناهية ومهابة.

من المصادفة انتشر الخبر في الناس أن الأحمديين لا ينطقون بالشهادتين ويرفضونهما. وقال بعضهم، هذا ليس صحيحاً لأنهم لو كانوا لا يشهدون لما أتوا إلى المسجد، ولما وجدنا عندهم القرآن الكريم وكتب الحديث والتفسير. وأخيراً تقدم بير مسنّ، وكان يعرفني، فقال لي: ميان صاحبزاده، من أنتم؟ فقلت نحن مسلمون. ثم سأل: ما هو دينكم؟ قلت الإسلام. ثم سأل: ما هو مذهبكم؟ وكان يقصد من ذلك الحنفي والشافعي أو الجشتي والقادري أو المقلدون وغير المقلدين. قلت: الإسلام. ثم سأل ألا تنطقون بالشهادتين؟ فقلت بلى نتشهد، فطلب مني أن أنطق بهما أمامه. فقلت "لا إله إلا الله، محمد رسول الله." بعد ذلك وجّه البير الخطاب إلى الناس، فقال لهم: هؤلاء يتشهدون، وكنتم تقولون لا يتشهدون. فقال البعض: هكذا كنا سمعنا، والآن قد سمعنا بآذاننا أنهم ينطقون بالشهادتين. لكن المشايخ كانوا قد أغوَوْهم فقد قال البعض هؤلاء نطقوا بالشهادتين هنا خوفاً، وإلا فهم لا يتشهدون. فقال بير، ربما تأكدتم من ذلك بشق القلوب. أما نحن فنحكم على الظاهر. ثم سألنا هل تؤمنون بالأنبياء والرسل والأولياء؟ فقلت نعم. فلو لم نكن نؤمن بالأنبياء والرسل والأولياء لما آمنا بأن حضرة المرزا ولي الله ومسيح موعود. بعد ذلك نشأت فيهم الفرقة والخلاف، وبدأوا يتخاصمون. لكن رجال الشرطة الذين كانوا في الزي الرسمي قد صرفوهم.

ثم جاء المولوي نذير حسين برفقة المولوي محمد حسين البطالوي، والمولوي عبد المجيد وغيرهما من المشايخ. فأجلسوه في مكان آخر منعزل، ولم يأتوا به أمام

حضرته عليه السلام. فكانوا يخافون أن يتبين الحق للمولوي فيتكلم إثر رؤية الوجه المنير لحضرته كلاما يهدم ما شيده. ثم أقيمت صلاة العصر. فلما كنا قد ذهبنا إلى هناك بعد أداء صلاة العصر جمعا مقدما، لذا لم تكن حاجة لنلحق بالصلاة، لكنهم أرادوا أن نلحق بالصلاة. وكان التكبير قد رفع، وهم انتظروا التحاقنا. فقال بعضهم تعالوا نصل، فقال المولوي عبد الكريم السيلكوتي رحمته الله آتينا بعد أداء الصلاة جمعا مقدما. بما أن غير المقلدين يجيزون جمع الصلاتين، لكن العامة كانوا أغلبهم أحنافا، فقالوا ما معنى جمع الصلاتين؟ فهل هم روافض. وبيننا نحن كذلك، إذ جاء مولوي محترم أمام حضرتته عليه السلام وقال له منحنيا: ثابت من الأحاديث الالتحاق بالصلاة حتى لو كنتم قد صليتم. فقال المولوي عبد الكريم المحترم: نعرف جيدا، فقد آتينا إلى هنا بعد أداء الصلاة جماعة. فصلّى أولئك كلهم جماعة، إلا أنهم أقاموا المولوي نذير حسين بعيدا حتى في الصلاة.

هذه هيبة الله وليست هيبة زاهد^١.

فلما فرغوا من الصلاة حاصر المشايخ المولوي نذير حسين فأجلسوه في مكانه السابق في القاعة بجانب الباب الشمالي. ثم ظل المولوي محمد حسين البطالوي جالسا مع أستاذه محفوظا. أما المولوي عبد المجيد وعدد من المشايخ فجاءوا وبدأوا يتكلمون مع ضابط الشرطة. ومن هذا الجانب سأل غلام قادر وأجاب كثيرا، وتكلم كثيرا وأدى حق الكلام. قال المولوي عبد المجيد لضابط الشرطة: إن هذا الرجل ادعي أنه هو المسيح الموعود، ويرانا نحن وإياكم على الباطل. وإن المسيح ابن مريم الذي نراه نحن وأنت حيا يعدّه المرزا من الموتى

^١ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

الذين تُؤفُّوا، ويقول أن يناظره المولوي نذير حسين المحترم حول موضوع حياة المسيح ووفاته، ونحن نقول أن يناظرنا حول دعواه بأنه هو المسيح الموعود. فقال غلام قادر فصيح المحترم لضابط الشرطة إضافة إلى أمور أخرى: انظر يا سيدي، ما لم يكن المنصب فارغا لا أحد يستحقه، لذا يجب أن يكون الحوار أولا حول موضوع وفاة المسيح وحياته. ثم يمكن أن يكون النقاش حول دعواه أيضا. فإلى الآن يعدّ هؤلاء المسيح حيًّا، فإن ثبتت حياته فالحوار حول دعواه بالمسيح الموعود يكون عبثا، إذ يكون هذا الادعاء باطلا من تلقاء نفسه، وإذا ثبتت وفاة المسيح فسيكون واجبا الحوار حول كونه مسيحا موعودا وإذا ما كان هو المسيح القادم، أم غيره من هذه الأمة. فقال الضابط: لا شك أن هذا الأمر صحيح. لماذا لا تناقشونه حول هذا الموضوع؟ فتمسك برأيه هذا. ثم جرى الحديث حول القسم فرفضوا ذلك أيضا قائلين إن المولوي المحترم مسن وضعيف وهرم فلن يحلف، ولن ندفع المولوي المحترم للحلف. فقال حاكم الشرف محمد يوسف لحضرته أن يكتب معتقده، إذ يزعم الناس أن معتقده مناف للإسلام، فسوف يقرأ مكتوبه على الجميع. فكتب حضرته عليه السلام وقد نُشر، وملخصه: إني مسلم وأؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله ولا أنكر أي معتقد إسلامي، لكنني أوّمن وأوقن بأن المسيح عليه السلام قد مات. فلما كتب حضرته ذلك أراد محمد يوسف أن يقرأه على الناس، لكن المشايخ الذين كانت نيتهم فاسدة أمثال عبد المجيد وغيره لم يسمحوا له بذلك، وثار الناس أكثر، وتفاقم الوضع بسبب الغضب وإغواء المشايخ، فلما لاحظ ضابط الشرطة أن الفتنة تكاد تندلع، قال -باللغة الإنجليزية- لمسؤول تابع له أن يشتت الناس، فهم ثائرون جدا، ونواياهم خطيرة. فأعلن ضابط

الشرطة ومحمد يوسف أنه لن تكون هناك مناظرة، فلينصرف الجميع. كان الحافظ محمد أكبر المرحوم يتجول حولنا قصد الحراسة، فانتشر الناس وانصرف المولوي نذير حسين قبل الجميع مع تلامذته، فقد كان يجلس في القاعة قرب الباب، فوجد الخروج من هناك حيا مغنما. وبعد ذلك انطلق حضرته عليه السلام من هناك. وكان جميع رجال الشرطة ملتقّين حولنا، وضابط الشرطة بجانب حضرته عليه السلام، فلما وصلنا إلى الباب الشمالي بحثنا عن العربات أين ذهبت - إذ كنا قد دفعنا لأصحابها أجرة الذهاب والإياب - ولم نعرف أن الناس قد صرفوها أو أخفوها، فقد اخترعوا طريقا للإيذاء، ولم نجد عربات أو مركبات أخرى أيضا، إذ كانوا قد خططوا ألا تقترب المراكب من المسجد. ظللنا واقفين أكثر من ربع ساعة ننتظر المركبة، وفجأة أثار الناس فتنة وثورة. كان ضابط الشرطة ذكيا وبارعا فقال لحضرته: يا سيدي ينبغي أن تصل إلى بيتك راكبا في عربي الخاصة، فالناس لهم نوايا خطيرة. فعاد حضرته برفقة المولوي عبد الكريم المحترم في العربة. أما نحن فانطلقنا لاحقا مشيا على الأقدام، كان الضابط قد قال لسائق العربة أن يوصل حضرته بأسرع ما يمكن، فحين ذهب حضرته من هناك أراد كثير من الناس أن يتحرشوا بنا ويناقشونا نحن البقية. فلما لم يكن المحل يقبل الكلام، لزمنا الصمت. ظل ضابط الشرطة واقفاً عند درج المسجد حين عودة العربة بعد إيصال حضرته. ثم حين انطلقنا من هناك بخير وعافية ظل أيضا واقفا هناك يشتم الناس. من الجدير بالذكر هنا أن المسيح الموعود عليه السلام كان نشر إعلانا أنه في يوم كذا سيذهب إلى المسجد، فجلس كثير من الأشقياء في الطريق له بالمرصاد، فطلقوا الرصاص على حضرته بالبندقية. لكن حصل بمشيئة الله أن

الطريق الذي كنا قد اخترناه قال لنا أصحاب العربات أن نغيره، فكأن الله ﷻ بحكمته ألقى في قلوبهم أن يعارضونا في اختيار الطريق. فلما وصلنا إلى المسجد بخير وأمان بدأ يتحسر أولئك الذين كانوا يتربصون بنا على سطح بيت بنية الاغتيال على فشلهم وخيبة أملهم، فصدق قانون الله ﴿وَمَكْرُؤُهُمْ لَمَّا كَرِهَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ٥٥).

إذا كان الصديق عطوفاً، فأبي ضرر يمكن أن يلحقه العدو.^١
 ذات يوم جاء المولوي محمد أحمد مع عدد من المشايخ وقال لحضرته: لو ادعيت أنك وليٌ لقلت آمنا وصدقنا قبل الجميع، لكن ادعاءك بأنك أنت المسيح الموعود يحبك في صدري وأشك فيه. وإذا تخلّيت عن هذه الدعوى فستتبعك أهل دلهي كلهم. لقد رأيت كتاباً لأحد الأوروبيين قد ورد فيه أن النبي ﷺ ادعى بكونه نبياً مستقلاً، لذا امتنع النصارى عن الإيمان به، فلو صار رسولا بواسطة وكان تابعا للمسيح، لآمن به كل النصارى. فكان قول محمد أحمد هذا من هذا القبيل. فالفتن والمفاسد التي أثارها محمد أحمد لم تكن أقل من شرور محمد حسين البطالوي وفتنه.

كان المؤمنون بالمسيح الموعود عليه السلام يواجهون المشاكل والمعاناة لدرجة أن يصعب شراء شيء من السوق، حيث كان كثير من الناس يزدحمون أمام بيته كل حين وآن، ولم يكن يهمهم غير السخرية والاستهزاء مطلقاً.

ذات يوم جاء شيخ مسنّ ذو لحية بيضاء إلى بيت حضرته عليه السلام، فلما كان حضرته في الطابق العلوي وكنت في الطابق السفلي فقابلني، وقال هل

^١ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

أنتم تكفرون بالقيامة؟ فقلت كلا، من قال لك؟ ومن أيّ منا سمعت ذلك؟ فقال ذلك الشيخ: هذا الإعلان يقول ذلك، وهو عندي، وقد ورد فيه اسم الكتاب ورقم الصفحة والسطر الذي قال فيه المرزا: ليس هناك أي قيامة. فقلت هذا الإعلان للمعارضين، فهم لا يُهمهم غير إلصاق هذه التهم والبهتانات، فالإعلان كذب وافتراء محض. فقال الشيخ قد ورد في الإعلان اسم كتاب إزالة الأوهام، فأرجو إحضاره فلنقرأه، كيف يمكن أن يكذب المشايخ هذا الكذب الصريح. فكان عندي إزالة الأوهام وقدمته له، وقلت له يمكن أن تتأكد من هذا الكتاب أين ورد إنكار القيامة بحسب الصفحة والسطر المذكور بالإعلان. فأخذ الكتاب وتصفّحه بحسب التفصيل المذكور في الإعلان ولم يجد أي ذكر مطلقاً لذلك هناك. فقال يمكن أن يحدث خطأ الناسخ في الإعلان. فقلت له: إذا كنت تظن ذلك فأرجو أن تتصفح الكتاب كله. فتصفح فوراً نصف الكتاب، ثم قال: أرجو أن تعيرني هذا الكتاب، سأراه في البيت. فكنت أتمنى أن يقرأ الكتاب كله بأي طريقة ممكنة، فأخذ مني الكتاب إلى البيت وجاء في اليوم التالي يشتم صاحب الإعلان، وقال لي: الآن أيقنت أن المشايخ كاذبون.

ذات يوم جاء سكان دلهي قصّد الفتنة والثورة والهجوم إذ حاول المئات منهم اقتحام البيت، ولما كان باب الدرج ضيقاً كانوا يأتون فرادى، ثم فجأة جاء سيد أمير علي شاه المحترم، فمنعهم من ذلك. هم حاولوا الدخول بقوة لكن الشاه المحترم كان قوي الجثة فدفعهم بقوة، فسقطوا بعضهم على بعض وهربوا ولم يقدروا على غير السب والشتم والاستهزاء.

ذات يوم جاء رحيم بخش فقير الشقي الخبيث ابن المرحوم هيره شاه، فلما كنت أعرف أن هيره شاه كان رجلا سعيدا وصالحا جدا، لكنه خلا قبل دعوى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام وكان رحيم بخش هذا يعرفني، فجاء إلي وقال لي: يا سيدي! أين أنت؟ فقلت أنا هنا. فقال: أنت رجل صالح وابن الصلحاء، كيف أصبحت من مريدي المرزا؟ فقلت إن الصلحاء يعرفون الصلحاء والأولياء يعرفون الأولياء. فقال: كيف عرفت أن المرزا صالح؟ فقلت كما عرفتني وآبائي أننا صلحاء وأولياء؟ فقال قد أظهر آباؤك الكرامات. فقلت قد أظهر حضرة المرزا هو الآخر الكرامات. فقال أنا أيضا أستطيع إظهار الكرامات من هذا القبيل. فقلت له أن يُظهر، ولطمته لطمه قوية وقلت له: أظهر الكرامات الآن ففزع، فلما رفعتُ يدي لألطمه أخرى بدأ يتوب ويطلب العفو. فهناك طباع لا تكاد تقبل بغير الضرب واللطم، وهذه هي فلسفة جهاد النبي ﷺ، فافهم.

باختصار، كان من شروط المناظرة مع المولوي محمد بشير أن يكتب كل فريق خمسة مقالات، لكن حضرته أنهى المناظرة بعد كتابة ثلاثة منها فقط، وذلك لأنه رأى أن المولوي بشير ليس عنده دليل جديد وإنما هو يكرر كلامه مرارا وكان بذلك يضيع الوقت فحسب ولم يتوقع منه أي نتيجة. فأثار المولوي محمد بشير ومجدد علي خان شغبا كبيرا أن ذلك يعارض العهد. فقال حضرته: ما دمت لا تملك أي دليل فما الفائدة من إطالة المناظرة دون مبرر، فهذه المقالات تكفي الناس ليعرفوا الحق والباطل.

في دلهي أقيمت جلسة انتقد فيها المشايخ محمد حسين البطالوي، وقالوا له لقد ناظرت المرزا في لدهيانه فماذا أنجزت فيها؟ إذ لم تتكلم في صلب الموضوع.

فقال البطالوي: كيف كان يمكن لي الكلام حول المحور الأصلي، فالقرآن الكريم لم يذكر حياة المسيح ورفعته إلى السماء، ومن الحديث يثبت النزول فقط. فكنت أجزّ المرزا إلى الحديث وكان يسوقني إلى القرآن. ثم قال له المشايخ: لقد نشر المرزا هذه المناظرة، لماذا لم تنشر أنت إلى الآن؟ فقال: سوف أنشرها في مجلتي إشاعة السنة. فقالوا له فلتذهب أنت ومجلتك إلى الجحيم. كان عليك أن تنشر هذه المناظرة في صورة كتاب منفصل. تثير شغبا كثيرا، ولا تقدر على إنجاز شيء. فلامه المشايخ كثيرا. ونعم ما قال قائل:

كيف تستحي وأنت سكران أمام الرجال.^١

بعد هذه المناظرة بدأ حضرته يستعد للعودة، وطلب العربات، وانطلق إلى محطة القطار. وعند الركوب عانقني على عكس المعتاد وقال: الآن يمكن أن تنصرف، وعُدّ إلى قاديان عاجلا، فلا يروق لي أن أسافر وأتركك هنا. ففي أمان الله، الله معك.

حين كان حضرته يستعد للانطلاق إلى قاديان أراد أن نصلي العشاء، لكنه قبل أن نبدأ الصلاة وكنا اصططفنا، جاء الحاج الحكيم الله بنده من جيند وانضم إلينا في الصلاة. وبعد التسليم قال: إني هنا في دهلي من ثلاثة أيام، ولم يتسنّ لي الوصول إلى هنا، إذ قد نهاني الناس قائلين إن المرزا كافر، ستصبح أنت أيضا كافرا. اليوم بالمصادفة شاهدتك فهرعت إليك، أرجو أن تدبر لي مبايعة حضرته عليه السلام. فقلت لحضرته يا سيدي! هذا الحاج الحكيم "الله بنده" قد جاء من جيند وهو على بُعد ٦٠ ميلا من هنا، ولم يسمح له الناس بالحضور إلى هنا. فهو من

^١ ترجمة مثل فارسي. (المترجم)

معارفي، وأولاده وزوجته من مرديي، لكنه كان مريدا لشخص آخر، والآن يريد أن يبايعك. فقال: أكاد أنطلق. فقلت إن انطلاقكم سيأخذ وقتا أرجو أن تأخذ بيعته. (وهذا الحكيم الحاج الله بنده هو نفسه الذي ذُكر مع المرحوم يوسف علي) فقال حضرته عليه السلام إذن نادِه، فقلت له تعال يا حكيم بايع. فجاء، وحين مدَّ حضرته يده إليه لم يمد الحكيم، وقال: أرجو أن تسمع لي أولا طلبا. فقال حضرته عليه السلام تفضل، فقال إن مدينة جيند يحكمها الشيخ وهي ضمن ولايتهم، فلا يُرفع هناك الأذان من قرون، وإذا أذن أحد مصادفة يغرم ٢٥ روبية، أرجو أن تدعو أن يُرفع هناك الأذان. فهذه ستكون آية عظيمة لك. وإذا حصلت فسأبايع وإلا فلا. سبحان الله كم كانت الساعات مباركة، إذ قال حضرته إن شاء الله سيكون هناك أذان، وبكثرة. تعال بايع، فمدَّ الحاج يده وبايع ثم بكى كثيرا وقال: صدرت مني الإساءة. لكن في أمر الدين لم يكن لنفسي أي دخل، فأنا فداء لقدرة الله، ولا أعرف بأي حرقه دعا أو كان قد قال ذلك إثر وحي أو إلهام، إذ بعد بضعة أعوام وصلت إلى هناك السكة الحديدية والعمال وبدأوا يؤذنون، والآن قد سمح الرئيس نفسه عموما للمسلمين بأن يرفعوا الأذان في المساجد علنا. فلا مانع هناك. أثار الهندوس ضجة أن هذه الأرض طاهرة وأرض الدين لم يُرفع فيها الأذان قط، فلماذا تسمح به. لكن الرئيس لم يستجب لهم، وأطلق سماحا عاما برفع الأذان وسُجل القرار في المكاتب أيضا.

آية بشير السهسواني

الآن أكتب عن المولوي محمد بشير وهي آية من آيات الله، وهي أني أثناء المناظرة ذهبتُ قصدَ الزيارة إلى المرحوم شيخ نصير الدين الدهلوي، والمرحوم

المولوي محمد بشير. فكان يكتب الرد على مقال حضرته عليه السلام، فقال له شيخ نصير: مولانا، انتبه يجب أن تكتب الرد على مرزا المحترم بحذر واحتياط فهو عالم وفاضل. فقال المولوي محمد بشير: الحقيقة أن الرد على السيد مرزا صعب جداً، لقد ورطني الناس في مشكلة، ويصعب علي كتابة الرد. وعندما انتهت المناظرة بين المولوي محمد بشير وسيدنا المسيح الموعود عليه السلام، أثار المولوي بشير ضجة بعد الوصول إلى بهوبال أنه قد أحرز الانتصار، وقال ذلك خصيصاً لحضرة مولانا محمد أحسن الأمروهي المحترم لأنه كان موجوداً في بهوبال ويعمل موظفاً هناك.

هنا يجب مشاهدة تجلي قدرة الله ذي الجلال والإكرام. فبعد مضي أيام معدودات على هذه المناظرة، جاء شخص إلى بهوبال وربما كان اسمه أحمد علي، وصار بعض الناس يعتقدون فيه، والمولوي محمد بشير أيضاً بمقتضى قدر الله الخاص ذهب إليه يوماً وصار من مريديه فوراً، ومن ثم توفرت له دواعي الذلة، فقد بايع المولوي بشير هذا الرجل. وبعد البيعة نشر مؤخراً إعلاناً يفيد أن هذا الرجل هو حصراً مجدد القرن الرابع عشر، وأن الصلحاء وأهل الله يكونون من أمثاله. وكتب في إعلانه: فقد بايعتُ هذا الصالح الواصل إلى الله بصدق القلب، وإنني أعلن بكل قوة أن على الناس أن ينضموا إلى مريديه، فقد صليت خلفه وتمتعت بها كثيراً. فلم يتيسر لي هذا السرور والمتعة طول الحياة. وزَّع هذا الإعلان بالآلاف في الهند كله والبنجاب، وأرسل قرابة ٤٠٠ إعلان إلى حضرته عليه السلام ليوزعها على مريديه، وكتب إليه رسالة أيضاً طلب فيها منه أن ينشئ العلاقة بهذا الصالح ويصبح مريداً له، لكي يحظى بالمعرفة واللذة والسرور، ولكي يعرف أن هذا هو شأن المجددين وأولياء الله، وأنهم يكونون على هذه الشاكلة.

فكان المولوي يقصد من ذلك، بحسب المثل القائل: المدعي مقصر والشاهد نشيط. حيث كان ذلك الرجل بنفسه يرفض والمريدون يصفونه بما يريدون، فالذين يدعون بلسانهم هم لا يكونون واصلين بالله، والمولوي الذي كان يجهل سنة الله ما أدراه ما هو منهاج النبوة.

الآن ينبغي مشاهدة تجلي قدرة الله الثانية:

كل يوم هو في شأن

بعد مدة قصيرة تقدر بأقل من شهر، صدر من المولوي بشير إعلان آخر، كتب فيه أن هذا الرجل الذي كنت بايعته قد تبين أنه خبيث ووعد وزان ويضاجع الغلمان، كنت قد انخدعت به. والآن فسخت بيعته، لأنه شرير ومخادع، فلا يقعن في فخه أحد. ونشر هذا الإعلان الثاني بعدد أكبر من الأول، ووصل الأمر إلى أنه حيثما وصل "أحمد علي" هذا، لحق به رجال المولوي بشير يوزعون الإعلانات، وأرسل مئات الإعلانات إلى حضرته عليه السلام أيضا بالبريد، وبذلك هيا بنفسه وسائل ذلته. قلت لحضرته عليه السلام أن يسجل في كتابه هذه الآية التي تسببت في هوان المولوي بشير وإكرام حضرته عليه السلام.

فقال حضرته عليه السلام: ما الذي يمكن أن نضيف إلى ما كتب بنفسه.

الآن ينبغي ملاحظة تجلي قدرة الله الثالثة؛ فبعد بضعة أعوام أقيل المولوي بشير من منصب المفتي لولاية بهوبال، وطرد منها مهانا، واعتقل عقابا من الحكومة، وكان ذلك في الحقيقة عقابا إلهيا شديدا. وكان يتقاضى مائة روبية راتبًا شهريًا، فقد ألغي وقُطعت عنه التقاعدية أيضا، فلم يبق له أي حق.

هرب المولوي بشير إلى دلهي خائفاً مذعوراً، فجمع له بعض غير المقلدين تبرعات تقدر بخمسين روبية تقريباً.

شاهدوا الآن تجلي قدرة الله الرابعة؛ فقد عاش مدة قصيرة في دلهي ومات بالطاعون. تزوجت أرملة شخصاً آخر، وعاشت بألم ومعاناة وحزن ولم تجد راحة ولا سكيناً، ثم خرجت من عنده أو أُخرجت، ولم يشفق عليها أحد. أيّ عزيز أعرض عنه وعن أعتابه لم يجد عزّاً في أي مكان آخر.^١

الآن لاحظوا الآية الخامسة لغضب الله المنتقم الحقيقي؛ وهي أن ابن المولوي بشير أصيب بالجنون، وأخيراً مات هائماً مشرداً في حال البؤس. صدق الله تعالى ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. فالله ﷻ لا يصيب الشقي سيء الحظ بخزي وهوان فحسب بل لا يعبأ بأولاده وزوجته أيضاً، ويهينهم ويخزيهم، ﴿نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾. فهذه خمس آيات أظهرها الله ﷻ للمولوي محمد بشير من أجل حضرته عليه السلام. أما الخزي والهوان الذي أصابه في نفسه فهو أدري به.

هذا الحادث قد اطلع عليه حضرة الفاضل الأمروهي مولانا سيد محمد أحسن والكثيرون عن طريقه، وهو لا يخفى على أحد، من المؤسف أنني فقدت كلا الإعلانين للمولوي بشير. وإذا استطاع أحد فليبحث عنهما حتماً، وسوف أسجلهما في الرحلة في مناسبة ما، إنما كتبت ملخصهما.

بعد ذلك انطلقت من سرساوه إلى كرنال لمتابعة قضية وكان بينهما أنباله. وصلت إلى بيت جناب شودري رستم علي خان عليه السلام. كان حضرته يعمل هناك مفتش المحكمة، وحين سمع الإخوة عن مجيئي جاءوا إلى أنباله، وقابلنا غير

^١ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

الأحمديين أيضا. كثيرون طلبوا مني الوعظ، (وأغلبهم كانوا غير أحمديين) فوافقت، في المدينة تم الاستعداد للوعظ، فألقيت الوعظ ليلا لساعتين أو ثلاث ساعات، فكان الجميع مسرورين فرحين. بعد الوعظ قال الجميع: كان الوعظ جيدا، وبحسب ما قال الله ورسوله، لكنك لم تبين ما قد اجتمعنا من أجل سماعه، أي أنك لم تذكر ماذا يقول حضرة المرزا. فقلت إنما يقول حضرة المرزا ما قد بينته لكم الآن.

فقالوا حسنا، لكننا نريد أن تبين لنا بذكر اسم المرزا المحترم أنه يقول كذا. فقلت لهم إذن يجب أن تعقدوا مجلسا آخر غدا للوعظ، لأبين ذلك بحسب مبتغاكم، فأعلنوا في اليوم التالي عن عقد مجلس الوعظ فجاء الناس بعدد أكبر من الأمس، ويقدر عددهم بستة مائة شخص.

فألقيت الوعظ باختصار وبينت بعض الأمور بشيء من التفصيل، فقام بعد الوعظ شيخان هرمان، وقالوا قد تبين لنا أن المرزا المحترم على حق، وإنما هناك اختلاف في الاسم فقط. فكما هناك الجشتي والقادري والسهورودي والآن يمكن أن يسمى أحد نفسه أحمديا أو قاديانيا.

ثم وصلت إلى كرنال، حيث كان عليّ الحضور في المحكمة لمتابعة القضية. رأيت ليلا في الرؤيا أن مع حضرته عليه السلام مئات الآلاف من الناس، ويتوجهون إلى مصلى العيد لأداء صلاة العيد. فأتمّ حضرته صلاة العيد ولحقته أنا أيضا، وبعد الصلاة جاء حضرته إلى بيتنا برفقة عدد من الأشخاص، ثم استيقظت. فلما قصصت هذه الرؤيا على أخي الأكبر شاه خليل الرحمن النعماني قال إن شاء الله سنربح القضية، وهذا ما تحقق، فقد منّ الله علينا بالفوز، وصدر الحكم بحقنا.

ثم ذهبت إلى سرساوه فمرض ابني فرقان الرحمن واشتد مرضه حيث انقطع الأمل في حياته، ثم توفي. لما كانت سرساوه قرية العمين الجهلة، حيث لا أحد يذكر الدين وإنما يلهثون وراء الدنيا. لم يذهب معي أحد للجنائز، وبعض الذين ذهبوا لم يشتركوا في صلاة الجنائز، إذ لا يصلُّون أصلاً فكيف يصلون جنازة أحد. قبل ذلك حدث في حارتنا أن مات مختار القرية غير الأحمدى، وكان لا يصلي في حياته، وذهبت أيضاً مع جنازته، ولما كان أقرابه أيضاً لا يصلون الصلاة المكتوبة، فقاموا على حدة وقالوا لي أن أصلي الجنازة، فرفضتُ قائلاً: كان المتوفى لا يصلي إذ لم يجب أن يصلي، فلماذا نقوم عند جنازته بفعل كان لا يحبه. ثم لم يكن أحمدياً، وثالثاً قد انفصلتم أنتم الذين هم أقرابه، وتطلبون مني أن أصلي عليه الجنازة. فهل نحن عمال أجراء؟ إذا كنتم تريدون فصلوا أنتم، فانزعجوا من ذلك ونادوا إمامهم من المسجد، فصلى الجنازة مع رجلين فقط، وأنهى الصلاة خلال دقيقة واحدة. فسخطوا مني كثيراً، لكن لم يكونوا ليفعلوا شيئاً، وإنما امتنعوا عن حضور جنازة ابني. وقلت أنا الآخر: إذا كان أحد يريد الجنازة فلا يتكلف لأننا لا نحب أن يصلي على جنازة الأحمدى غير الأحمديين، حتى لو كان الإمام أحمدياً. ثم كتبتُ رسالة إلى حضرته عليه السلام وطلبت منه الدعاء للصبر. وأن يصلي على ابني جنازة الغائب، فقد توفي ابني فرقان الرحمن، فكتب ردّاً على ذلك بالخطاب المبارك التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني رسالتك الكريمة المليئة بصدمة الحزن والفجعة، إنا لله وإنا إليه راجعون. ولأن الله تعالى حين يُنزل على عبده مصيبة يُصيبه بعد ذلك براحة

أيضا، لذا ينبغي أن لا يقنط الإنسان من رحمة الله تعالى وفضله في أي حال، وفي نفس الوقت يجب أن يستغفره كثيرا ويتوب إليه، إذ بعض المصائب تظهر بسبب بعض الذنوب أيضا، والله على كل شيء قدير. فإن شاء وهب لك عشرة أبناء مكان ولد واحد، فهو قادر على كل شيء.

إنك لست في سن اليأس، فقد رأينا بأنفسنا أن البالغ تسعين عاما أنجب أولادا، كما يمكن للنساء حتى سن الخامسة والستين أن يُنجبن أطفالا. لا شك أن القلب يشعر بالحزن لما يخطر بالبال مدى عناء تكبدته في تربية ابنك فرقان الرحمن، ومدى آمال عقدتها عليه، ولكن مثل هذه المصائب تلازم الجميع، فالذين يتوكلون على الله تعالى ينالون المراد بالنهاية. لقد اعتقدتُ دوما أن هذا السفر إنما كان نحسا، إذ اضطررتُ لإنشاء الصلوات بأولئك الناس الذين هم أعداء الحق والصدق ويُجيزون كل مكر وخداع، ومن عادة الإنسان أنه بعد تعلقه بأمثالهم يتعرض لأنواع العثرات، لذا أخشى أن يكون هذا عقابا من الله تعالى.

ومعلوم أن الأطهار والأتقياء أيضا يتعرضون لمصيبة أحيانا، كما ورد أن أحد عشر ولدا للرسول ﷺ ماتوا، ولكنه ظل ملتزما بالصبر الجميل ولم يجزع ولم يفزع قط، لذلك ورد أن المصيبة نوعان: الأول مصيبةٌ لرفع الدرجات وهي تنزل على الأنبياء وجميع الصادقين، والآخر مصيبةٌ تحل على المرء جزاء على سيئاته في حالة المعصية والغفلة، وتجعله مجنونا من شدة الحزن. المهم أن تلك المصيبة تُرفع بالاستغفار والتوبة ويعوض الله تعالى بما هو خير. إن الله يحب التوابين، ولا سبيل إلا الخضوع أمام الله تعالى. إن حياة الدنيا مليئة بكل أنواع المرارة ولكن

الذي يتوب توبة صادقة ويستأصل من نفسه جميع جذور المكر والخداع تغمره
رحمة الله تعالى ويخرجه الله تعالى من النار، ولا وليّ لأحد إلا الله تعالى. والذين
يأتون الله تعالى يستحقون رحمة الله تعالى، فهو ينظر إلى القلوب لا إلى الألسنة.
لقد تلقيت صدمة كبيرة بقراءة خبر وفاة ابنك، رزقك الله تعالى بديله، آمين.
في البيت حزنتُ جدا زوجتي وأمها أيضا لسماع هذا الخبر وأصابتهما صدمة
شديدة وظللتا تبكيان، ولكن أين المفر من قضاء الله تعالى وقدره. إنما جربت
أن الله تعالى عندما يُنزل عذابه على أحد فوق طاقته يكون ذلك نتيجة بعض
ذنوبه، وإلا فهو كريم ورحيم للغاية ولا نهاية لرحمته، والذين يُنبئون إليه ﷺ
بصدق القلب فإنه يُنقذهم من صدمات تفوق طاقتهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العبد المتواضع

مرزا غلام أحمد

من قاديان

١٣ آب/أغسطس ١٩٠٧ م

لقد أبدتُ زوجتي الصبر على وفاة ابنها، ولم تذرف عينها سوى دموعات
معدودات. واسترجعت، ولم تنزع ولم تقم بأي تصرف مناف للشريعة وتعليم
حضرتي ﷺ. كما أن ابنتي ساجدة وقائدة أيضا ذرفت دموعا فقط، جاءت بعض
النساء وأردن البكاء والقيام بتقاليد جاهلية، فنهتهن زوجتي. فانزعجن كثيرا، وقلن
لن نأتي إليك أبدا. فقد فسدتن باعتناق القاديانية، ولهذا مات هذا الولد، ثم
انصرفن. كانت بعضهن من أقاربنا السادات وبنات الشيوخ. والجدير بالذكر أن

حضرته عليه السلام كتب في هذه الرسالة المباركة: "لقد اعتقدت دوماً أن هذا السفر إنما كان نحساً إذ اضطررت لإنشاء الصلوات بأولئك الناس الذين هم أعداء الحق والصدق ويُحيزون كل مكر وخداع، ومن عادة الإنسان أنه بعد تعلقه بأمثالهم يتعرض لأنواع العثرات، لذا أخشى أن يكون هذا زجرًا من الله تعالى".

فعلاً أصاب حضرتته جدًّا في قوله هذا، ويبدو أن الله تعالى كان قد أظهره له في الكشف، أو كان قد ألهمه.

الذي حصل أني حين ذهبت إلى سرساوه، أقيمت بعده بأيام احتفالية العرس^١ بحق والدي الماجد حضرة شاه حبيب الرحمن المحترم، وكان أخي الأكبر شاه خليل الرحمن يشرف على فعاليات العرس. ومن طقوس العرس أن المريدين من الحضور يفرضون على أنفسهم نذراً لحل مشاكلهم، وهو أنه إذا تحقق أمرهم، فسوف يقدمون للقبر كسوةً جديدة ويضعون عليه الأزهار. وفي هذا العام نذر الكثيرون بالأغلفة، ولهذه المناسبة تُنشد قصائد مختلفة. ثم تُحمل الكسوة من بيت أخي ويكون مكان الانطلاق بيت أخي، ثم يحملها كل واحد بالدور واضعاً إياها في صحن إلى زاوية. وفي الطريق يكون إنشاد "القبالي" بانتظام، ويصاب الصوفية بوجد، وهكذا يقطعون مسافة ربع ميل تقريباً ويضعون الأزهار والكسوة على القبر، ويكون معهم الحلوى والمال أيضاً.

كنت في ذلك اليوم مريضاً، وسكتت زوجتي من هيبة أخي، فوضع أخي تلك الكسوة على رأس ابني فرقان الرحمن، وانطلق بها، وهذا هو الأمر الذي ذكره حضرتته عليه السلام في رسالته.

^١ العرس هو احتفال سنوي عند ضريح ولي أو مرشد أو صاحب زاوية. (المترجم)

كان حضرته يتمنى ويحب أن يُقلع الناس عن كل البدع، والخرافات والمنهيات، وإن كان لا يقول ذلك لأحد بلسانه، وكان يدعو كثيرا من أجل ذلك، ويراقب حال كل واحد.

لقد ربحْتُ القضية ببركة دعاء حضرته وتوفي ابني، ثم انطلقت من سرساوه إلى قاديان، وكانت خطتي أن أصل إلى قاديان انطلاقا من سرساوه إلى ميرته، ومن هناك إلى دلهي، ومن هناك إلى جيند، ثم إلى بهتندة وإلى لاهور، لأصل دار الأمان.

ولما كانت زوجتي ضعيفة ومصابة بصدمة وفاة ابنها فقد ظهر عليها بعض الآثار النفسية نتيجة المصاب، فخطر ببالي أن حالها سيتحسن في السفر وتستعيد صحتها، لذا ذهبت بها إلى ميرته ونزلت في بيت الأحمدى الأخ الكريم شيخ عبد الرشيد المزارع، فأكرمني كثيرا، كما ضيَّفت النسوة في بيته زوجتي بإكرام. أقمت عنده أربعة أيام وانطلقت إلى دلهي، حيث أقمت ليلة واحدة وانطلقت إلى جيند، حيث كنت أنوي المكوث يومين أو ثلاثة، لكنني أقمت هناك شهرا، وهناك كان كثير من سكانها مريديّ، فهم يقابلوني لكن يرفضون حضرة المرزا، حيث لا يقولون ضده شيئا أمامي، وفي غيابي يذكرونه بما يروق لهم.

هناك مولوي يनावيني العداء دوماً، ويدعى محمد يوسف الحداد، وعندما يواجهني لا يقول شيئا، وفي غيابي يفتي دوما بكفري، وتارة يطلب من دلهي بقول الزور فتوى تكفيري، وطورا من لاهور بإلصاق التهم بي.

لكنه هدأ حين بايعني شيخ عباس علي الضابط في الجيش في ولاية جيند إذ لا يقدر على فعل شيء أمامه ولكن قلبه كان يحترق غيظا وكمدا، فنصحته

ووعظته كثيرا أني آتي إلى هنا مرة بعد سنتين، وأحيانا بعد خمس سنوات، وأنت تقيم هنا دوما، فلماذا تسخط علي؟ فهل المسلم من حسد وأبغض وأضمر الحقد في القلب؟ أنا لم أعرقل قطّ أعمالك ولا المآدب التي تُقدّم لك، بل أطلب من أتباعي أيضا أن يدعوك للطعام. لكنه مجبول على ذلك.

والباقي في الجزء الثاني إن شاء الله

تَذْكِرَةُ الْمُهْدِيِّ

الجزء الثاني

المقدمة

لقد بيع سريعا الجزء الأول لتذكرة المهدي الذي حجمه ٣٧٥ صفحة، وكنت أنوي طباعة الجزء الثاني أيضا بعدد الصفحات نفسه، لكنني لم أستطع ذلك لغلاء الورق، ولم يكن عندي مالٌ أيضا، ووعد بعض الإخوة بالمساعدة المالية، ولم يستطيعوا الإيفاء به لسبب أو آخر. ومن ناحية أخرى كان كثير من الإخوة يطالبونني بطباعة الجزء الثاني عاجلا. كما كان حضرة الإمام واجب الاتباع الخليفة الثاني للمسيح الموعود عليه السلام قد قال إنه ينبغي نشر الجزء الثاني. وكان في بالي أنه ينبغي أن أنقل للناس سوانح حضرته التي أعرفها، حتى لا أسأل عن ذلك ولأتخلص من المسؤولية، وأنجز واجبي؛ فقد قررت أن أنشر الجزء الثاني على أقساط. فهذا الكتيب هو سُبُع الجزء الثاني، حيث يحتوي على ٤٨ صفحة من إجمالي ٣٧٥ صفحة. وعندما يباع هذا الكتيب عاجلا أو آجلا سوف أنشر بربحه القسط الثاني من الجزء الثاني. ولذلك حُدد ثمنه بأربع آئات، حتى لا يصعب على أحد شراؤه. فلينتظر القراء القسط الثالث أيضا من الجزء الثاني. فالمسودة والمواد والملاحظات موجودة عندي لخمس أقساط.

والسلام مع الاحترام

العبد المتواضع

محمد سراج الحق النعماني

زعيم سرساوه المقيم حاليا في قاديان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام جالسا في المسجد المبارك، وحضرة المولوي نور الدين الخليفة الأول، والمولوي عبد الكريم السيالكوقي المحترم، والمولوي برهان الدين الجهلمي، والمولوي محمد أفضل وغيرهم عليهم السلام، إضافة إلى المولوي سيد محمد أحسن الأمروهي المحترم، وقربة ٢٥ شخصا آخر. وكنت أنا العبد المتواضع جالسا قريبا جدا من حضرته، وظل يتبادل الأقوال التي ستدرج في هذا الكتاب. ومن جملتها أن المولوي برهان الدين الجهلمي المحترم قال لحضرته إن كلمة "جري" في الإلهام "جريُّ الله في حلل الأنبياء" تعني البطل، ومن ثم تكون ترجمة هذا الإلهام "بطل الله في حلل الأنبياء". فقال حضرته عليه السلام: هذا المعنى ليس صحيحا، وإنما معناه "رسول الله في حلل الأنبياء، أي صفاتهم". فصدّق الأجابة كلهم المعنى الثاني. ثم قال عليه السلام: ما زلت أعيش بينكم حيّا، فلا ينبغي التصرف في المعنى أمامي. فقال مولانا الجهلمي: إنما بينت هذا المعنى نظرا لقول حضرتك "من نيسم رسول ونياورده ام كتاب" أي لست رسولا ولم آت بكتاب، ليتطابق المعنى. فقال حضرته عليه السلام: هذا الإلهام كلام الله، وذلك القول كلامي؛ لذا يجب تقديم كلام الله. أما قولي وكلامي فمفهومه ومدلوله أي لست نبيا صاحب شريعة أو رسولا صاحب كتاب جديد. ثم حين ستماني الله بوضوح وعلنا بالنبى والرسول في سائر الإلهامات، فيجب الاهتمام بذلك، فكلام الله في كل حال مقدّم.

حين نشر المسيح الموعود عليه السلام بحسب ما أنبأه الله ﷻ عن ولادة الابن عنده، وكتب صفاته الكثيرة وأثنى عليه، اعترض عليه البعض. وكان من جملة

الاعتراضات أن الناس ينجبون ويُرزقون أبناء، يجب أن يحدد ميعاد ولادته. فحدّد
 حضرته بأمر من الله تسعة أعوام. فسكت الخصوم بعد إثارة الشبهات. أما نحن
 الأحمديون فبدأنا نعدّ الأيام، وظل بعض منا يسأل حضرته أيضا خطيا وشفهيا،
 وهذا الشوق ازداد كثيرا حين مضى ثماني سنوات ونصف من ميعاد تسعة أعوام.
 "إن عيني تفيض بالدمع، وأنا انتظار متجسد فمن أنا؟ إنني متلهف للزيارة
 واللقاء."¹

باختصار حين بقي من الميعاد ستة أشهر فقط ووُلد له بنون وبنات، بدأت
 تصل إليه الرّسائل من كل طرف. كما كانت بعضها تصل إلي وبعضها
 إلى المولوي عبد الكريم السيالكوتي المحترم أيضا. أما الذين كانوا يأتون إلى قاديان
 فكانوا يسألون حضرته شخصا، وكان حضرته عليه السلام يقول: إلى الآن لم يكشف
 الله علي هذا الأمر تمامًا. فكلما انكشف عليه شيء أخبرنا به، لكن عندما
 بقي القليل من الميعاد وكثر استفسار الناس، وطلب المولوي المحترم من حضرته
 عليه السلام بإصرار بأن يخبرنا بم نردّ على الناس الذين يسألوننا في الرّسائل، وقلت له
 أنا أيضا الشيء نفسه كثيرا. فقال: إذن سأتوجه الآن إلى الله وأدعوه حتى يتعين
 الابن الموعود من بين الأولاد الموجودين، أو إذا كان غيرهم، فليتبين لنا. فبعد
 مضي عدة أيام، ذات يوم جاء حضرته عليه السلام لصلاة الفجر وقال: رأيتُ (في
 الكشف) قبل نحو ساعة أن أم محمود تقرأ القرآن واضعة المصحف أمامها.
 فقرأت قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
 مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، ولما قرأت

¹ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

﴿فَأُولَئِكَ﴾ تَمَثَّلَ أَمَامِي مَحْمُود، ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ ثَانِيَةً، فَتَمَثَّلَ أَمَامِي بِشِير، ثُمَّ قَرَأْتُ ﴿فَأُولَئِكَ﴾ ثَالِثَةً فَتَمَثَّلَ أَمَامِي شَرِيف. ثُمَّ قَالَ ﷺ: الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ.
بعد عدد من الأيام تكلم مع المولوي عبد الكريم المحترم عن أمور كثيرة بالتفصيل، وبين له كثيرا من الأحداث التي ستقع بعده، وكان يبين ذلك حين وصلتُ هناك أنا أيضا فظل يتكلم ثم قال:

لقد أخبرني الله تعالى أنه ستكون في جماعتي أيضًا فرقة كبيرة، وأن أصحاب الفتنة وأهل الهوى سينفصلون عنها، ثم يحو الله هذه الفرقة. الذين هم أحقُّ بالفصل ولا علاقة لهم بالحق ويثيرون الفتنة، فيُفصلون عنها. ويقع في الدنيا حشر، ويكون أول الحشر، وكلُّ الملوك سيتحاربون فيما بينهم، ويكون قتل وسفك دماء حتى تمتلئ الأرض دماءً، كما أن رعايا كل ملك ستتحارب فيما بينها حروبًا مروعة، وسيقع دمار عالمي، وتكون بلاد الشام مركز هذه الأحداث كلها. يا صاحبزاده المحترم، سيكون عندها ابني الموعود، إذ قدر الله هذه الأحداث معه، وبعدها سيُكتب لجماعتنا الازدهار، وسيدخل فيها السلاطين، فاعرف ذلك الموعود.

فهذه علامة كبيرة لمعرفة الابن الموعود.

حين خرج المولوي المحترم من عند حضرته كرر كلام حضرته وقال لي: سيادة البير، هنيئا لك. فقلت ماذا؟ فقال: ألم تسمع ما قال المسيح الموعود ﷺ حيث قال موجَّها الخطاب إليك خصيصا وقال فاعرف ذلك الولد الموعود. فلم يقل لي أنا، بل قال أنت ستري الحشر والموعود أيضا. فالحمد لله على أني قد رأيت بأم عيني ذلك الحشر والابن الموعود أيضا، وعرفت المولود المسعود.

ذات يوم جاء إلى قاديان مولوي من سكان "بنته عظيم آباد" ولم أعد أتذكر اسمه وكان عمره ٦٠ سنة، لكنه كان قوي الجثة، دمث الطبع، مرحاً وبسّاماً. جاء إلى قاديان أثناء السياحة، وأقام بصحبة حضرته مدة شهرين بصفته مريداً له. وكان في تلك الأيام يؤلف كتاباً، فكان على حد زعمه يجمع الكلمات العربية والأردية، وقد أسمع حضرته كلمات كثيرة، كما كان يبين له بلسانه أيضاً كثيراً. فكان حضرته يبتسم لسماع كلامه، بينما يتعجب المولوي سيد محمد أحسن الأمروهي المحترم من كلامه ويضحك. ففي هذا الكتاب سمع بعض القواعد عن الأستاذ والتلميذ. وقد قرأتُ أنا أيضاً ذلك الكتاب الضخم. فكان يقول قوله سواء تبدلت الكلمة من العربية إلى الهندية أو العكس... وكان يعرف أسلافنا أيضاً جيداً، فقد ذكر ذات يوم جدي حضرة محمد رمضان شاه المحترم، وأخاه الأصغر حضرة المخدم أحمد المعروف بـ دھومن شاه، وذكر كراماتهم وترشح من أسلوب كلامه تعظيمهم، كما كان يصلي مع حضرته عليه السلام الصلوات الخمس، ويستمع إلى كلامه بكل تعظيم وإخلاصٍ قلبي. فكان يقول إن في بلاد البنجاب قرية لا يوجد فيها العلم ولا الصناعة والحرفة والتجارة، ودع عنك هذه الأمور المادية بل ليس لها أي وضع ديني أيضاً. ثم إن حضرته لم يسافر لتحصيل علمي إلى أي مدينة أخرى، ولم يتلق الدراسة على يد عالم وفاضل مشهور ومعروف في البيت أيضاً، وإن سكان قاديان جهلة وعديمو العلم بحيث تُفسد صحبتهم الرجل الصالح، ثم وُلد في هذه القرية العمياء بوضعها هذا شخص ليس له نظير في الهند بأسره والبنجاب. فهذه الحقائق والنكات والأسرار والمعارف التي تخرج منه ما اطلّعت عليها وما سمعتها من أحد قط. ثم كان يقول:

لقد علّمه الله ﷻ وهو الذي فهمه وكل هذه مشاهد قدرة الله. فالله ﷻ إله عجيب، فقد أُعجب من بين جميع الجبال العظيمة بجبل الطور عديم القيمة، ومن بين الدول أُعجب بالعرب، ومن بين المدن كلها أُعجب بمدينة خربة كمكة، والآن ترك لكهنائ ومومباي ولندن وغيرها من المدن الراقية واختار قرية مجهولة هي قاديان، التي لا يعرف أهلها التحدث بالفصاحة، حيث يسمون قاديان بـ "كادي". فذلك الإله الملك يجعل الملك فقيرا والفقير ملكا، فهو أعلم بأفعاله جيّدا، جل جلاله وعم نواله.

ذات يوم استفسر المولوي المحترم حضرته ﷺ في المسجد المبارك، ما هي المِسمَرِيّة التي قد اشتهرت كثيرا في هذه الأيام، فهل لها تأثير ما، أم هي لعبة أطفال وتوهّم وعديمة الجدوى؟ فقال حضرته ﷺ: يا سيادة المولوي، المِسمَرِيّة شيء رائع ومفيد جدا وهي ذات قيمة، فلم يخلق الله أي شيء عديم الجدوى، كما قال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ وكما استفاد منها الإسلام واستخدمها، لم يفعل مثله أي دين أو مذهب آخر. فقد حظي الإسلام بالحقيقة واللب، وكان القشر من نصيب الآخرين. يقال إن المِسمَرِيّة اسم إنجليزي لناشر هذا العلم، فاشتهرت باسمه. وإلا فاسمه الأصلي هو "العمل التربّي"، والإنسان خُلِق من التُّرْب، كما ورد: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. ابني سلطان أحمد أيضا كان قد جاء بطاولة من مكان، وكانت تتحرك بوضع اليد عليها. وقال الله ﷻ لي في الإلهام: إنه عمل التُّرْب، وكان المسيح أيضا يتمتع كثيرا بقوة التُّرْب، وقد جاء في إلهامي: "هذا هو التُّرْب الذي لا يعلمون."، وفي الزمن القديم كان النساك يملكونه، ولم يكونوا يُطْلَعُونَ عليه أحدا سوى الخواص باعتباره سرًّا. فكانوا

يُفقدون الشخص وعيه ويُعدّ كرامةً لهم، والآن يخاف الناس اسمَ المسمرية. أما النساك والصوفية فيسمّونه علم التركيز وعلم التخاطر، ومن لم يعجب باسم المسمرية فيمكن أن يسميه بالتركيز والتخاطر. فالإسلام استخدمه في صورة المصافحة والمعانقة - وصحيح أن في الآخرين أيضا توجد المصافحة والمعانقة، لكنها عبث ولطيب خاطر فقط - ثم في الصلاة جماعة. فقد قال النبي ﷺ يجب أن تقوموا في الصلاة بحيث تلتصق أكتافكم وأقدامكم ولا تتركوا فيما بينكم أي فراغ، لأن الشيطان يملأ ذلك الفراغ، فقال ذلك لكي يؤثر تركيز أحدهم وتخطئه في صاحبه، فكما يوجد في الجماعة الضعفاء والأقوياء، كذلك تتفاوت القوة والضعف في الكيفيات الروحانية والباطنية أيضا. وعند التقاء البعض يصبحون مثل الجدار، وتنقل الفيوض والتأثيرات والجذب الروحاني وتصل إلى الجميع. وعندما يمتلئ الصف الأول قوة وجذبا روحانيا، ينتقل تأثير ذلك الصف إلى الخلفي، ثم ينتقل تأثيرهما إلى الصف الثالث. ولفهم ذلك خذوا مثال الجهاز الكهربائي الذي ابتكر حاليا، فإذا أمسكه أحد بيده فسيصعق ولن يستطيع الانفصال عنه، وكذلك الذي سيمسك بذلك الرجل سيصاب هو الآخر بتيار كهربائي، حتى لو أمسك خمسون أو مائة شخص مع بعضهم البعض فسوف ينتقل التيار الكهربائي إليهم كلهم على سواء. أما إذا حصل في أي مرحلة فاصل فسوف ينقطع التيار الكهربائي، ولن تعمل قوة جذبه، وإن الفاصل الذي حدث لن يسمح للقوة البرقية والتيار الكهربائي بالانتقال. ومثل ذلك إذا حصل الفصل في الصف فسوف ينقطع التأثير الروحاني الذي كان ينتقل من شخص إلى شخص نتيجة الاتصال، وهذا الفصل قد سمي في الشريعة شيطانا.

يمكن أن تأخذوا مثالا أن صلاة الظهر التي أقيمت هنا الآن في مسجدنا، فقد أقيمت جماعات في المساجد الأخرى في القرى والمدن الأخرى أيضا، بل في العالم كله، وهذه الجماعات أقيمت في الجهات الأربع للكعبة مشكّلة دائرة حولها، وبذلك تشكلت الدائرة الروحانية أيضا نتيجة الدائرة المادية. ومثلها كمثال "البنهتي" حيث تُشعل النار في طريقي قضيب خيزران طويل برش الزيت عليهما، ثم يديره ماهر بمهارة فيبدو في صورة حلقة مدورة تماما. ومع أن النار على طرفين اثنين فقط لكن بإدارته تتراعى حلقة مستنيرة، ولا يتبين موضع النار من عدمه. وكذلك فإن جميع الجماعات والصفوف المقامة بمختلف مساجد العالم تتراعى في الظاهر مساجد مختلفة، لكنها في حكم جماعة واحدة روحانيا كمثال البنهتي. وجميع الصفوف التي بجد ذاتها تقوم ضامة الأيدي في مقامها منفصلة، تنال الفيض من بيت الله نتيجة التماسك والاتصال المادي، متأثرة بالتأثير الروحاني، جاذبة رحمة الله ﷻ وفضله. لأن بيت الله مكان، ورد بحقه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾. وهو مقام تجلى الله فيه تجليا تاما على سيدنا إبراهيم ﷺ، وسيدنا محمد ﷺ، وهو مكان نزول كلام الله. فقد أمر إبراهيم ﷺ أن يؤدّن في الناس بالحج، كما أمر النبي ﷺ وبواسطته وصل الحكم إلى الناس كافة، وصدرت من هناك كبار الوعود.

سيادة المولوي، تخيل، يظهر في الناس دوما وفي كل عصر الأولياء والأبدال والأقطاب والصلحاء والأتقياء والأغواث، والمجددون والمحدثون والمحدثون وعامة المؤمنين أيضا، وكلهم معا يجذبون الفيض والرحمة والبركة من بيت الله، أي متجلى الله العظيم، ويتلقونها في أنفسهم. فقد قال الله ﷻ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا». وهذا هو السر واللب الذي يكمن في قيام الجميع مستقبلين القبلة، وذلك لكي يتم التوجه إلى الله. وإن لم يتجهوا تجاه طرف واحد، وقام من أراد في اتجاه بحسب مبتغاه، فسوف يحدث الفساد ولن تتحقق الوحدة. فلو قام واعظ وألقى الوعظ وجلس الحضور متجهين إلى حيث يريدون إعراضا عن الوعظ، فكم سيسود الفساد والفوضى، حيث لن يبقى التأثير في الوعظ ولن يكون للواعظ تركيز تام في الحضور، ولن يستفيد منه أحد، بل سيحدث التأثير المعاكس.

وهذا السر يجلي حقيقة البيعة أيضا، حيث تؤثر البيعة الظاهرية في البيعة الباطنية. فالفرق التي تظهر في هذه الأيام، التي لا تتبع إماما واحدا، ويسمّون بعضهم البعض بالكفار والمرتدين؛ يريدون أن يأخذوا المنصب الذي لا يستحقونه. كل إنسان يحب الأنانية، ويُهمل الأمر الإلهي: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾، وفيه إشارة إلى المسمرية، فكيف تتحقق الوحدة؟ كلهم تفرقوا وحرّموا دفعة واحدة، وكيف يمكن أن تتفتح سبل الوصول إلى الله، وكيف يمكنهم الانضمام إلى أولياء الرحمن، لقد بعثني الله ﷺ بحسب وعده في عين الضرورة للقضاء على الفرقة، ولتوحيد الناس المتفرقين في مكان واحد، بحسب الأسلوب المحبب. فكيف يمكن أن يجنوا الثمار نتيجة الإعراض عني، ينظرون إلى السماء لينزل منها المسيح نفسه الذي هو حي في السماء على حد زعمهم، لكنه قد مات، وحياته وبعثته وهم وخيال باطل. لم يصعد أحد إلى السماء هكذا قبله ولم ينزل، ولم يعيش إلى هذه المدة الطويلة، والآن كيف يمكن أن يتحقق أملهم المنافي لسنة الله. ما الذي نال الكافرون بذلك المسيح حتى ينال هؤلاء الذين يكفرون بي.

إن عصا موسى عليه السلام التي كانت تصبح حية، كانت هي الأخرى نتيجة تركيزه وقوته القلبية، حيث كانت تصبح حية في يده فقط ولم تكن تصبح حية في يد غيره. فقد بقيت عصا بعد وفاة موسى عليه السلام ولم تتحول إلى ثعبان قط، كما لم تتحول إلى ثعبان قبله، بل كانت عصا فقط. ومن هنا تبين أن تحولها كان نتيجة القوة القدسية وتأثير تركيزه. إذ من غير الثابت أن موسى عليه السلام كان يدعو عند جعله العصا حية، أو كان يرقى عليها بقراءة آية من التوراة، كما أن المسيح عليه السلام هو الآخر وظّف تركيزه في خلق عصافيره. فكان الله تعالى قد خلق فيه هذه القوة القدسية والتأثير، وكان الله تعالى قد وهب لسيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم هذه القوة القدسية والتأثير المميز أكثر من هذا وذاك، فكانت القوة التي وهبت له إلهية، ومن تأثيرها أن من أصابع يده قد تدفق الماء كنبع حتى ارتوى به الجيش كله، ووضع يده على عدد من الأرغفة وشبع بها الكثيرون، وبقيت الأرغفة كما كانت، وبلعابه المبارك صار ماء البئر عذبا، وفي المعركة فقتت عين أحد الصحابة، وبمسّ يده المباركة شفيت وعادت كما كانت، ومن هذا القبيل له مئات المعجزات الاقتدارية، وفوق ذلك أنه حين طلب منه الناس آية، وكان الوقت ليلا، قال انظروا، فظهرت آية في السماء، حيث رفع سبابته فوجد القمر شقيّن، كما رمى حفنة من الحصى نحو الكفار، فعموا جميعا وفقدوا الحواس. فمن ذا الذي يمكن أن يقول إن حضرته عليه السلام كان قد دعا قبيل ظهور هذه الآيات، أو قد رقى بقراءة كلام الله. كلا بل كان نتيجة التركيز الباطني والقوة الإلهية التي كان قد أودع إياها سلفا، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

لا ننكر أن كل إنسان يتمتع بشيء من هذه القوة، وهي ليست متساوية في الجميع. أما المسمرية فهي كسبية، لكنهم لم يوظفوها في محلها، بل اتخذوها لهوا ولعبا، فبقوا في الحالة السفلية. أما المأمورون من الله والمقبولون فجازيتهم وتركيزهم هبة من الله، فالشيء الذي يحظى به المرء بعد الكسب والممارسة على مرّ السنين يهبه الله لمقربيه، فهل تقدر اليراعة على منافسة الشمس؟!

ثم قال حضرته عليه السلام: هذا هو السر الذي يكمن في البيعة، فالذي يبايع بوضع يده بيد المرشد، تنشأ فيه القوة الباطنية وقوة الإيمان واللذة، التي لا يفوز بها المرء نتيجة العبادة لسنين طويلة، يقول حضرة الرومي:

أن يعيش المرء مدة في صحبة الأولياء، أفضل من طاعته دون الرياء لمئة سنة.^١ انظروا حين تسقى الشجرة في أصلها، يصل الماء إلى جميع الأوراق والغصون، فكل منها ينال نصيبا من الماء بقدر سعته، وحين ينفصل أي ورق أو غصن عن الشجرة لمعصيته، فلا يسعه الحصول على ذلك الماء. وهذا هو حال الشيخ والمرشد، أي أن ماء رحمة الله وفضله الذي يناله المرشد من الله ينال المریدون نصيبا من تلك الرحمة بحسب إخلاصهم، مهما كانت المسافة بين سكن المرشد والمرید كبيرة. وإلى أن يرسخ المرید في الإرادة والاعتقاد، فمهما كان المرشد لا يعرف أين يقيم المرید وما حالته، لكن الله يعلمه جيدا، ولا يبقيه محروما من ذلك الفيض والرحمة من الله، ويعطيه نصيبه، أما الذي ينفصل لشقاوته عن المرشد، فيُقطع كالغصن اليابس، ويُحرم مما كان ينبغي أن يناله.

^١ ترجمة بيت فارسي. (المترجم)

ذات يوم جاء لزيارتي المنشي فتح محمد المحترم من سكان كليانه إلى قاديان، وقد بايع أخي الأكبر شاه خليل الرحمن الجمالي والنعماني والجشتي المحترم. وكان موظفا في سيالكوت، وكان يزور المولوي مبارك علي السيالكوتي كثيرا. وأراد زيارة حضرته عليه السلام أيضا، فقد جاء بحلولى ونقود أيضا لحضرته عليه السلام. فأقام عندي، والهدية التي كان قد جلبها لي قد أخذتها. أما ما كان قد أحضره من أجل حضرته عليه السلام فأخذته إليه. فكان في البيت القريب من المسجد المبارك، فحركت سلسلة الباب، فسأل حضرته من؟ فقلت سراج الحق. فخرج إلي فورا وسألني ما الخطب؟ فسلمت له الهدية التي كان المنشي المحترم أحضرها له، فسأل من أين جاءت؟ فأطلعته على كل تفصيل، فأخذ الهدية إلى الداخل وطلب مني المكوث، فمكثت ثم جاء حضرته بشيء من الهدية من أجلي أيضا، فقلت كان قد أحضر هدية لي أيضا فأخذتها، أما هذا فكله لكم. ثم سأل حضرته عن حال المنشي فأخبرته، ثم انصرفت من عنده ودخل هو إلى البيت، ثم أخبرت المنشي بكل ذلك.

فقال لي: لقد أدركت أن حضرته من أهل الله بل من المقربين، ومسألة وفاة المسيح عليه السلام أيضا ليست معقدة بل هي بسيطة، إذ قد مات الأنبياء كلهم، ومنهم المسيح. فالحياة الطويلة النادرة أمر نادر، لا إثبات له عند أحد. فالمسألة العويصة والمعقدة هي مسألة النبوة، وهي تقتنر باسم المسيح وترتبط به. وعند سماع "المسيح الموعود" تنتقل الأذهان والطباع فورا إلى النبوة، وهناك قد ورد في القرآن الكريم ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١) فكيف يمكن أن يكون حضرته المسيح الموعود أي النبي، وكيف يمكن أن يكون نبي في هذه الأمة؟

فَعِنْدَهَا قَلْتُ لَهُ بِحَسَبِ فَهْمِهِ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ سُمِّيتْ بِخَيْرِ أُمَّةٍ وَأُمَّةٍ وَسَطًا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ كَمَا قَالَ اللَّهُ بِحَقِّ الْمُسْلِمِينَ: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، فَمِمَّا يَثِيرُ التَّعَجُّبَ أَلَا يَكُونُ أَيُّ نَبِيٍّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ. فَفِي أُمَّةِ مُوسَى ﷺ جَاءَ مَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَجَاءَ بَعْضُهُمْ فِي حَيَاتِهِ، وَبَعْضُهُمْ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا حَتَّى الْمَسِيحُ ﷺ، فَكَيْفَ تَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ مُحْرَمَةً مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ سَيَقْدُمُ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ وَنُوحٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الصُّلَحَاءُ وَالْأَبْدَالُ وَالْأَقْطَابُ وَالْأئِمَّةُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْ أَمْتِهِمْ إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَمَّا سَيِّدُ الْكَوْنِ سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فَمَنْ ذَا الَّذِينَ سَوْفَ يَقْدُمُهُمْ؟ فَقَدْ كُفِّرَ الْأَوْلِيَاءُ وَالصُّلَحَاءُ وَالْأئِمَّةُ وَالْمُجَدِّدُونَ سَلَفًا، وَثُمُّوا كُفَرَاءً، وَلَيْسَ هُنَاكَ نَبِيٌّ سَلَفًا، فَهَلْ سَوْفَ يَقْدُمُ اللَّهُ الْمَكْفُرِينَ وَالْمُكَذِّبِينَ وَالْمُتَرَدِّدِينَ قَائِلًا: هَذِهِ هِيَ الْأُمَّةُ الْمَرْحُومَةُ، وَ"أُمَّةٌ وَسَطٌ" وَ"خَيْرُ الْأُمَمِ"؟ كَلَّا، بَلْ إِنَّ عِبَارَاتِ "الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ، وَأُمَّةٌ وَسَطٌ، وَخَيْرُ الْأُمَمِ" تَقْتَضِي أَلَّا تَخْلُو مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ تَفُوقُ الْجَمِيعَ. وَإِنَّ عِبَارَةَ "خَاتَمُ النَّبِيِّينَ" فِي الْحَقِيقَةِ تَعْنِي أَلَّا يَكُونُ هُنَاكَ نَبِيٌّ لَا يُؤْمِنُ بِحَضْرَتِهِ ﷺ وَلَا يَكُونُ لَدَيْهِ خَتَمُ التَّصْدِيقِ عَلَى وَثِيقَةِ نُبُوَّتِهِ. فَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ أَيُّ هِنْدُوسِيٍّ أَوْ مَسِيحِيٍّ أَوْ مُوسَوِيٍّ أَوْ زَرَدَشْتِيٍّ أَوْ أَيِّ غَيْرِ مُسْلِمٍ نَبِيًّا، حَتَّى يَنَالَ الشَّهَادَةَ مِنْ بِلَاطِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَا يَسَعُهُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَلْقَى التَّرْبِيَةَ فِي كَنَفِهِ وَالْجُلُوسَ فِي حَضْنِهِ وَالتَّفَانِي فِيهِ، وَبِكَوْنِهِ خَادِمًا لَهُ وَمَقْبُولًا وَمُحْبُوبًا لَهُ وَبَارِتَدَائِهِ رَدَاءَ حَضْرَتِهِ ﷺ. انْظُرُوا حِينَ نَقَرْنَا آيَةَ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وَآيَةَ ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾، مَا هِيَ النَتِيجَةُ الَّتِي تَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا. إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ أَنْتَ صُوفِي الطَّبْعِ، وَالصُّوْفِيَّةِ

يقولون إن الإنسان بالتفاني في الله يكون الله، وقياسا على ذلك نقول إن المرء بالتفاني في الرسول يصبح رسولا، وبالتفاني في المرشد يكون مرشداً. هل من المعقول أن يكون هذا وذاك ولا يحظى المرء بالتفاني في الرسول بالنبوة؟ فهل الآيتان اللتان قرأتهما نزلتا لجرد كفكفة دموع هذه الأمة، ولا حقيقة لهما؟

أيها المنشى، تدبر واخطُ إلى الأمام. ولا تَمِلْ إلى الانحطاط، فليس الله وَجَلَّ جَلَالُهُ بخيلاً، ولا ممسكاً ولا ضعيفاً، فلا يعوزه شيء. وهو القادر ومالك كل شيء، وهو الخالق، سبحانه وتعالى عما تصفون. وإضافة إلى هذا قد تكلم عن أمور أخرى وقدم بعض الشبهات ورددت عليه.

في اليوم التالي أخذته إلى حضرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان قد خضب خليطاً من الوسمة والحناء، فقابل المنشى المحترم وجلس، فأعدت له خطابي وقلت له إن منشى تساوره بعض الشكوك والشبهات عن النبوة. وهو يعتذر عن قبول النبوة، وإني قد قلت له كذا وكذا. فقال حضرته: إن ما قاله الصاحبزاده هو صحيح. والحق أن الاعتقاد بأن فيوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انقطعت إساءةً كبيرةً إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإهانة شنيعة له، وحط من شأنه. وأنه أخذ كل الفيوض والبركات معه إلى القبر، ولم يترك شيئاً لأمتة المرحومة، والعياذ بالله. كيف لمؤمن أن يقبل أن سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحل من هذا العالم خائباً. لقد ظل حضرته يتكلم لساعة، لكن المؤسف أن المنشى لم يقتنع وعاد بعد الإقامة ليومين، ولم يتأثر مطلقاً.

يقول جناب فضل شاه المحترم وهو من الأحمديين المخلصين القدامى: كنت أجلس مع حضرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البيت، ولم يكن معنا أحد آخر، فقص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رؤياه عليّ قائلاً: كنت أصعد سلماً وأنا أخاف السقوط، فأقفز وأضع قدمي على

الدرجة التالية، ولما صعدتُ أتى الدم من أنفي. يقول الشاه المحترم إني فزعت بسماع هذه الرؤيا ونظرت إلى وجه حضرته ففطن إلى قلقي فقال عليه السلام: تأويلها جيد، ذلك أن القائل إذا قال: أتى الدم، فتأويله خير، وإذا قال: جرى الدم أو نزف، فتأويله سيء ويدل على خسارة. لذا يجب أن يقول المرء: أتى الدم. ويبدو أن مالاً سيأتيني الآن، وأن الله تعالى سيجعل يدي مبسوطه. يقول الشاه المحترم، كان حضرته في تلك الأيام يعاني ضائقة مالية، وكان قد حث على التبرعات فأري هذه الرؤيا.

في الفترة السابقة من ذلك كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد عاش زمنا صعبا جدا، أما الشاه المحترم فقد جاء في زمن الازدهار حيث كان الكثيرون قد انضموا إلى الجماعة، لكنني رأيت شيئا من ذلك الزمن السابق. ذات يوم خرج حضرته للنزهة، وعندما عاد قابله ولدٌ هندوسي يقدر عمره بـ ١٢ سنة، فقال لحضرته: أعطني ١٠ روبيات، فقد مضت أيام كثيرة وأوصاني والدي اليوم باستلام المبلغ منك، لذا سوف أذهب معك لتسلم لي المبلغ، ثم كرر كلامه أنه لن ينصرف دون استلام المبلغ. فقال حضرته عليه السلام: ليس عندي المبلغ الآن ولا في البيت، عندما سيرسل الله المال سنقدمه فورا، فقد صرف ذلك الشاب بصعوبة.

ذات يوم استلم حضرته طردًا بريديًا فلما فتحه وجد فيه طربوشا غاليا جميلا جدا، وكان يجلس عنده شابان هندوسيان، أبدى أحدهما إعجابا كبيرا بالطربوش، وظل ينظر إليه ويتلمسه طويلا، فأعطاه حضرته ذلك الطربوش فانصرف فرحانا مسرورا، ثم خاطبني حضرته وقال: يا صاحبزاده، كان قد أعجب كثيرا بهذا الطربوش، ولذلك كان يمدحه كثيرا، فلم يرق لقلبي أن يتأذى

قلبه، لذا قد قدمته له عن طيب خاطر، إذا كان الله ﷻ هو قد أرسله لنا فسوف يرسل الآن آخر، فلو لم أقدمه له لحزن، فأعطيته تأليفاً للقلب.

تلقى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يوم الاثنين بعد الظهر الإلهام التالي: "أمّدوا ليلةً أزهى الليالي" أي: اقضوا هذه الليلة في العبادة والتسبيح والتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ والاستغفار، لأنها أفضل الليالي وأجملها. فبات بعض الموجودين تلك الليلة قائمين عابدين، أي ٢٧ محرم الحرام ١٣١٢ الهجري، الموافق ١٨٩٤/٧/٣١ الميلادي و١٥ ساون ١٩٥١ البكرمي^١. سجّلتُ هذا الوحي بأمر من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام حيث قال لي: اكتبه على شيء حتى يبقى محفوظاً. فقط.

فكنت كتبت هذا فوراً في سجل استجابة لأمره، وهو ما كتبه الآن. ذات صباح شتوي خرج حضرته للنزهة ومعه قرابة ١٥ شخصاً، ثم لحق به الكثيرون. ثم جاء حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد دام فيضه، وحضرة مرزا بشير أحمد أيضاً برفقة ولدين آخرين، وكان مرزا بشير أحمد صغيراً، حافياً وحاسر الرأس، فقال له حضرته عليه السلام مبتسماً: ميان بشير أحمد، أين الحذاء والطربوش؟ أين رميتهما؟ فلم يردّ عليه شيئاً، وتقدّم لاعبا مع الأولاد ضاحكاً، ثم انطلق من هناك راكضاً. حصل هذا الكلام في مكان يقع فيه حالياً محل الأقمشة لميان نظام الدين. فقال حضرته عليه السلام عجيب حال الأولاد، حين لا يكون عندهم حذاء يطلبون الحذاء باكين، فلما نحضر لهم الحذاء لا يباليون به، ولا يلبسونه، ويفسد الحذاء أو يُفقد، فهكذا جُبلت الأولاد، حيث لا يكثرثون بشيء، فلا

^١ التقويم الهندوسي. (المترجم)

قلق لهم ولا اهتمام بشيء، ويجبون عادة أن ييقوا حفاة، فقبل بضعة أيام طلب حذاء، فلما اشتريناه له لم يعد يعبأ به. فقلت صدق من قال: "في الطفولة عدم الوعي، وفي الشباب سكرة، وفي الشيخوخة كسل، ومتى يمكن أن تعبد الله؟" فابتسم، ثم قلت له أن يرسل حامدا لإحضار الحذاء والطربوش، فقال دعه. الله أعلم أين هما. ثم انطلق وبالكاد سار خطوتين أو ثلاثا حتى قال في هذا السياق: إن حافي القدمين يرى الله، ولعل السر في ذلك أن الله يُعجب بهذا التصرف المشابه لبراءة الأولاد. ثم قال: كان هناك ولي قد ترك لبس الحذاء، زعما منه أن الناس إذا كانوا يخلعون الحذاء عند المشي على فرش الأمراء، فكيف يمكنه لبس الحذاء على أرض أمير الأمراء أي الله ﷻ؟ فكان من الكمل. ثم قال: إن حال الصوفية والنسك غريب، فكانوا متفانين في الله وينجزون كل عمل لهم في الله. فقد روي عن صالح أن أحد مريديه سأله عن التوجه إلى الله. فقال له: إن وليا صالحا يقيم في الموضع الفلاني، اذهب إليه فسوف تجد الجواب عنده. فقال له: يا سيدي، في الطريق نهر فكيف أعبره، فقال له: قل للنهر: إن مرشدي لم يأكل ولم يشرب قط، إذا كان هذا صحيحا فافسح لي الطريق. فانطلق، وفي الطريق خطر بباله أن هذا الشيخ يأكل ويشرب كل يوم أمامي، فكيف أكذب على النهر. ثم وصل بقطع المسافة إلى النهر، فقرأ على النهر رسالة شيخه فقل ماء النهر وعبره بسهولة. فلما وصل إلى ذلك الولي الصالح أخبره عن سؤاله وما تعرّض له في الطريق من كيفية عبور النهر. فقال له الولي بعد بضعة أيام: بلغ مرشدك سلامي، وقل له: إنا قد حللنا هذا السؤال. ثم سأله هذا المريد كيف

سأعبر النهر، إذ كان مرشدي قال لي ذلك فعبّرته. فقال له ذلك الولي: قل للنهر إن الذي آتي من عنده لم يجامع زوجته قط. فلما سمع ذلك تعجب أكثر، فانطلق محاطاً بالأفكار، كيف يقول ذلك إذ له زوجتان وليست زوجة واحدة، وله أولاد أيضاً. ومع ذلك يقول: لم يجامع زوجته قط. وأخيراً حين وصل إلى النهر قال له ما قاله الولي فأفسح النهر له الطريق، فعبّر النهر بسهولة. وبعد ذلك حين عاد إلى مرشده وقص عليه أحوال السفر، وقال له دُع عنك السؤال عن الوصول إلى الله والتوجه بالله. إنني أتعجب جداً من قولكما، فما السرُّ في كلامكما؟ فقال: إن ما نقوم به فإنما بأمر من الله ﷻ وابتغاء لوجه الله، فلا مشيئة لنا، فوجد الردَّ على سؤاله.

حين سمعتُ قول حضرته ﷺ في ذلك اليوم تركتُ لبس الحذاء من ذلك اليوم، ولم ألبسه لمدة سنة كاملة. فقد كنت صممت العزم على أني لن ألبس الحذاء أبداً، ولاحقاً سألني بعض الإخوة: لماذا لا تلبس الحذاء؟ لماذا تمشي حافياً، وبعضهم ظنوا أنه بسبب الألم، وبعضهم اعتبروا ذلك بسبب الضائقة المالية، واشتروا لي حذاءً، لكنني لم أردّ على أحد ولم أقبل الحذاء من أحد.

فلما مضى على ذلك عامٌ، كنت ذات صباح قبيل صلاة الفجر أصلي على النبي ﷺ، فرأيت في الكشف شائين وسيمين متمتعين بصحة جيدة وقامة طويلة، مرتدين ثياباً بيضاء. وأمسكا بيدي وقالوا لي: انهض وتعال معنا سوف نجعلك ماسوئيّاً، فانطلقت معهما، وخطر ببالي أنه مضى على سماع اسم الماسونية زمان وقد سمعت عنها أموراً شتى، لكن ليس الخبر كالمعاينة، فاليوم سأشاهدها بأم عيني. فأخذاني إلى بيت عظيم الشأن مبني من الجبس، جميل

جدا، حيث تراءى لي باب ضخيم وبداخله فناء واسع مبلط، وإلى الآن كانا يمسكانني بساعدي، وكان في قلبي انبساط وسرور كبيران. لقد رأيت كثيرا من قصور الملوك والراجات والنوابات، ولم أر في أيٍّ منها هذا الجمال والروعة، حيث كان نورٌ لا يضاهيه ضوء الشمس، ولم تكن عيناى تنهران رغم ذلك النور العظيم القوي الشديد، بل كان في عيني برودة وسكينة وحدة البصر. وكان في ذلك الفناء باب عظيم آخر رفيع جدا أجمل منه، لكنه كان مغلقا. وفوقه بيت عال في صورة الغرفات له أربعة أو خمسة أبواب متوسطة. وكانت على تلك الأبواب مصابيح نورانية حمراء وفي الداخل نور شديد. أوقفاني أمام ذلك الباب تحت غرفة ذات مصابيح براقّة، عندها رأيت أنهما ملكان، وداخل هذا البيت الله ﷻ جل شأنه وعم نواله، وكل هذا تجلّيه. فقممت ضامًّا يديّ باحترام أنظر إلى الأسفل، وكنت أرفع نظري بين حين وآخر إلى ذلك التجلي الإلهي العظيم عابرا.

ثم وقفنا أنا والملك، ثم سمعنا الصوت من الداخل: قل: أشهد أن لا إله إلا الله. قلت: أشهد أن لا إله إلا الله. ثم قال: أقم توحيدى، فأنا أحب توحيدى. باختصار ألقى وعظا طويلا من هذا القبيل. حيث كانت كل جملة تضم كلمة التوحيد، فلم أتعب من الوقوف ولم أضطرب. وكنت أحظى بلذة وسرور وانشرح. وظللت أستمع إلى ذلك كله بشوق وذوق وطمأنينة القلب والروح، ثم غاب عني ذلك المشهد. وكنت أتذكر ذلك الوعظ بحذايره لكنني قلت في نفسي معتمدا على ذاكرتي وحفظي أن الأذان قد رفع، لذا سوف أسجله بعد الصلاة، لكن المؤسف أني لم أتذكر منه شيئا، فلو كتبتُ فوراً لكان جيدا.

على كل حال قد حدث ما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ ولم يُفِدِنِي ذَهْنِي وَلَا ذَاكِرْتِي، ثُمَّ تَوَضَّأتُ مِنْ جَدِيدٍ وَتَوَجَّهْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ. كُنْتُ قَدْ صَلَيْتُ رَكْعَتِي سَنَةً فَقَطْ إِذْ جَاءَ سَيِّدُنَا الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ ﷺ فَجَلَسَ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَكَانَ مِنْ دَأْبِهِ أَنْ يَجْلِسَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ النَّهَارِ وَيَنْشَغَلَ فِي أُمُورِ الدِّينِ مِنَ التَّعْلِيمِ وَالتَّزْيِينِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالرَّشْدِ. كَمَا كَانَ يَقْصُرُ رُؤَاؤُهُ وَإِلْهَامَاتُهُ وَيَسْتَمِعُ إِلَى رُؤْيَى النَّاسِ أَيْضًا. قَصَصْتُ عَلَيْهِ أَنَا أَيْضًا هَذَا الْحَدَثَ فَظَلَّ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: رَائِعٌ. جَعَلَهُ اللهُ مُبَارَكًا وَأَنْعَمَ عَلَيْكَ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلِ. ثُمَّ قَالَ حَبِذَا لَوْ كَتَبْتَهُ فَوْرًا. فَقَدْ حَصَلَ مَعِيَ أَيْضًا حَيْثُ كُشِفَ عَلَيَّ بَعْضُ الْأُمُورِ مِنَ اللهِ، وَقُلْتُ اتِّكَالًا عَلَى ذَاكِرْتِي كَثِيرًا أَنِّي سَأَكْتُبُهَا صَبَاحًا، لَكِنِّي نَسِيتُهَا، وَالْآنَ أَضَعُ الْقَلَمَ وَالِدَوَاةَ بِالْإِلْتِزَامِ مَعِيَ قَبْلَ النَّوْمِ، وَكُلَّ مَا يُكْشَفُ عَلَيَّ أَكْتُبُهُ فَوْرًا. بَعْدَ هَذَا الْحَدَثِ بِأَيَّامٍ كَثِيرَةٍ شَعَرَ حَضْرَتُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ ذَكَرَ لَهُ الْحَافِظُ حَامِدٌ عَلِيٌّ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَ الصَّاحِبِزَادَةِ حِذَاءٌ، فَأَرْسَلَ حَضْرَتُهُ حِذَاءً جَدِيدًا مَزْرُوكَشًا بِخُطُوطِ حُمْرَاءٍ بِيَدِ خَادِمَتِهِ "فَضْلُ النِّسَاءِ بِي بِي" أَوْ "إِمَامُ بِي بِي"، وَطَلَبَ مِنِّي أَنْ أَرْتَدِيهِ، فَإِنْ مَقَاسِي وَمَقَاسُهُ وَاحِدٌ، فَلَبِسْتُهُ لِأَنَّهُ هَدِيَّةٌ كَانَتْ قَدْ تَحَقَّقَتْ. كُلُّ هَذِهِ الْبَرَكَاتِ هِيَ مِنَ الصَّحْبَةِ الْمُبَارَكَةِ لِسَيِّدِنَا الْمَسِيحِ الْمَوْعُودِ ﷺ. الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ.

أَحَدُهُمْ قَالَ لِلْمَوْلَوِيِّ عَبْدِ الْكَرِيمِ السِّيَالْكُوتِيِّ الْمَرْحُومِ أَنَّ قَدَاسَةَ الْمَسِيحِ الْمَوْعُودِ ﷺ حِينَ يَخْرُجُ لِلْمَشْيِ يَرِافِقُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْإِخْوَةِ، فَالْغُبَارُ وَالتَّرَابُ الطَّائِرُ يَصِيبُ حَضْرَتَهُ فَيَتَأَذَى، لِأَنَّ النَّاسَ يَمَشُونَ أَمَامَهُ وَخَلْفَهُ وَعَلَى يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ، وَيَغْبُرُّ وَجْهُ حَضْرَتِهِ وَرَأْسُهُ. ثُمَّ حِينَ يَجْلِسُ حَضْرَتُهُ عَلَى الْمَصْطَبَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْمُبَارَكِ كَالْمَعْتَادِ يَجْلِسُ الْإِخْوَةُ حَوْلَهُ كَالْفَرَاشَاتِ حَوْلَ مَصْبَاحٍ، وَكَانُوا يَبْدُونَ كَالنَّجُومِ حَوْلَ الْبَدْرِ،

وأثناء الحديث قال المولوي المرحوم لحضرته: حين تخرج للمشى تتأذى كثيرا من الغبار المتطاير في الفضاء، ويغير وجهك وثيابك، فأرجو أن تمنع هؤلاء من الذهاب معك، وينبغي أن تصطحب رجلا أو اثنين فقط. فقرأ حضرته آية ١ من القرآن الكريم ولا أتذكرها الآن، وقال إن المراد من الملائكة في هذه الآية أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا يجرون أمامه وخلفه وعلى يمينه ويساره شوقا للاستماع إلى ما يقوله ﷺ. وكذلك فإن أصحابي أيضا ملائكة، فهم قبلوني بصدق القلب ويجرون أمامي وخلفي وعلى يميني ويساري لكي يستمعوا إلى كلامي بإصغاء فيهتدون. فأنا لا أتأذى بذلك مطلقا بل أُسرُّ، فلا يسعني منعهم، وهذا فعل الله وقد قال لنا أيضا: "لا تسأمن من الناس" أي لا تملّ لقاء الناس أبدا.

كان محمد إسماعيل السرساوي من وطني بل من حارتي، ومن تلامذتي إلى حد ما، وبجني حبا كثيرا ولكنه لما سمع ذكر قاديان كرهني، ولكن كان في قلبه بذر السعادة فظل يدعو الله تعالى بشأني ويقول يا رب إن كان هذا الرجل على الصراط المستقيم والحق، فصبغني بصبغته ووفّقني لاتباع هذا الطريق، أما إن لم يكن عندك على الصراط المستقيم والحق فأبعده عن هذا الصراط واهده. والحق أن دعاءه هذا الصادق النابع من صميم قلبه نفعه وهده الله إلى الصراط المستقيم ووفقه لقبول الحق.

ذات يوم فسّر "السيد محمد إسماعيل السرساوي" قول الله تعالى في سورة الكافرون ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ بما يفسره به غير الأحمديين، وهو تفسير ينمّ

١ أشكر الله ﷻ على أن مولانا شيخ عبد الرحمن الفاضل المصري قرأ علي تلك الآية من سورة الرعد وهي: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

عن النفاق، وكأنه قد قيل هنا: هنيئا لكم دينكم، وهنيئا لنا ديننا، فتمسكوا أنتم بدينكم ونحن متمسكون بديننا. وليس هذا فحسب بل يقول هؤلاء من سوء حظهم وبسبب جهلهم أن هذه الآية منسوخة.

والحق أن هذا التفسير يقضي على الإسلام والقرآن وتعاليم رسول الله ﷺ ويفسد كل مقاصده وأهدافه. أما قبول نظرية الناسخ والمنسوخ فتدل على جهل الله - والعياذ بالله - ويقدم في صفة الله العليم.

أما أنا ففسرت الآية تفسيراً يتفق مع عظمة الله وتعاليم الإسلام ومقاصد النبي ﷺ، وذلك بحسب ما كنت قد سمعته من المسيح الموعود عليه السلام ومولانا نور الدين الخليفة الأول رحمه الله. وما إني أسجل هنا تفسيرهما موجزاً بحسب فهمي وقدرة قلبي، لكي ينتفع منه أصحاب القلوب النقية والأرواح السعيدة الرشيدة. أكتب أولاً التفسير الذي ذكره مولانا المرحوم رحمه الله، وهو مناسب جداً من حيث اللف والنشر. لقد قال حضرته إن اعتبار هذه الآية منسوخة ينافي عظمة الله وصفة علمه. والحق أنه ليس في القرآن الكريم أية آية منسوخة ولا ناسخة. لقد اعتبر الشاه ولي الله المحدث الدهلوي خمس آيات فقط منسوخة من بين مئات الآيات. ونحن نقول إن الدليل الذي بسببه لا تُعدّ مئات الآيات منسوخة يمكن أن يكون دليلاً على كون هذه الآيات الخمس أيضاً غير منسوخة. ومن هذه الآيات الخمس قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة: ٢٤٠)، ويقول هؤلاء إن هذه الآية منسوخة بقول الله تعالى في سورة البقرة نفسها ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

(البقرة: ٢٣٤). يقول هؤلاء إن الآية الأولى ذكرت أن عدة الأرملة عام، لكن الآية الثانية نسخت حكم الآية السابقة وحددت مدة العدة في أربعة أشهر وعشرا فقط. وإذا لم نعدّ إحدى الآيتين ناسخة للأخرى لزم التناقض في القرآن الكريم مع أنه لا تناقض واختلاف في القرآن الكريم.

والحق أن لا علاقة للناسخ والمنسوخ بالآيتين. الواقع أن الآية الثانية تحدد فترة العدة في أربعة أشهر وعشرا، أما الآية الأولى فإنما تتحدث عن الرخصة بأن الأرملة إذا اضطرت للإقامة في بيت زوجها المتوفى لعام فلا حرج في ذلك، فلها هذه الرخصة.

أما قول الله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ فمعناه أن أعمالكم السيئة سوف تتحملون عقابها، وأما أعمالنا فسوف نجزي عليها، فنكون من الفائزين الغالبين، وتكونون من الخائبين الخاسرين. والقرآن مليء بذكر فلاح المؤمنين ونجاحهم وبذكر هزيمة المشركين وفشلهم وخسراهم.

وسورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ وكذلك سورة ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ تتحدثان عن الموضوع نفسه. فقول الله ﴿رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ شرح لقول الله ﴿وَلِيَ دِينِ﴾، وأما قول الله ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ فيتضمن نبوءة عن مصير المعارضين، حيث بين الله تعالى أن كل من يحمل صفات أبي لهب وخصاله هو بمنزلة أبي لهب، وسوف يهلك ويذل ويهان إزاء المؤمنين.

وبعد ذلك أورد الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي سورة الإخلاص، حيث بين تعالى أن الذين يقولون "ولد الله" سوف يشهدون في آخر الزمان أنه ﷻ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ وهذه نبوءة عظيمة ستتحقق في آخر الزمان، وإليه يشير

الحديث الشريف الذي يذكر طلوع الشمس من مغربها في الزمن الأخير، أي أن شمس التوحيد الإلهي التي قد أفلتت سوف تطلع من المغرب.

أما سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فقال لا يجوز الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم أبداً، أما الذين يعتبرون قول الله تعالى ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ منسوخاً فهم لا يفهمون. إن من أسماء هذه السورة: سورة التفريق أيضاً، أي التي تفرق بين المؤمنين والكافرين وتميز بينهم، أي تبين أنه قد صار الآن بيننا وبينكم تميز واضح وفرق بين وهو أنكم لا تعبدون الإله الذي نعبد نحن ولا نعبد الآلهة التي تعبدونها، وقد صار بيننا هذا التفريق للأبد. لقد صارت أعمالنا وأجسادنا وأرواحنا عامرة بتوحيد الله وتفريده، أما أنتم فقد ترسخ فيكم الشرك وعبادة غير الله تعالى، فكيف يمكن بعد ذلك أن يكون بيننا وبينكم الاتحاد وصفاء الأمر، إن إلهنا ومعبودنا فعّال لما يريد، فهو يتصف بالقدرة والخلق والرحمانية والرحيمية والقدوسية، والكلام مع أحبته المصطفين، باختصار هو متصف بكل صفة، أما آلهتكم فهي باطلة وخالية من أي صفة، إن الإنسان أفضل وأعلى منها وهي أخط وأصغر شأنًا. إن قوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ يعني سوف ترون هذا الأمر بعد أيام، وتذوقون وبال أعمالكم ولن تنصركم آلهتكم شيئاً، إن الإله الذي كان يقدمه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن كفار مكة يؤمنون به، لا شك أنهم كانوا يؤمنون بالله ولكن إيماناً لا جدوى منه. ومن أجل ذلك وقعوا في الشرك، وقد نزلت هذه السورة رداً عليهم وإبطالا لهم، وأما سورة الفيل فقد بينت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة بيت الله، وأنتم أيها المشركون كأصحاب الفيل، وآلهتكم أضعف من الفيل وأصحاب الفيل، لقد بين الله تعالى بقوله ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ أنكم وما تعبدون من دون الله لستم بشيء.

أما مسألة الناسخ والمنسوخ فقد اخترعها هؤلاء لجهلهم. لا شك أن النسخ القومي أو الزمني جائز، فمثلا ملابس الطفل الصغير تصبح منسوخة في شبابه، إذ يلبس سروالا يكون تحته فتحة من الأمام والخلف من أجل البول والبراز لكن هذا السروال يتغير شكله عندما يكبر، ولا يجب أن يلبسه الشاب البالغ. كذلك فإن ثياب الصيف تصبح منسوخة في الشتاء ويحدث العكس أيضا، ومن هذا المثال يمكن أن تدركوا أن جميع الشرائع التي كانت قبل النبي ﷺ كانت مؤقتة مختصة بزمانها، أما رسول الله ﷺ وتعاليمه فهي للعالم أجمع وإلى يوم القيامة، فما علاقة الناسخ والمنسوخ بها في هذه الحالة.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، قد علّمنا الفرق البين بين المؤمن والمشرِك. ومثل ذلك بالضبط قد بعثني الله ﷻ لأقدم الإله الحق، لكن الناس في العصر الحاضر لا يريدون أن يؤمنوا بالإله الذي نقدمه ليؤمنوا به.

قلت له يا سيدي، إن الهندوس قد اخترعوا ملايين الآلهة، والآريون في الظاهر يدعون التوحيد لكنهم باتخاذ كل ذرة إلهة قد أثبتوا أنّ الإله الذي يؤمنون به باطل وضعيف. أما المقلدون من المسلمين فقد ألّهُوا الصلحاء، والذين هم يسوّون أهل السنة والموحدين، فهم بدلا من الثالوث اتخذوا التربع، أي الآلهة الأربعة، أولهم هو الله والثاني الإله الدجال والثالث الإله المسيح والرابع الإله الشيطان. في هذا التربع يستوي المقلدون وغير المقلدين في المعتقد. فكان المولوي غوث علي الباني بتي ومريدوه يصفون الشيطان بأنه سلطان الموحدين، ولم يكونوا يجدون أي فرق بين الكفر والإسلام. فقد رأيته قد تعلّم من الرهبان الهندوس. فقال سيدنا المسيح الموعود ﷺ بكراهية: ماذا نقول عن هؤلاء فقد

مُسخت قلوبهم وماتت أرواحهم، فهم لا يفقهون الإسلام ولا إلام لهم بتعليم الإسلام مطلقا.

بعد سماع هذه الأمور انفتحت عيون إسماعيل وحدث فيه تغيير فجأة. أنا كنت أضرم يدي على صدري في الصلاة، فذات يوم سألتني أين كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يضم يديه؟ فقلت على الصدر. فمن اليوم نفسه بدأ يضم يديه على الصدر دون أي خوف أو تردد. كان زكيا وجريئا فقد بدأ يستمع إلى كلام حضرته عليه السلام وأقواله الطيبة بشوق، وبدأ ينشر الدعوة أيضا، وقد فرضها على نفسه حيث كل من قابله بلغه الدعوة، وكان بعضهم يعارضون وبعضهم الآخرون يضحكون. ثم جاء معي إلى قاديان، وكان في أغلب الأحيان يجلس خلف حضرته عليه السلام فيمسد ويدلك كتفي حضرته عليه السلام ورقبته وساعديه. ذات يوم نراه عن ذلك المولوي عبد الكريم المحترم، لأن حضرته يتألم من ذلك، لكنه عليه السلام لا ينهاه عن ذلك لطفا منه. وكان المولوي المحترم لم ينهه عن ذلك من تلقاء نفسه بل كان المولوي برهان الدين الجهلمي المرحوم قد حثه على ذلك. ثم حين تجلّى المسيح الموعود عليه السلام بعد صلاة المغرب على مصطبة في الطابق العلوي للمسجد المبارك كالمعتاد، جلس ميان إسماعيل كعادته خلف حضرته وبدأ يمسد كتفيه ورقبته وساعديه. وسأله يا سيدي، هل تتألم من تمسيدي هكذا؟ وإذا كنت تتألم فهل أمتنع من ذلك؟ فقال كلا، يمكن أن تجلس فأنا لا أتألم. فقال لحضرته: يا سيدي، بعض الإخوة يظنون أن هذا يؤذي حضرتك، فقال هم يظنون أي أتألم أما أنا فلا أتألم ولا أتأذى، بل إنني أرتاح بتمسيدك بدافع الإخلاص والحب.

لقد خطر ببال هذا العزيز أن يقوم بجانب حضرته عليه السلام في الصلاة، وبدأ يلتزم بذلك، ذات يوم قال حضرته أثناء الحديث بعد الصلاة: إن الله تعالى يكشف علي أحوال بعض الأحبة، فمن ذلك اليوم بدأ إسماعيل يقوم على مسافة من حضرته، خوفاً منه أن يكشف على حضرته عليه السلام أحواله وأفكاره الناتجة عن الضعف البشري، فيواجه الندم والخجل. لكن ذلك كان مجرد تفكير هذا العزيز لأن هؤلاء الناس يكونون ستارين، فهم لا يعرفون عن أنفسهم، وعندما يشعرون خطراً على أحد يدعون له، ويتوجهون إليه. ففي الوقوف بجانبهم والجلوس معهم فوائد جمة، وأنا صاحب تجربة في هذا المجال، إذ قد حظيت بفوائد كثيرة من صحبة حضرته عليه السلام ومجالسته والسير معه وزالت عني أخطار. وسوف أكتبها، وقد كتبت بعضها في الجزء الأول.

ذات يوم سأل هذا العزيز المسيح الموعود عليه السلام: إذا قرأنا أي سورة أو آية بعد سورة الفاتحة خلف الإمام فهل في ذلك حرج؟ فقال حضرته لا حرج في ذلك.

كان الدكتور مير إسماعيل نجل حضرة مخدومنا مير ناصر نواب المحترم وهذا العزيز المذكور ميان إسماعيل السرساوي يزوران المسيح الموعود عليه السلام معاً، فكان يقول لهما يا إسماعيلين، ثم كانا يمسدان قدميه المباركتين.

كان المرحوم جان محمد المحترم وغلام نجارية من معارف حضرته القدامى ومن أترابه عليه السلام أو ربما كانا يكبران قليلاً، وكان هناك مزارع هندوسي مسنّ آخر أكبر من حضرته بـ ٢٠ سنة، وكان يعيش في قرية على مسافة ميلين من قاديان، وقد توفي منذ فترة، وسبق أن رأيته ضعيفاً جداً ولحيته بيضاء، وكان

مختار قريته؛ فكل هؤلاء الثلاثة قد عايشوا طويلا ميرزا غلام مرتضى وميرزا غلام قادر المحترمين منذ طفولتهم إلى وفاتهم، وإضافة إلى هؤلاء قد سمعت من بعض العجائز أيضا، وكنت مولعا بالاطلاع على أوضاعه وسوانحه عليه السلام، فكل هؤلاء أجمعوا على أن مرزا غلام أحمد عليه السلام منذ طفولته إلى اليوم حيث تجاوز أربعين سنة، كان بارا وصالحا، وينطوي عادة على نفسه وينعزل، ولم يكن له أي شغل سوى ذكر الله وقراءة الكتب، فإذا أرسل أحد إليه الطعام تناول وإذا قُدِّم له لباس ارتداه، وكان باراً بوالديه في الشؤون المادية، ولم يكن يقصر في احترامهما والإحسان إليهما. في الطفولة حين كان يلعب مع الأولاد ما كان يشغب، ولم يكذب ولم يخدع أحدا، ولم يضرب أحدا ولم يصرخ. ولاحظنا مرارا أنه إذا أحس بأن أي ولد كان جائعا أحضر له الخبز من عند والدته، فقد ذكر ذلك حضرته عليه السلام بنفسه أيضا بلسانه المبارك قائلا: كان هناك ولد يضطرب جوعا، وكان موعد الطعام قد مضى، ولم تكن والدتي في البيت، فأخرجتُ خلسة قرابة كيلو غرام من الحبوب لكي يحمصها ويأكلها، ثم ظل يضحك ببيان هذا. ذات يوم قال في هذا الذكر: إلى اليوم لم ألطم أحدا، وما من أحد يمكنه أن يدَّعي ذلك. يقول هؤلاء إن أي زعيم أو حاكم عندما كان يأتي لزيارة مرزا غلام مرتضى المحترم كان يقول له مستفسرا: سيادة المرزا إننا نقابل ابنك الكبير مرزا غلام قادر وهو يزورنا، لكننا سمعنا أن لك ابنا آخر أيضا، فلم نقابله ولم نزره قط، فهل يمكن أن تدعوه لنراه على الأقل. فكان المرزا المحترم يقول: نعم لي ابن آخر أصغر من غلام قادر، لكنه ينعزل فهو عروس وابنة وليس ولدا، فهو لا يقابل أحدا حياء، دعني أطلبه. ثم كان يرسل أحدا من هؤلاء المذكورين آنفا، فكان حضرته

يأتي ويجلس على مسافة من والده مغمض العينين حياءً، وكان من عادته أن يضع يده اليسرى على فمه. ولم يكن يتكلم ولا ينظر إلى أحد، فكان مرزا غلام مرتضى يسأل ضيفه هل رأيتم هذه العروس. لقد عشت طويلاً في صحبة حضرته عليه السلام وتسنت لي صحبته في الجلوة والخلوة بالالتزام، فقد لاحظت عادته أنه كان يضع يده اليسرى على وجهه المبارك، لم يكن ينظر في وجه من يكلمه، وعندما كنا ننظر إلى جهة أخرى أو فوق أو تحت كان ينظر إلينا. وحين كنا ننظر إليه يطرق فوراً، فكان يستحي كالعذاري، ولم يكن يقاطع أحداً في الكلام. ذلك الهندوسي المسن الذي ذكرته قبل قليل جاء إلى قاديان ذات يوم، وكنا بعض الإخوة نتناول الطعام في الغرفة المستديرة، وكان محمد إسماعيل السرساوي يوزع الطعام، فسألنا هذا الهندوسي أين حضرة المرزا؟ فقلنا في الداخل، فقال نادوه. فقال إسماعيل لا نستطيع أن نناديه في غير الموعد، فهو مشغول في مهمة، وعندما سيخرج يمكن أن تقابله أو تزوره، فلما تأكد أننا لن نناديه، نادى حضرته شخصياً دون خوف، أين أنت يا حضرة المرزا؟ اخرج إلي. فكان حضرته عند سماع صوته يخرج إليه حاسر الرأس، فخرج وابتسم لدى رؤيته، ثم سأله: يا سردار، هل أنت بخير وعافية وأنت راض مسرور؟ لم تزني منذ أيام. فقال نعم أنا مسرور وراض ومنبسط وبخير وعافية، إنما الشيخوخة آذنتني حيث يصعب علي المشي، ثم لا أجد وقتاً فارغاً من أعمال الزراعة. يا حضرة المرزا، هل تتذكر الكلام القديم، حيث كان والدك يقول لك إن ابني غلام أحمد هذا "مسيتر"، (شيخ المسجد وفي الهند من يصلي كثيراً يسميه الناس كبش المسجد احتقاراً له) فهو لا يعمل ولا يشتغل ولا يكسب، تعال لأوظفك إماماً في أي

مسجد حيث يمكن أن تكسب شيئاً من الغلال، لتعيش عليها. فكنت أناديك استجابة لأمر والدك، وكنت تنظر بأسف وأسى، وتأتي معي تاركا كل شيء. لو كان والدك حيا اليوم لرأى هذا التقدم والازدهار وتساءل نفسه أهذا نفس الذي كنت أخشى عليه، ما أعظمه من ملك، ويأتيه المئات من مسافات بعيدة، وهم خدام أعتابه، ويسلمون عليه. فهذه آيات قدرة الله، حيث يتوفر لك كل شيء، والذي كان يحتقره الناس قد أصبح اليوم مكرما ومعظما. فقال حضرته عليه السلام: نعم أتذكر كل ذلك، وكل هذا فضل من الله، ولا دخل لي فيه. فظل يضحك بسماع كلامه. وقال له حضرته: انتظر أدبر لك الطعام. ثم دخل حضرته إلى البيت وأتيث بالضيف إلى محل إقامتي، وبعد أن أجلسه براحة وسكون قلت له قد سمعت منك هذه الأقوال، فأنت رجل كبير السن أخبرني عن حضرته أكثر.

فقال كم يمكن أن أتكلم عن حضرة المرزا، هذا يتطلب دفترا، قد كنت قبل ولادته، وكنت ألاحظه وأداعبه في حضني.

منذ وعيي لاحظته باراً ورعا تقياً، لم ينصرف إلى مشاغل الدنيا، ولم ينشغل في الألعاب على شاكلة عامّة الأولاد، لم نلاحظ منه أي شغب أو فساد أو كذب أو شتيمة، كنا نعدّه من الكسالى السُدّج ونتعجب من أمره ونتساءل: كيف سيسرّ شؤون بيته في المستقبل؟ إذ كان شغله الشاغل هو الجلوس في بيت منعزل، لم يضرب أحداً ولم يتعرض لضرب أحدٍ من الناس، لم يُسئ إلى أحد ولم يقم بتصرف يسبب له الإساءة. كان يعيش حياة طاهرة من نوع غريب لا يروق لنا.

كان لا يزور أحدًا ولا يكلمه إلا إذا اقتضت الحاجة لذلك، وإذا قلنا له يوما: يا صاح؛ لم لا تنظر إلى ما يحدث في هذه الدنيا، عِش مثل أهل الدنيا، وإذا أُبَيِّت ذلك، فاخرج على الأقل من البيت للعب واللهو مع غيرك من أبناء جيلك. فكان لا يردّ بشيء ويلتزم الصمت مبتسمًا، وإذا قال له أحد: ينبغي أن تشتغل وتعمل لكسب القوت، فما كان ينبس بكلمة، كان والده يقول لي: أيها المختار، نادِ غلام أحمد لنعظه ونُفِّهمه شيئًا من واجبات هذه الدنيا، فكنت أذهب لآتي به إليه، وكان عند سماع أمر والده ينهض ويأتيه فورًا ليجلس عنده غاضبًا الطرف حياء واحترامًا، كان والده يخاطبه قائلاً بحنان: يا بُنَيَّ غلام أحمد؛ إن مستقبلك يشغل بالي على الدوام، وأخشى عليك الدهر، من أين سوف تأكل؟! إلى متى تقضي الحياة منطويًا على نفسك هكذا؟! يجب أن تغيّر وتيرة حياتك، يجب أن تخرج للعمل! إلّا ما تبقى عروسًا في عزلتك؟ ينبغي الاهتمام بتأمين قوتك، كل الناس يعملون ويكسبون ويأكلون، غدا ستزوج وتنجب الأولاد، فيطلبون منك أن توقّر لهم المأكل والملبس وإعالتهم بشكل جيد، أما في وضعك الحالي فإنني أخشى أن أزوّجك، عليك أن تخرج من هذه الغفلة والسذاجة وتكون واعيًا متفهمًا، إلّا ما سألقي معك معتيا بك؟! يا بُنَيَّ إن لي علاقات وطيدة مع كبار رجال الحكومة الإنجليزية وأصحاب المناصب المرموقة، وهم يحترمونا أيضًا، وإذا شئت؛ أكتب لك توصيةً أو أرافقك بنفسي لو أردت ذلك، فأنا جاهز لأتوسط لك شخصيًا عند أحدهم لتعمل عنده، فتجهّز! فما كان سيادة الميرزا ينطق ببنت شفة، وعند إلحاح أبيه عليه كان أخيرًا يقول بكل أدب " أخبرني يا أبي: هل ترى أن الذي يعمل عند رئيس المسؤولين ومالك

الملك وأحكم الحاكمين - مطيعاً لربه رب العالمين - سيقم أي وزن لأبي وظيفة أخرى، وهل يعوزه منصب؟! ومع هذا، فأنا لست أترفع عن حكمك."

وعند سماع هذا الجواب كان سيادة المرزا غلام مرتضى يلزم الصمت ويقول: حسناً إذن انصرف يا بني إلى عزلتك! وبعد انصرافه كان يقول لي: لا يزال في ابني هذا عرق المشيخة، ينبغي أن أبحث له عن مسجد يضمن له الخبز على الأقل، فماذا أفعل؟ إنَّ هذا لا يصلح ليكون حتى شيخاً في مسجد، وكيف سيعيش بعدنا؟! صحيح أنه رجل صالح بارّ لكن هذا العصر غير ملائم لأمثاله، فهو عصر الشاطرين، ثم كان يقول لي دامع الطرف "أين نحن من غلام أحمد هذا، الورع طاهر الذيل! إنه ليس من أهل الأرض، وإنما هو من رجال السماء، وهو ليس من البشر، إن هو إلا ملك كريم". ثم قال ذلك المسن الهندوسي دامع العين: لو كان مرزا غلام مرتضى اليوم حياً لرأى رقي ابنه ذلك وازدهاره كيف أن عقلاء العالم والمشايخ والمشايع يحتاجون أعتابه، وأعطاه الله ﷻ مرتبة وأظهر تجلي قدرته بحيث عقول الجميع وعلومهم عديمة القيمة أمامه. يقول هذا العبد المتواضع إنني لم أنقص شيئاً من كلامه ولم أزد عليه من عندي وإنما ترجمتُ كلامه البنجابي، والمدلول هو ما نطق به هو بالضبط.

لقد سمعت على لسان البعض أيضاً أن المرحوم مرزا غلام مرتضى المحترم كان يقول بحق سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن في عائلتنا رواية مشهورة، أن إنساناً عظيماً سيولد في عائلتنا، ولعله هذا؛ أي مرزا غلام أحمد (عليه السلام).

ذهبتُ من قاديان دار الأمان إلى بطالة لشغل ما، واستأذنت حضرته فأذن لي مسلماً إياي ٢٠ روبية لأشتري بها بعض الحاجات، فاشتريت كل شيء

وبقيت عندي روبيتان. عند العودة ركب معي في العربة هندوسي أيضا، وكان يأتي إلى قاديان، ومن هنا يتابع طريقه إلى قريته، فسألته هل تعرف حضرة مرزا غلام أحمد المحترم؟ فقال: أعرفه جيدا، بل أكثر منك. فقلت له: إذا كنت تعرف أمرا يبين لنا حاله سواء أكان حسنا أم سيئا فأطلعنا عليه. فقال: لقد رأيت مرزا غلام أحمد من طفولته، فأنا معاصر له، وأنا أرتاد قاديان عادة، والآن أيضا أرى أنه ما زال يتمتع بالخصال الرائعة والعادات الصالحة كما كان من قبل. فهو صادق وأمين وصالح، أما أنا فأرى أن البرميشور اتخذ صورة مرزا غلام أحمد ونزل إلى الأرض. والبرميشور يُظهر تجلياته بنفسه، وإن لم يتجل البرميشور من خلال هؤلاء فعبر من يُظهر نفسه؟

هذه هي كلماته هو إذ كنت قد سجلتها فورا، فلما وصلتُ إلى قاديان وسلّمت الحاجات لحضرته وأعدت له روبيتين أيضا، قال من أين هذه؟ قلت قد تبقى من التسوق. فقال ضاحكا: يا صاحبزاده، لم تم تنفقهما؟ فقلت كانت عندي نفقة، ثم أردت أن أقدم له كشف الحساب. فقال باللغة الفارسية "حساب دوستان در دل" أي أن حساب الأصدقاء في القلب، فنحن لا نطلب الحساب من الأصدقاء، ولا يليق بنا، ولا هي مهمتنا. ثم قصصت عليه واقعة الهندوسي، فقال أنا أعرف هذه الواقعة جيدا.

حين دخلتُ على حضرته أول الأمر وكان يدعي أنه مجدد فكنت أكتب بحقه المجدد والغوث والقطب. فلما سمعت من لسانه المبارك كلمة المحدث، بدأت أكتب المجدد والمحدث، ثم حين أعلن أنه المسيح الموعود تركت هاتين الكلمتين وبدأت أكتب بحقه المسيح الموعود ونبي الله أو ورسول الله. وسواء كنت في

جيبور، دلهي، هانسي، حصار، ألور، شمله، لدهيانه وغيرها، أو في قاديان أو في مكان آخر، كنت أكتب في رسالتي إليه في الداخل، الصلاة والسلام عليك يا نبي الله أو الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكنت أكتب على الظرف: إلى حضرة المسيح الموعود نبي الله أو إلى حضرة المسيح الموعود رسول الله عليه الصلاة والسلام، قاديان المشرفة، البنجاب.

لم أكتب اسم حضرته في الرسالة الداخلية أو على الظرف، لأني أرى ذلك منافيا للأدب، بعض مريدي وأقاربي اعترضوا أيضا، أنه ينبغي ألا تكتب نبي الله ورسول الله، بل قد قال بعضهم لا تكتب معه حتى المجدد؛ فيما أنك مقتدى مائتي ألف إنسان ومرشدهم، فسوف يستند إلى ذلك مرزا ويحتج به. فقلت لهم إنكم أغبياء، فما دام الله ﷻ قد خلع عليه هذا المنصب، فمن نحن وما حقيقة كتابتنا. فهذا ظنكم الخام وتفكيركم الناقص. ذات يوم كتبت في رسالة إلى حضرته ﷺ بدافع الحب:

يمكن أن تقول لي ما تريد فلا أبالي بذلك،

يا أعداء الدين، لماذا تسألوني ما هو ديني

لستُ كافرا ولا مشركا وبوجه محمد ﷺ

إنما أدين بدين حر وأحب أحمد ﷺ كثيرا

فاعذروني أيها الزهاد فهذا أيضا أحد المسالك.^١

ومما دفعني إلى ذلك أن مولويا صوفيا كتب إلي ما هو مذهبك؟ فالناس يسمونك بالكافر والمشرك، فكتبتُ هذه الخماسية ردًا عليه، وكنت في وطني سرساوه وأرسلت هذه الخماسية إلى حضرته ﷺ.

^١ ترجمة أبيات أردية. (المترجم)

لقد كتبتُ ما يقارب ١٥٠٠ رسالة متفاوتة الحجم، فكنت أكتب فيها حصراً الألقاب: الصلاة والسلام عليك يا نبي الله أو الصلاة والسلام عليك يا رسول الله فقد يعدّ أحدهم الادعاءً بكتابة ١٥٠٠ رسالة كذباً، فليعلم أن حضرته عليه السلام كان قد أمرني بأن أذكّره بموعد النزهة، فهذه رسالة كل يوم. ثم منذ حدوث الخسوف في رمضان سنة ١٣١١ الهجرية، إلى سنة قبل الوفاة. وكنت ذهبتُ إلى قاديان في سنة ١٣٠٩ الهجرية للاستقرار، وقبل ذلك حيثما أقمت، كنت أرسل له رسالة بعد كل ثمانية أو عشرة أيام، كما كنت مسؤولاً عن كتب حضرته عليه السلام، فأكتب كل يوم رسالتين أو ثلاثاً، وردوداً على الرسائل إلى حضرته. وعندما يأتي المولوي عبد الكريم إلى قاديان يكتب الردود، وإلا كنت أنا المشرف على أعمال البريد وكنت مأموراً بكتابة الردود. كنت أكتب عدة رسائل يومياً. ففي كلها كنت أكتب الصلاة والسلام عليك يا نبي الله أو الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وعندما كان يأتي أي ضيف كنت أخبر حضرته برسالةٍ بمجيئه، فكان أحياناً يخرج إلى الضيف، وأحياناً يدعوه إلى الداخل، فيتصرف بمقتضى المحل.

جاء شخص ثريٌّ من عائلة "ميمن" من مومباي وأحضر معه ٥٠٠ روية، وقال لي فور وصوله أتيت لزيارة حضرته، وحالا سأعود، وليس لدي وقت، لذا أرجو أن تخبر حضرته فوراً ليخرج فأزوره، فكتبتُ قصته في رسالة إلى حضرته. فكتب في الرد: صاحبزاده صاحب، قل له أنا مشغول في عمل ديني فلا يسعني الزيارة الآن، وإن شاء الله سأقابله وقت صلاة الظهر. فقال ذلك الثري: ليس عندي وقت حتى أنتظر حتى صلاة الظهر. فكتبتُ إليه مرة أخرى أنه يقول

كذا. فلم يردّ عليه حضرته وانصرف الرجل. وعند الظهر حين خرج حضرته إلى المسجد المبارك ذكر له أحد الإخوة بعد الصلاة أن أحد الأثرياء من عائلة ميمم كان قد جاء من مومباي لزيارة حضرتك، وأحضر معه ٥٠٠ رويية هدية. فقال حضرته: لا يهمني ماله، إذا كان ليس عنده وقت فلست أنا الآخر فارغا، فما دام ليس عنده اهتمام بالله فلا اهتمام لنا بالدنيا.

أقصد هنا لفت انتباه القراء إلى عدد الرسائل، كما أقصد من ذلك أن حضرته لم يقل لي إشارة أو كناية أو صراحة، يا صاحبزاده، لا تكتب مع اسمي "نبي ورسول".

ذات يوم قُبل المرحوم شيخ يوسف علي التشامي قدميه عليه السلام، فنهاه عن ذلك قائلاً: هذا ممنوع، هذا لا يجوز. فحين رأى هذا العمل الوحيد غير جائز نهاه عن ذلك، وبقيتُ أكتب مع اسمه "نبي الله" أو "رسول الله" مرارا وتكرارا عبر سنين ولم يمنعني من ذلك.

استأذن شخص مسن هرم -وهو مدفون الآن في بهشتي مقبرة، أي مقبرة أهل الجنة- قبل بضعة أيام من وفاته حضرته واقفاً أمام الغرفة المستديرة في الذهاب إلى وطنه مالير كوتله لعدد من الأيام. وكنت أنا وشيخ غلام أحمد الواعظ، والمولوي محمد علي، والمرحوم المولوي عبد الكريم السيالكوتي، وميان غلام حسين الرهتاسي المقيم حالياً في قاديان، والآخرين أيضاً هناك. فقال له حضرته: الآن أصبحت شيخاً هرماً، ومريضاً أيضاً، فلا تذهب إذ لا ضمان للحياة. فقال: أنت رسول الله، أنت رسول صادق، لا شك أنك رسول الله، آمنتُ بك وبصدق القلب، آمنتُ بأنك رسول من الله، أرى عدم الاستجابة

لأوامرك ومعصيتك كفرا. فكان يكرر هذه الجملة بمنتهى الحماس رافعا يده اليمنى مشيراً بإصبعه إلى حضرته. فكان حضرته يبتسم مرارا لسماع كلامه، ويقول: الآن استرخ، وأقم هنا، وانس الذهاب. كان يجري الدمع من عينيه، فعاد إلى دار الضيافة قائلاً أتقبل أمر رسول الله بعيني.

كتب إلي صوفيُّ صاحبُ زاوية أن لديه خبرة طويلة في الكشف، وأنه إذا كان المرزا المحترم يقدر على أن يمكِّن أحدا من التحدث إلى أهل القبور، فليسأل حال صاحب القبر الذي أطلب منه، ويتكلم معه ويخبرني عن ذلك وإلا سأخبره أنا. فقلت ذلك لحضرته وأريته تلك الرسالة، فأمسك حضرته عليه السلام تلك الرسالة وضحك كثيرا، وقال: إن الذي يتكلم مع الله الحي القيوم كل يوم، لغني عن التحدث إلى الموتى، أو قال لا يهمه التكلم مع الموتى. فليكلّم الموتى ميتون والأحياء أحياء، فأنا حيٌّ وديني الإسلام حي، وإلهي الحي القيوم إله حي.

لقد كتب إلي صوفيٌّ مشهور جدا وهو صاحب زاوية: ماذا كسبت بالذهاب إلى قاديان؟ فهل زرت النبي ﷺ في الرؤيا مرة، أو هل مكّنتك المرزا من ذلك، فأنا قادر على أن أمكِّن من زيارة النبي ﷺ في الرؤيا في ليلة واحدة، فتعال إلي. فقدمتُ هذه الرسالة إلى حضرته عليه السلام وأخبرته أنني كتبت إليه في الجواب: إنك تدّعي زيارة النبي ﷺ في الرؤيا، أما أنا فأزور رسول الله خمس مرات يوميا بلا انقطاع. وليس في هذه الزيارة أيُّ شك وشبهة، أما الرؤيا ففيها متسع من الشبهة. ثم سألته عليه السلام: بما أننا نزورك وقت الصلوات الخمس وفي مناسبات أخرى فهل جوابي هذا صحيح؟ فقال: هذا صحيح وصدق. فاكتب إليه بلا شك وأؤكد على ذلك.

إن وجودي وجودُ النبي ﷺ، وقد سَمَّاني الله رسولا، واكتب له أيضا أن في الرؤيا يمكن أن يتدخل الشيطان أيضا. ثم قال: صحيح أن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ، لكن ذلك يفيد أولئك الذين رأوه ﷺ. أما الذين لم يروه في الحقيقة فيمكن أن يخدعهم الشيطان. واكتب له أيضا أن يقرأ القرآن الكريم كله، فلن يجد فيه التأكيد على أنه ينبغي أن يرى المرء نبيا أو رسولا في الرؤيا، ولا هو ضروري. إلا أن القرآن زاهر بالتأكيد على الإيمان والاتقاء والعبادة، أن آمنوا واتقوا واستجيبوا للأوامر واجتنبوا المنهيات. فلا توجد في القرآن الكريم آية تأمر بزيارة النبي ﷺ أو الرسل في الرؤيا. وإذا هيا الله ﷻ لأحدٍ في الرؤيا زيارة النبي ﷺ ببركة اتباعه له، أو زيارة نبي آخر، فهذا أمر آخر. فالأصل هو التمسك بالأوامر والنواهي واتباعها. ما الذي أصاب هؤلاء حيث نسوا الغاية الأصلية. فلم ينشئوا أي علاقة بالإسلام. فكتبْتُ له كل هذه الأمور في رسالة.

أقص عليكم واقعة أخرى، فيها معيار لمعرفة كل صادق وكاذب، وهي أن رجلا اسمه سراج الدين من سكان دلهي وهو أستاذ في المدرسة الحكومية في مدينة أنباله ادَّعى مقابل حضرته العليَّة أن الإمام المهدي يكاد يظهر، وأنه وزيره ونديمه. كما كان الخواجه حسن نظامي أيضا كتب أن الإمام المهدي سيظهر في سنة ١٣٣٠ هجرية. فلما مضت ٣٠ سنة وسأله الناس قال الخواجه: في ٣٥ هـ، فلما مضت سنة ٣٥ أيضا وعد بأنه سيظهر في سنة ٤٠، والآن بقيت ٨ أشهر من سنة ٤٠ أيضا، فلنر متى يُبعث مهديه المزعوم. فقد قال الشيخ سعدي:

أي كريم أعرض عنه وعن أعتابه، لم يجد عزًّا في أي مكان آخر.^١

^١ ترجمه بيت فارسي. (المترجم)

فالذي يترك الصادق يتبع الكاذب حتمًا، أرى أن أسجل هنا إعلان سراج الدين هذا، لكي يلقي الضوء على القضية جيدًا. وهذا الإعلان قد نشره هو نفسه، وعندي نسخة منه، إذ كنت قد حفظته باحتياط. وهو:

صورة طبق الأصل

منشور يتضمن إلهامات سراجية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ "ألا احذروا يا حزب الميرزا، واستيقظوا من نوم الغفلة
ملهم الغيب، ونديم المهدي، وسراج الدهلوي شمس العرفان
تعالوا إلى حضرته وتوبوا وإلا تواجهون الخسران
لقد كتب الجميع أن رأس القرن إلى ٣٠^٢ ولن يتجاوز ذلك شيئًا
وما زال سبع من ٣٠ باقية، فليظهر المهدي لدين كامل
أما الذي ادعى أنه المهدي قبل ٣٠ فاعلموا أنه غوي"
ادعى المرزا أنه وحيد فريد في التقرب إلى الله، لكن هذه الدعوى مجرد ادعاء
فارغ إذا كان له نصيب من الحقائق والمعرفة فليواجهني، فهذا أنا أعلن على الملأ،
وعلى دق الطبول، أنه خاوي الوفاض، فلن يبرز لمواجهتي، إذا جاءني وسبقني في
بيان أسرار المعرفة في سباق فأنا مستعد لأقدم له ألف روبية نقدا. فلما كان المرزا
يدعي أنه ملهم، لذا أنشر مقابله إلهاماتي، التي أتلقاها بغزارة ليل نهار كالمطر. إلى

^١ ترجمة أبيات أردية. (المترجم)

^٢ لقد كتب السيوطي وغيره أن رأس القرن حتى ٣٠ سنة. منه

اليوم لم أنشر إلهاماتي بحسب المثل "الكرامة أولى أن تخفى" والآن أرى نشرها ضروريا بمقتضى الضرورة والحكمة، وأنى لي إخفاءها. متى يمكن أن تخفى.

"عشق ومشك رانتوان نبفتن". أي: أي لا يخفى الحب والمسك. أنا معك أينما تكون. أنا أمشي معك أينما تمشي. إنك من المتقين. إنك من الواصلين. أنت قمر الأولياء. أنت فخر الأولياء. أنت سراج منير. جعلناك سراج وهاجا. إنك من أولاد أفخم. إنك من ولد فاروق أعظم. إنك تعلوا ولا تعلی. إنك تغلب ولا تغلب. إنا وهبنا لك أزواجا. صالحات ونساء قانتات أبكارا وثيبات. إنا بشرناك بغلام اسمه لطيف. إنا أمطرنا عليك أنوارا اكلون سر شف. ربيناك نتبرته الجمالي والجلالي. إنك من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله نزلنا عليك أنوارا ولاية عيسى وموسى وآدم. تمطر عليك فيضان الشمس من الرحمن عند تلاوة الفرقان. إنا نطلعك من حسن خاتمة بعض الناس. يبرق عليك أنوار كقرص الشمس عند ذكر الله الصمد. كشفنا لك عالم الأرواح مناما والملكوت كشفا. سنجعلك سراج الهند والفتجاب ومرجع كل شيخ و شاب في هن مهدي الموعود الذي هو رئيس الأقطاب. ووهبنا لك من الصحة والعافية حظا عظيما وفي هذا لك فوزا عظيما. أعطيناك جذب الإحسانية عند الصلوة على نبي الرحمة أنا عون لك في كل حين وآن إنا عصمناك من شر مسيح الدجال. إنا أرسلنا المهدي الموعود في منامك وشرفناك بلقائه أدخلنا روحك في مرتبة نبينا محمد المصطفى الذي هو شمس الضحى وبدر الدجى ونور الهدى خير التقى. إنك من علماء غير مرئيين ومن الفقراء الصابرين. الشاكرين. يفوح عنك ريح المسك بعد الوضوء. قد خاب من المهدية وخسر خسرانا مبينا ستبلغ

ذكرك واسمك في أقطار الأرض. إنا أخلصناك شرك وفؤادك من شرك الخفي والجلي نجيناك من المهديين الكاذبين الذين لا دنيا لهم ولا دين. وتنزل عليك أنوار القمرية عند الصلاة على نبي الرحمة. إنا عصمناك من الفقر المكب. إنا أرسلنا روح رسولنا في منامك مرارا. إنك سيلاقي مهدي العربي الفاطمي. وتزوره. إنك تنادم وتصاحب مهدي الموعود العربي جعلناك من أصحاب المهدي الموعود. تكون في زمنه في عيشة راضية. يمطر على قبرك أنوار ولاية محمدية الأنوار يمطر عليك وأنت نائم سيكون ولدك. في جيش المهدي الموعود إنا جعلناك جوادا رحيمًا. إنا خلقناك على خلق وجود عظيم. إنا وضعنا في قلبك نار العشق حريقًا. أعطيناك جذبة من جذبات الرحمانية. يا أيها المرزائيون إنكم قوم خصمون. إنكم في الحق يرتابون. إنكم إلى الباطل مائلون. قد زأغت قلوبكم فلما زأغو أزأغ قلوبكم الله إنا جعلناك نائب المهدي الموعود العربي جعلناك من معاونه وأحباؤه. يا أيها المرزائيون إنكم تزعمون أن مسيح ابن مريم قد مات كشمير. هيهات هيهات انه حي على السموات عند ربه القدير فتوبوا إلى الله من هذا وإلا عذاب السعير. ونصليكم نارا وهو بئس المصير.

قد يبلغ ذكرك. واسمك في أقطار الأرض. يبلغ اسمك في أقطار الأرض وتشيع ذكرك في أقصاءها. يا أيها المرزائيون إنكم قوم عادون إنكم قوم خصمون. إنكم عن الحق راغبون وإلى الباطل مائلون. إنكم في الحق ترتابون. وعن صراط المستقيم لناكبون. يا أيها المرزائيون إنكم تزعمون أن مسيح ابن مريم مات في الكشمير هيهات هيهات إنه حي على السموات عند ربه القدير. فتوبوا إلى الله وإلا نذيقكم عذاب السعير. ونصليكم نارا إنها بئس المصير. يخرج المهدي الموعود من مدينة

ويظهر في مكة ويقوم ويعدل في دمشق. ويظهر نائبه عباسي من خراسان بكذا مروي في أحاديث حبيب الرحمن فلا تنكر ولا تول بها ولا تكن من حزب الشيطان وكن من حزب الرحمن ألا إن حزب الله هم الغالبون وحزب الشيطان هم الخاسرون."

المعلن: العبد المتواضع سراج الدين نديم المهدي وبشير المهدي الموعود
أستاذ في المدرسة الحكومية في مدينة أنباله، مطبعة دست بهوشن مدينة أنباله
 كان مكتوبا بقلم المعلن بالذات هذه العبارة (فليقل الحافظ لمرزا أن يحاورني أو يناقشني)

قرأتُ هذا الإعلان على سيدنا المسيح الموعود عليه السلام فقال: صبرا، سوف يحكم الله بنفسه بين صادق وكاذب. في موسم الأمطار يتولد عدد لا حصر له من حشرات الأرض والديدان وتفنئ. كذلك تنبت الطفيليات والأعشاب مقابل الأشجار المثمرة والأزهار، فيقتلعها البستاني ويرميها. في مقابل النبي صلى الله عليه وآله ظهر كثير من مدعي النبوة، وكانت عربيّة مسيلمة الكذاب أفضل من اللغة العربية لهذا.

إن بيان العيوب أيضا يتطلب أسلوبا خاصا.^١

لا داعي للتعليق على دعوى سراج الدين وإلهاماته. فبعد هذا الإعلان خسر العمل، وصار مجهولا بحيث لم يُعثر عليه، فقد خذله الله حيث لم يبق له أثر. فقبل ست سنين أو سبع سمعت أنه في دلهي بوجوده هناك، فذهبتُ إليه للقاء، ولم أجده، لكن الناس قالوا لي: يا شاه، هو مجنون وسخيف، لماذا قصدتَ لقاءه. ولماذا عانيت السفر إلى هنا؟ كان قصدي من اللقاء شيئا آخر، ثم بحثت عنه كثيرا ولم أجده.

^١ ترجمه مثل فارسي. (المترجم)

قبل عدة سنوات كنت كتبتُ رسالة إلى مدير المدرسة الحكومية في أنباله،
لعلي أجد له أثراً، فكتب لي المدير المحترم أنه جاء إلى هنا مرة، وبعده لا يعرف
أين هو، وكنا سمعنا أنه يعمل شيخاً وكنّاساً في مسجد بدلهي. كان هذا المدير
الذي كتب إلي هندوسياً، فهكذا يكون مصير هؤلاء، والعاقبة للمتقين.

ذات مرة جاء إلى حضرته عليه السلام كثير من الإخوة من مناطق بعيدة، وصار
جمعاً كبيراً، ومنهم المنشي ظفر أحمد المحترم، ومحمد خان المحترم، والمنشي محمد
ارورا المحترم المرحومين، والمولوي سيد محمد أحسن المحترم، وسيدنا الخليفة الأول
والمولوي عبد الكريم رضي الله عنهما، والخواجه كمال الدين المحترم، والمولوي
محمد علي المحترم (الماجستير)، والدكتور مرزا يعقوب بيك المحترم، والمولوي عبد
القادر المحترم عليه السلام، وشيخ غلام أحمد المحترم، والإخوة من لاهور ولدهيانه وغيرهم.
جرى الحديث أن بعض الأولياء الكرام يطلّعون على أمور كثيرة في الكشف،
ويُكشف عليهم حال نيات الكثيرين أيضاً. فقال عليه السلام: نعم هذا صحيح. وأنا
أيضاً كُشف لي يوم الحج مشهد الحج، حتى كنت أسمع كلام الجميع من تلبية
وتسبيح وتهليل، ولو أردت لاستطعت تسجيل كلام الناس.

ذات مرة تلقيتُ الوحي التالي: "غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ
بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ"، وأُريتُ أن كل الحروف الموجودة في كلمات هذا
الوعد حتى آخر آية فيه، تكمن فيها أسماءُ أكملِ الموافقين وأخلصهم لي.
كما تكمن فيها أيضاً أسماءُ كل أولئك الذين هم أكثرُ القوم إنكاراً وعناداً
ومعارضةً لي. (كل هذه الكلمات بعينها لحضرته عليه السلام وليس لي حتى
حرف واحد).

ثم قال عليه السلام: ورأيت أن شخصاً قد وضع يده على قوله تعالى ﴿أَذْنِي الْأَرْضِ﴾ في المصحف، وقال هذا اسم قاديان. (هذه الكلمات أيضاً لحضرته عليه السلام) ثم قال: اليوم أريت أن بعضاً من هؤلاء الموجودين والحاضرين جالسون وهم يديرون ظهورهم لنا ومعرضون عنا، وأشاحوا بوجوههم عنا كراهةً. فبسماع هذا الكلام من حضرته عليه السلام فزعت أنا وغالبية الإخوة، وبدأنا نستغفر. باختصار؛ حين دخل حضرته البيت، وأغلق الباب من الداخل، قلق سيد فضل شاه كثيراً، وشحب لون وجهه، وبسرعة دق الباب. عاد عليه السلام وقال مبتسماً، ما خطبك يا شاه؟ فقال شاه: يا سيدي، لا أستطيع أن أستحلفك إذ الأدب يمنعني، ولا أسأل عن الآخرين، وإنما أسأل عن حالي، إذا كنت أنا ضمن المعرضين عنك أم لا. فضحك حضرته كثيراً بسماع قول شاه، وقال رافعاً يده اليمنى ومحركاً إياها: يا شاه، أنت لست منهم، أنت لست منهم، يا شاه، أنت لست من المعرضين. ثم أغلق الباب وهو يضحك، عندها دبَّت الحياة في جسم فضل شاه المحترم واطمأن، وزال عنه الاضطراب، وشكر الله تعالى.

يقول صاحبزاده بير منظور محمد المحترم: ذات يوم كنت أنا وسيدنا المسيح الموعود عليه السلام جالسين في المسجد المبارك، وكنت أقابله، وكنا صامتين. كانت حالته عجيبة آنذاك، حيث كان لون وجهه يتغير وطالت هذه الحالة، ثم رفع رأسه المبارك وقال: الآن تلقيت إلهاما:

"حق"

العبد المتواضع محمد سراج الحق النعماني، قاديان

